

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

مديرية ما بعد التدرج والبحث
العلمي والعلاقات الخارجية



معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

تَعْقِبَاتُ ابْنِ جُزَيِّ الْغَرْنَاطِيِّ عَلَى الْمُفَسِّرِينَ
مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ "التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ"
- عَرْضاً وَدَرَأَةً -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية
تخصص: الكتاب والسنة

إشراف الدكتور:
حمزة بوخرنة

من إعداد الطالب:
مسعود زلاسي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أد. عبد الكريم بوغزالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
د. حمزة بوخرنة	أستاذ محاضراً	جامعة الوادي	مشرفا
أد. عيسى بوعكاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مناقشا
أد. نورة بن حسن	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مناقشا
د. محمد بشير باي	أستاذ محاضراً	جامعة الجزائر	مناقشا
د. علي كربع	أستاذ محاضراً	جامعة الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443/1444 هـ - 2021/2022 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الوادي

مديرية ما بعد التدرج والبحث
العلمي والعلاقات الخارجية



معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

تَعْقِبَاتُ ابْنِ جُزَيِّ الْغَرْنَاطِيِّ عَلَى الْمُفَسِّرِينَ
مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ "التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ"
- عَرْضاً وَدَرَأَةً -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية
تخصص: الكتاب والسنة

إشراف الدكتور:
حمزة بوخرنة

من إعداد الطالب:
مسعود زلاسي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أد. عبد الكريم بوغزالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
د. حمزة بوخرنة	أستاذ محاضراً	جامعة الوادي	مشرفا
أد. عيسى بوعكاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مناقشا
أد. نورة بن حسن	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	مناقشا
د. محمد بشير باي	أستاذ محاضراً	جامعة الجزائر	مناقشا
د. علي كربع	أستاذ محاضراً	جامعة الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443/1444 هـ - 2021/2022 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿﴾
الْقُرْآنُ ﴿﴾
عَلَمُهُ ﴿﴾

الإهداء

فهذا جهدٌ مُقلٍ أهديه....

إلى والديّ العزيزين...

إلى إخوتي وأخواتي...

إلى جميع الطاقم العامل بمعهد

العلوم الإسلامية بجامعة الوادي...

شكر وتقدير

تأسياً بقول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»

-رواه الترمذي-

فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للمشرف على هذه الأطروحة، الدكتور: حمزة بوخزنة.

كما أتقدم أيضا بوافر الشكر إلى السادة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة الموقرة؛ لتفضّلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة، أسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح، وأن ينفعنا بتوجيهاتهم وإرشاداتهم وتصويباتهم.

كما لا يفوتني أيضا أن أتقدم بالشكر لكل من ساعدني في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد.

ونسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

مُقدِّمة

مقدمة:

إن من أعظم ما بُدِّدَت فيه الأعمار، وقُضِيَت فيه نفائس الأوقات الاشتغال بالتفسير الذي يُعد من أجل العلوم وأشرفها لتعلق موضوعه الأساس ببيان معاني القرآن وكشف غوامضه، إذ إنَّ معينه لا ينضب وعجائبه لا تنقضي، ولذلك أولاه علماء الإسلام منذ العهد النبوي إلى زماننا الحاضر عناية بالغة واهتموا به اهتماماً بليغاً. وقد كان للأندلسيين حظٌّ وافر من ذلك، ومن أبرز أولئك الإمام ابن جزى الغرناطي صاحب كتاب التسهيل في علوم التنزيل، فهو مع اختصاره، وقلة ألفاظه، وصغر حجمه نسبياً تميّز بدقّة العبارة وحسن الترتيب وسلاسة الأسلوب، وتعدد المصادر، وتنوّع المسائل، وكثرة النقولات لكلام السابقين من أرباب ذاك الفن، ولا غرابة في ذلك فالعلم كما اشتهر رَجِمَ بين أهله.

ولم يكن الإمام ابن جزى - رحمه الله - مجرد ناقل مكثف بحكاية آراء السابقين فقط، بل كان منتقداً ومعتزلاً ومتعقباً ومناقشاً لها في أحيان كثيرة، وذلك إن تبيّن له خطأها ومجانبتها للصواب معتمداً في ما ذهب إليه على قواعد وقرائن، كدلالة سياق الآي ونحوها.

ولهذا تناولت هذه الدراسة جانب التعقبات لهذا الإمام الهمام الذي شهد له أهل التراجم بتبحّره وتطلّعه في شتى العلوم، ومختلف الفنون، بل وصفوه بالفقيه والأصولي والمحدّث والمفسّر واللغوي وغير ذلك من الألقاب. وبناءً على ما سبق بيانه ومطالعة بعض الرسائل التي اهتمت بإبراز منهج ابن جزى في تفسيره وأخصّ منها الرسالة الموسومة بـ: "ابن جزى ومنهجه في التفسير" للباحث علي محمد الزبيري التي تُعد من أوائل البحوث التي اعتنت بتفسير الإمام ابن جزى فقد أشاد بالشخصية العلمية لهذا الإمام كمفسّر جمع بين النقل عمّن سبقه والتعقب عليهم. ولذا ارتأيت أن يكون عنوان هذه الأطروحة موسوماً:

تَعَقُّبَاتُ ابْنِ جُزْيٍ الْغَرْنَاطِيِّ عَلَى الْمُفَسِّرِينَ مِنْ خِلَالِ كِتَابِهِ "التَّسْهِيلُ لِلْعُلُومِ التَّنْزِيلِ"

- عَرْضاً وَدَرَأَةً -

أولاً: إشكالية الدراسة

أفاد الإمام ابن جزى من مصادر كثيرة ومتنوعة، ولهذا أكثر من النقول وحكاية الآراء عند تناوله لبيان معاني السور والآيات، إلا أنه لم يكن مجرد ناقل فحسب، بل كان أيضاً مناقشاً ومعتزلاً عليها، وعليه فالسؤال الرئيسي الذي ينبغي أن يُطرح:

- ما مدى إصابة الإمام ابن جزى في تعقباته على غيره من المفسرين؟

وللإجابة عن هذا السؤال الرئيسي لا بُد من الإجابة عن الأسئلة الفرعية التالية:

- ما مفهوم التعقب في اللغة والاصطلاح؟
- ما هي أهم المصطلحات التي عبّر بها الإمام عن التعقب؟
- هل الإمام ابن جُزي كان يحاكي غيره ممن سبقوه في المسائل التي تعقب عليها؟

ثانيا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- 1- بيان المكانة العلمية التي يحظى بها الإمام ابن جُزي كمفسر بالإضافة إلى كونه فقيها أصوليا.
- 2- جمع المسائل التي تعقب فيها الإمام ابن جُزي من سبقه ثم ترتيبها في نسقٍ مناسب يسهُل للباحثين والدارسين الرجوع إليها والاستفادة منه.
- 3- بيان أنه لا قطيعة بين المتقدمين والمتأخرين، فإن العلم رحم بين أهله.

ثالثا: أهمية الدراسة

يمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة في الأمور الآتية:

- 1- الوصول إلى خلاصة القول في المسائل التي تعقب فيها الإمام ابن جُزي من سبقه، وبيان وجه الصواب في ذلك.
- 2- بيان الطريقة المثلى والمنهج الأمثل في تعامل الأئمة مع أخطاء وآراء من سبقهم.
- 3- الوقوف على أهم الأسس والضوابط التي اعتمدها العلماء في ردهم للأقوال ومناقشتها.
- 4- بيان أثر دراسة التعقبات في تكوين وتنمية الملكة النقدية لدى طالب العلم.

رابعا: أسباب اختيار الموضوع

من أهم الدوافع التي حملتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

- 1- شغفي بالدراسات المتعلقة بالقرآن وعلومه، يأتي في مقدمتها علم التفسير.
- 2- المكانة العلمية للإمام ابن الجُزي كفقيه بالإضافة إلى كونه إماما في التفسير يشهد له القاصي والداني، وكتب التراجم أكبر شاهد على ذلك.
- 3- مكانة تفسير الإمام ابن جُزي إذ يُعد موسوعة زاخرة بالفوائد التفسيرية القيّمة الجديرة بالبحث والعناية.
- 4- استنباط الضوابط التي سار عليها الإمام ابن جُزي في تعقباته على المفسرين الذين نقل عنهم وأشاد بأقوالهم في ضوء تفسيره.

- 5- ندرة الدراسات التي اتسمت بموضوع التعقب في جانب التفسير مقارنة ببقية مباحث علوم التفسير الأخرى.
- 6- اشتمال موضوع التعقبات لمختلف مباحث علم التفسير، كتوجيه القراءات وغيرها.
- 7- إثراء المكتبة بموضوع قل اشتغال الباحثين به مقارنة بغيره.

خامسا: الدراسات السابقة

حسب اطلاعي، فقد كُتب حول الإمام ابن جُزي وتفسيره جملة من الدراسات والبحوث غالبها في مجال كشف منهج ابن جُزي في كتابه أو ترجيحاته. يأتي عرضها كآتي:

- الدراسة الأولى: "ابن جُزي ومنهجه في التفسير" للباحث علي بن محمد الزيري، نال بها درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية من المدينة المنورة، وقد طُبعت في مجلدين. وهي من أحسن ما أُلّف في بيان منهج ابن جُزي في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل.
- الدراسة الثانية: "ابن جُزي الكلبي وجهوده في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل" من إعداد الباحث عبد الحميد محمد ندا، نال بها درجة الماجستير من جامعة الأزهر، عام 1980م.
- الدراسة الثالثة: "ابن جُزي الكلبي وجهوده في التفسير من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل" من إعداد الباحث عبد الرحمن علي سعد بركة، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها ليبيا، نُشرت الطبعة الأولى منه عام 1994م.
- الدراسة الرابعة: "ابن جُزي الكلبي ومنهجه في التفسير" من إعداد الباحث فراس يحيى عبد الجليل الهيتي، نال بها درجة الماجستير من جامعة صدام للعلوم الإسلامية، عام 1995م.
- الدراسة الخامسة: "قواعد الترجيح عند ابن جُزي -دراسة تطبيقية-" من إعداد الباحث عبد الله حميد عبد الله جمعة، نال بها درجة الماجستير من جامعة الملك سعود، نُوقشت عام 1421هـ.
- الدراسة السادسة: "ترجيحات الإمام ابن جُزي الكلبي في التفسير من خلال كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل)-عرضا ومناقشة-" من إعداد مجموعة من الباحثين تحت إشراف الدكتور عبد الرحيم بن يحيى الحمود الغامدي، نُوقش منها من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة غافر، والباقي لا يزال قيد البحث.
- الدراسة السابعة: "استدراكات ابن جُزي الكلبي في تفسيره على ابن عطية من خلال كتابه"، من إعداد شايع بن عبده بن شايع، عام 1421هـ.

مما سبق عرضه نخلص بثلاث نتائج حول هذه الدراسات:

- هذه البحوث والرسائل في مجملها كانت الدراسة مسلطة فيها على كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، مما يوحي بالقيمة العلمية لهذا السفر في التفسير وعلومه.
- هذه الدراسات كان جهد الباحثين فيها منصبا أساسا على إبراز أمرين أولاهما: منهج ابن جزي؛ والثاني ترجيحاته في تفسيره.
- أنّ هذه الدراسات التي لا يمكن إغفالها ولا التقليل من قيمتها لأن لها فضل السبق، لم يكن موضوعها الأساسي في أغلبها تعقبات الإمام ابن جزي على المفسرين لا من قريب ولا من بعيد، لذا عازمت على الكتابة في هذا الموضوع، تميما لما أغفله الباحثين بسبب تقيدهم بموضوعات البحوث التي قاموا بإنجازها.

سادسا: صعوبات الدراسة

- يعتري كل باحث وباحثة جملة من العوائق والصعوبات التي تبطئ من سير وتيرة إنجاز البحث، ومن أبرزها:
1. أيّ لم أتمكن من الحصول على النسخة الورقية المحققة والمنقّحة لكتاب التسهيل، التي تولّت نشرها دار طيبة، فهي تعتبر طبعة فاخرة صدر بها الكتاب، فاكثفت بنسخة دار الكتب العلمية والتي حقّقها محمد سالم هاشم، بالرغم من أنها مليئة بالتصحيفات والأخطاء.
 2. أن الذي يقتحم مجال دراسة التعقبات يحتاج إلى تحصيل غزير وإحاطة متنوعة بأمهات الكتب في شتى مجالات العلوم، وهذا قد لا يتأتى لصاحب بضاعة زهيدة مزجاة.
 3. أن الإمام ابن جزي عند حكايته للأقوال لا يعزوها لأصحابها في الغالب، وهذا يحتاج إلى بذل جهد مضاعف ومعرفة بالمصادر التي نقل عنها مع العلم أن بعضها مفقود، وبعضها مخطوط لا يزال حبيس الرفوف ولم تصله يد الطباعة بعد.

سابعا: منهج الدراسة

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع المنهج الاستقرائي التحليلي المقارن.

فأورد أولا القول الذي انتقده الإمام ابن جزي وأنسبه إلى صاحبه أو من قال به من الأئمة معتمدا على المصادر المعروفة كأمهات كتب التفسير نحو المحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي وغيرها، ثم أسوق انتقاد الإمام ابن جزي من كتابه

التسهيل بنصّه، معتمداً على نسخة دار الكتب العلمية، ثم أقوم بدراسة كلا القولين، محاولاً الترجيح بينهما، مستعينا في ذلك بآراء العلماء، وبالكتب والمؤلفات التي تطرقت لتلك المواضيع.

ثم عملت على:

- توثيق الأقوال وعزوها لأصحابها من مصادرها.
- تخريج الأحاديث النبوية والآثار مع ذكر حكم العلماء عليها إذا كانت خارج الصحيحين في حدود المستطاع.
- ذكر أسماء المصادر وأصحابها ومعلومات النشر عند أول ذكر له في الهامش.
- ترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة باستثناء المشهورين كالصحابية والتابعين وأئمة المذاهب الأربعة، حيث أذكر اسمه ومولده ووفاته وبعض من شيوخه وتلامذته ومؤلفاته إن أمكن.
- التعريف بالبلدان والأماكن.
- ذيلت البحث بفهارس فنيّة هي على النحو الآتي:
 - فهرس الآيات القرآنية
 - فهرس الأحاديث والآثار
 - فهرس الأعلام
 - فهرس الأشعار
 - فهرس المصادر والمراجع
 - فهرس الموضوعات.

ثامنا: خطة البحث

الفصل الأول: الإمام ابن جُزي ومنهجه في التفسير والتعقبات
واحتوى على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جُزي الغرناطي

المطلب الأول: عصر الإمام ابن جُزي الغرناطي

المطلب الثاني: التعريف بالإمام ابن جُزي الغرناطي

المطلب الثالث: الحياة العلمية للإمام ابن جُزي الغرناطي

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الإمام ابن جُزي الغرناطي

المطلب الأول: مفهوم التفسير ونشأته في الأندلس

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن تفسير ابن جُزي

المبحث الثالث: مفهوم التعقبات وصيغها عند الإمام ابن جُزي الغرناطي

المطلب الأول: مفهوم التعقبات ونشأتها

المطلب الثاني: صيغ التعقبات عند ابن جزي ومنهجه في ذلك

الفصل الثاني: التعقبات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالتفسير

المطلب الأول: التعقبات المتعلقة بمعاني ألفاظ القرآن

المطلب الثاني: التعقبات المتعلقة بتوجيه الخطاب ومن عُني به، وأسباب النزول

المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بعلوم القرآن

المطلب الأول: التعقبات المتعلقة بالنسخ

المطلب الثاني: التعقبات المتعلقة بأسباب النزول والإسرائيليات

الفصل الثالث: التعقبات المتعلقة بالعلوم اللغوية والشرعية

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالعلوم اللغوية

المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بالعلوم الشرعية

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

هذا ولا يسعني في الأخير إلا أن أجدد شكري إلى كافة أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد في قراءة هذه الأطروحة ورصد مختلف الملاحظات وإبداء التصويبات العلمية والمنهجية، والله أسأل؛ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، ونافعاً لكل من قرأه أو اطلع عليه. فاللهم علّمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله ربّ العالمين.



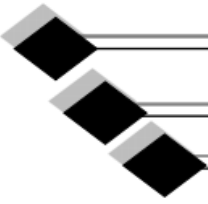
الفصل الأول:

الإمام ابن جُزي ومنهجه في التفسير والتعقبات

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جُزي الغرناطي

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الإمام ابن جُزي الغرناطي

المبحث الثالث: مفهوم التعقبات وصيغها عند الإمام ابن جُزي الغرناطي



تمهيد:

إن المتأمل في البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية المعاصرة المجدّدة في حقل العلوم الشرعية خاصة مع اختلاف تخصصاتها وتنوع مجالاتها، ليخلص بأنه قد صار من مقتضيات المنهجية العلمية في البحث العلمي عند الباحثين والدارسين حينما يتعلق لبُّ الموضوع المتطرق إليه بإبراز جهود عالم أو تتبع آرائه وترجيحاته أو استقراء تعقباته قد درجوا في الفصل التمهيدي قبل الكلام على مفهوم التعقبات ونشأتها وصيغها، أن يعرفوا بذلك العلم، والعصر الذي عاش فيه والبيئة التي نشأ بها، كما لا يُغفلوا جوانب السيرة الذاتية والعلمية ابتداءً بالاسم والنسب والمولد والنشأة والوفاة والشيوخ الذين أخذ عنهم، والتلاميذ الذين سمعوا منه، وانتهاءً بتعدد مناقبه وآثاره التي خلفها وراءه إرشادا للأمة وخدمة للملّة، وجرياً على العرف السائد الذي سبقت الإشارة إليه، فإننا نبسط القول في هذا الفصل بالتعريف بالإمام ابن جُزي الغرناطي، كما سنشير إلى منهجه في التفسير والتعقبات.

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جُزي الغرناطي

من المقرر عند كل عاقل وناظر أن معرفة العصر الذي نشأ فيه الإمام ابن جزي من جوانبه المتعددة، كالسياسي، والعلمي، والاجتماعي والديني، يعطي صورة حيّة عن الواقع والظروف التي عاش وترى في كنفها هذا الإمام، وعليه سنشير في هذا المبحث إلى شيء من ذلك.

المطلب الأول: عصر الإمام ابن جُزي الغرناطي

المقصود والغرض الأسمى من معرفة التاريخ والحقبة الزمانية التي عاش فيها ابن جُزي من الجانب السياسي والاجتماعي والديني والعلمي هو الإجابة عن السؤال الذي كثيراً ما يرد على أذهان الباحثين وهو هل للبيئة تأثير وانعكاس في بناء شخصية هذا الإمام الفذ، الذي يُعدُّ أبرز أعلام الأندلس في زمانه بناءً على ما اشتهر في كتب التاريخ والتراجم.

الفرع الأول: الحياة السياسية

لما أرسى موسى ابن نُصير وأتباعه كلمة الإسلام بجهودهم في شمال إفريقيا زمن الفتوحات الإسلامية، كان من الطبيعي أن تكون الخطوة التالية بعد فتح إفريقيا فتح الأندلس، فجهّز موسى ابن نُصير جيشاً قوامه سبعة آلاف جُندي من المسلمين البربر ليس فيهم من المسلمين العرب إلا عددٌ قليلٌ، وأمّر والي طنجة طارق ابن زياد قائداً عليها، فعبر طارق وجيشه إلى الطرف الإسباني وحطّو رحالهم به في الخامس من شهر رجب سنة (92هـ)¹، وكانت نقطة تجمع الجيش الإسلامي في الطرف الإسباني على جبل سحري عُرف فيما بعد باسم جبل طارق أو جبل الفتح، ثم إن عمليات الفتح التي قام بها طارق ابن زياد وإنجازاته قد استغرقت أقل من سنة، فُتحت على إثرها جملة من مدن الأندلس كقرطبة وغيرها.

وفي سنة (93هـ) التحق موسى ابن نُصير ببلاد الأندلس ليُعين في الفتوحات، فكان طارق في جهة وموسى بن نُصير في جهة أخرى، ولم يبق من بلد الأندلس لم يبلغه الفتح إلا الشمال نظراً لاستدعاء طارق وموسى بن نُصير من قبل الخليفة الوليد فلبّيا أمر الخليفة ووصل إليه في جُمادى الأولى سنة (96هـ)²، وبمغادرة طارق ابن زياد وموسى بن نصير الأندلس ظهرت أنظمة سياسية جديدة تولّت زمام الأمور والتدبير لهذا البلد، ربّما انعكست سلبا في ما يستقبل أطلق عليها أهل التاريخ العهود التي مرت بها الأندلس وإليك بيانها باختصار:

¹ ينظر: عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ط2، دار القلم، بيروت، 1402هـ-1981م، ص47.

² ينظر: المرجع نفسه، ص127.

1- عهد الولاة (95-138هـ): بدأ عهد الولاة بمغادرة موسى بن نصير للأندلس، واستغرق حكمهم حوالي اثنين وأربعين سنة، توالى فيها على تدبير شؤون الأندلس عشرين واليًا، ومما ميّز هذا العهد زوال سلطان الكنيسة، واستمرار الفتح وانتهاء مهام ما يُسمى بالأسرة الحاكمة، بالإضافة إلى تنظيم البلاد وإدارتها وحسن السياسة للرعية والقيام بالإصلاحات اللازمة¹.

2- عهد الإمارة (138-316هـ): ينتهي عهد الولاة الذي يلي عهد الإمارة بمحيي عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس، ولقّب بالداخل لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية، واستمر عهد الإمارة حوالي قرن وثلاثة أرباع قرن.

3- عهد الخلافة (316-400هـ): بدأ عهد الخلافة بانتهاء عهد الإمارة، وقد تولى فيه زمام الأمور في البداية عبد الله بن محمد الأول آخر قادة عهد الإمارة.

4- عهد الطوائف (400-484هـ): وهذه التسمية واضحة المدلول في وصف حالة الأندلس التي تشتت إلى عدة ممالك ودويلات متفاوتة القوة بعد اجتماع طويل مستمر تحت لواء وراية واحدة، ومن المؤسف أن في هذا العهد غلب على الأمراء الشقاق فيما بينهم واقتسموا ألقاب الخلافة، بل كان بعض الملوك لا همّ له إلا تحقيق مصلحته وإشباع أنانيته، يقول ابن خلدون* وهو يصف ملوك الطوائف "اقتسموا ألقاب الخلافة وتوزعوها لقوة استبدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها وساروا بأمتهما نحو الخراب" بل كانت هذه المرحلة محلّ رثاء الشعراء حتى قال بعضهم وقد أحسن:

مما يُزهدني في أرض أندلس *** سماع مقتدرٍ فيها ومعتضدٍ
ألقاب مملكة في غير موضعها *** كالهَرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد²

5- عهد المرابطين (484-540هـ): سقطت الخلافة الأموية بقرطبة سنة (422هـ)، ونتج عن سقوطها تفكك الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة فدخلت بذلك في عصر ملوك الطوائف أو ما يسمى بعصر الفرق³.

¹ ينظر: عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ص141.

* هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، مؤرخ وقاضي وفيلسوف، ولد في تونس وشب فيها وتخرّج من جامعة الزيتونة بعد دراسته على أكبر أساتذتها ألا وهو ابن عرفة المالكي، وُلِيَ الكتابة والوساطة بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس ثم انتقل إلى مصر حيث قلده السلطان بقوق قضاء المالكية ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف، ومن أشهر مؤلفاته كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر توفي بالقاهرة سنة 808هـ. ينظر: إسماعيل بن الأحمر أبو الوليد، أعلام المغرب والأندلس، تح: محمد رضوان الداية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1396هـ-1976م، ص297.

² ينظر: عبد الرحمان الحجي، التاريخ الأندلسي، ص332.

³ ينظر: العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط1، منشأة المعارف الإسكندرية، 2000م، ص93.

ولم يكن داء ملوك الطوائف قد أصاب الأندلس فحسب بل تعداه إلى بلاد المغرب فقام المرابطون يدعون إلى تأكيد التمسك بالإسلام وامتدت حركتهم حتى شملت مناطق كثيرة في المغرب، وانطوت الأندلس تحت جناحها، وعمّرت دولتهم نحو مئة عام، وكان أبرز أمرائها يوسف بن تاشفين.¹

وكان من أبرز إنجازاتهم القضاء على ملوك الطوائف وإعادة الوحدة في شتى ربوع الأندلس والمغرب.

6- عهد الموحدين (541-667هـ): خلفت دولة المرابطين في حكم المغرب والأندلس، دولة مغربية مجاهدة أخرى وهي دولة الموحدين، قامت هذه الدولة الجديدة على أساس دعوة دينية إصلاحية طابعها التجديد والجهاد والاتساع، وهدفها تحقيق وحدة إسلامية ترأسها خلافة دينية شرعية خاصة بالموحدين ومؤسسها هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومرت.²

7- نشأة مملكة غرناطة: لم يشهد الإمام ابن جُزي دولة الموحدين ولا ملوك الطوائف ولا حضر زمن المرابطين وإنما ولد في مملكة غرناطة التي نشأت هذه الأخيرة في ظروف صعبة بعد الكارثة التي حلت بالأندلس على إثر هزيمة جيش دولة الموحدين أمام جيوش القوة الصليبية بقيادة ملك قشتالة الفونسو الثامن وذلك في شهر صفر سنة 609هـ.³ وكان المؤسس الأول لهذه المملكة هو القائد العربي الغالب بالله الشيخ محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي كان في الأصل حاكماً لبلدة أرجونة في إقليم جيان، ثم استولى على مالقا وغرناطة التي اتخذها مقراً لحكمه سنة 635هـ.

وقد كان مولد الإمام ابن جُزي رحمه الله تعالى موافقاً لعهد الملك الثاني لدولة بني نصر وتُكنى كذلك بدولة بني الأحمر، وهو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر الملقب بالفقيه، وقد كانت هذه المملكة الفتية تتعارضها الخطوب وتحل بها المصائب والنقومات من كل جانب نظراً لموقعها حتى لقبها بعض المؤرخين بالوطن الذي أحاط به العدو والبحر⁴ فتارة تضغط عليها الدول النصرانية المجاورة لها وهي قشتالة وأرجوان هذا من الجانب الخارجي، وأما على المستوى الداخلي فقد فشى فيها اغتيال لبعض أمرائها وسلاطينها، مما أدخلها في تقلبات وارتباك سياسي، إلا أن في هذه الفترة وخشية أن يفقد بنو الأحمر سلطاتهم كانوا ينتهجون سياسة ماهرة وذكية في آن واحد مع القوى التي كانت تمارس عليهم الضغوط، فكانوا حفاظاً على مملكتهم تارة يميلون إلى مصانعة قشتالة والأرغوان، وتارة ينحازون إلى دولة بني مرين بالمغرب وأحياناً أخرى يتقربون من مملكة أرغوان ضد القشتاليين وقد عاصر الإمام ابن جُزي عدداً من القادة السياسيين الذين تعاقبوا على تدبير الشؤون في غرناطة منهم:

¹ ينظر: عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 419-421.

² ينظر: العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 141.

³ المرجع نفسه، ص 227، 231.

⁴ أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص 214.

- **محمد الثاني:** واسمه محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر ولد عام 633هـ، تولى زمام الأمور في جمادى الثانية من سنة 671هـ إلى سنة 701هـ بعد وفاة أبيه، ولقب بالفقيه لانتحاله طلب العلم أيام صباه ولاشتغاله بالفقه في صغره، ومن أهم الأحداث التي وقعت في فترة حكمه: فتح مدينة (قيحاطة) التابعة لولاية (جيان) عام 695هـ، وحصار مدينة (القبذاق) التابعة لولاية (قرطبة)* عام 699هـ، حتى فتحت عنوة، وكانت من أقوى الحصون. وبقيت المدينتان محصنتين بقوات ترابط فيهما، وقد أبرم اتفاقيات مع النصارى ضد بعض الحكام للجهات الأخرى بالأندلس والمغرب، وقد وقعت اضطرابات داخلية في عهده مثل النزاع الذي وقع بينه وبين أشقيلولة "أصهاره"، أدرك ابن جزري منها ثماني سنوات.¹ وهو الذي رتب رسوم الملك للدولة ووضع ألقاب خدمتها ونظم دواوينها وجباياتها، وقد تمكن من تدعيم دولته داخليا وخارجيا. وتوفي عام 701هـ بعد حكم استمر ثلاثين عامًا.

- **أبو عبد الله محمد:** وهو ابن الفقيه تولى تدبير الشؤون من سنة 701هـ إلى سنة 708هـ، وقد سبق له التمرس على منصب الحكم والتسيير في عهد أبيه، وقد أصيب بالعمى لمواصلة السهر ومباشرة أنوار ضخام الشمع، وفي فترة حكمه تدهورت العلاقة بين غرناطة وفاس، فعتقل على إثرها وأجبر عن التنازل على العرش. وقد وصف أيامه مؤرخ الأندلس ابن الخطيب فقال: "خدمته السعود، وأملى بابيه الفتوح، وسالته الملوك، وكانت أيامه أعيادا، وكان الحظ مخالفا له، وذكر من مآثره المسجد الجامع بالحمراء، وفي بداية توليه غزى مدينة (المنظر) واستولى عليها عنوة، وملك من فيها، ثم قدم للوزارة كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم في أواخر عام 703هـ، وصرف إليه تدبير ملكه، وقيل إن ذلك كان ناتجا عن مرض عينيه المزمن، فلم يلبث الوزير حتى تغلب على الأمور وتقلد جميع شؤون الملك، ولم يزل كذلك إلى أن خلع هذا الملك عام 708هـ وقتل الوزير. وكان محمد الثالث هذا يقول الشعر ويثيب عليه، وقد عاش بقية عمره موادعا بأحد القصور في نواحي غرناطة حتى توفي عام 713هـ".²

- **أبو الجيوش نصر:** واسمه نصر بن محمد بن محمد بن يوسف: ولد عام 686هـ، بُويِعَ بعد عزل أخيه في غرة شوال عام 708هـ، وكان ميالا إلى السلم والمهادنة، محبا للعلم وأهله، نازل طاغية قشتالة على الجزيرة الخضراء، ونازل طاغية أراغون في ثغر المريّة، فهزم النصارى في المرية وتغلبوا عليه في الجزيرة الخضراء، وسقط بأيديهم جبل

* بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة أيضا والباء الموحدة فيما أحسب عجمية رومية، ولها في العربية مجال، ويجوز أن يكون من القرطبة وهي العدو الشديد وقد أنشد في ذلك أشعارا، وهي أعظم مدينة بالأندلس وليس لها في المغرب شبه في كثرة الأهل وسعة الرقعة، وكانت عاصمة لبي أمية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، ج4، ص224-225.

¹ ينظر: ابن جزري، القوانين الفقهية، تح: محمد بن سيدي محمد مولاي، د.ت، د.ط، ص5.

² ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1390هـ ج1، ص545-555. وابن جزري، القوانين الفقهية، ص6.

طارق بعد حصار طويل، وفي عهده وعهد أخيه قبله حصل جفاء وعداء بينه وبين بني مرين حكام المغرب، فانتهاز النصارى فرصة ذلك الخلاف فشددوا عليه حتى اضطروه إلى دفع ضريبة لهم، فثار الناس في وجهه وخلع عام 713هـ، ورشح بعده للملك أبو الوليد إسماعيل بن فرج حفيد إسماعيل بن يوسف أخو محمد بن يوسف رأس الأسرة النصرية ومؤسس دولتها واستقر في (وادي آش)* حتى مات عام 722هـ، ودفن بجامع القصبة، وقد بالغ ابن الخطيب في ذم أيام إمارته حيث قال وهو يصف ما آلت إليه غرناطة عند توليه منصب الحكم: "كانت أيامه كما شاء الله أيام نحس مستمر شملت المسلمين فيها الأزمة، وأحاط بهم الذعر وتكالب الأعداء".¹

- أبو الوليد إسماعيل بن فرج: أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف: كان يُدعى بالرئيس، وكان حاكماً (لمالقة)* ولد عام 677هـ، وبويع عام 713هـ وكان حسن الخلق ذا عقل وحياء وثبت وعفة، امتازت فترة حكمه بتوطيد الملك والاستقرار والجهاد في سبيل الله، فاستنجد ببني مرين في المغرب على النصارى لكنهم لم يجيبوه بسبب سوء علاقتهم بسلفه، وفي بداية عهده غزا قشتالة بمساعدة جيش نصر، ولكن لم يكن النصر حليفهما، فهزم المسلمون في (وادي فرتونة) عام 716هـ واستولى النصارى على بعض المواقع والحصون، وفي عام 719هـ تألب ملوك النصارى وأمراؤهم على (غرناطة) وكان عددهم خمسة وعشرين ملكاً، جاءوا لاستئصال من بقي من المسلمين بالأندلس، وكانت الخطة مدبرة من الكنيسة بـ (طليطلة)*، وكان في صفوف هذه الجيوش بعض المتطوعين الإنجليز بقيادة أمير منهم.

وبعد أن يئس الأندلسيون من نصرة إخوانهم بالمغرب، رجعوا إلى الله عز وجل وأخلصوا نياتهم للجهاد، وكان قوام جيشهم ستة آلاف رجل، من ضمنهم ألف وخمسمائة فارس، وكان قائد الجيش أبا سعيد عثمان بن أبي العلاء، فدارت الدائرة على جيوش البغي والعدوان جيوش النصارى، وانتصرت الفئة القليلة المسلمة بنصر الله عز وجل ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَفْئَامَكُمْ﴾ [سورة محمد الآية 8]، وكانت خسائر الكفار هائلة، وخسائر المسلمين قليلة قدرت بحوالي فارسا، وقدرت خسائر الكفار أكثر من خمسين ألفاً.

* اسم لمدينة تقع في شمال شرقي غرناطة على بعد ستون كيلومتر منها. ينظر: محمد عنان الأثار الأندلسية، ص 215.

¹ ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 335-341.

* تُضبط بفتح اللام والقاف، كلمة عجمية وهي مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية تقع بين الجزيرة الخضراء والمرية، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم عزيز بن محمد المالقي، وسليمان المعافري المالقي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، د. ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م، ج 5، ص 43.

* بضم الطائين وفتح اللامين تسمى بمدينة الأملاك بينهما وبين قرطبة مسيرة سبعة أيام للفارس وهي من أجل مدن الأندلس قدراً وأعظمها خطراً، ذات خصائص محموددة، استولى عليها الإفرنج سنة 477هـ، ينسب إليها جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله الطليطلي وعيسى بن دينار بن واقد الغافقي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 39-40.

وفي عام 727هـ زحف أبو الوليد على مدينة (بياسة)* الحصينة وحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه، وفي رجب 720هـ فتح (مرتش) عنوة، وكانت من أعظم غزواته وغنم منها المسلمون مغام كثيرة، وعاد إلى (غرناطة) ظافرا، وبعد ثلاثة أيام اغتاله ابن عم له بطعنه بخنجر فحمل جريحا وتوفي على أثر ذلك في اليوم التالي، رحمه الله وتقبل شهادته.¹

ومن مناقبه التي أثبتتها له مصادر التاريخ أنه كان صاحب سيرة حسنة في سياسة الرعية وتحكيم الشريعة وقد اشتهر بإقامة الحدود وإراقة المسكرات واعتنى بأهل بيت رسول الله ﷺ وحضر تجلي القينات للرجال في الولايم².

- أبو عبد الله محمد الرابع بن إسماعيل: واسمه محمد (الرابع) بن إسماعيل بن فرج: ولد عام 710هـ وتولى في رجب عام 725هـ بمساعدة حاجبه، واشتملت عليه الكفالة إلى أن بلغ وظهر، ففتك بوزيره الذي كان مسيطرا عليه، وذلك عام 729هـ فهيب بعد ذلك وخيف من سطوته، وكان يعد من نبلاء الملوك، عذب الشمايل، يضرب به المثل في الشجاعة والإقدام والفروسية، وانتصر في وقائع كثيرة على الكفار وألحق بهم هزائم كثيرة، ومن جملة جهوده فتح مدينة (قبرة)* وهي من الحصون الواقعة شمال غربي غرناطة، ومدينة (باغة)* وغيرها. ومن أعظم مناقبه أيضا تحريره جبل الفتح (جبل طارق) بمساعدة سلطان المغرب عام 733هـ بعد أن ظل بأيدي النصارى أربعة وعشرين سنة، وكان تحريره مهما، لأنه همزة الوصل بينهم وبين إخوانهم في المغرب، ولما كان عائداً إلى غرناطة بعد تحريره الجبل اغتاله متآمرون بتدبير من ابن أبي العلاء الذين كانوا يتمتعون بمشيخة الغزاة في الدولة النصرية، وكان لهم دور كبير في الأحداث، وكان اغتياله رابع أيام عيد الأضحى من عام 733هـ. وكان يطمع في تحرير إشبيلية؟³

- أبو الحجاج يوسف الأول: أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج: ولد سنة 718هـ، تولى الملك في أواخر سنة 733هـ، وعمره (15 عاما و8 شهور) واستقل بالملك وقام بأعباء الدولة حتى أصبح من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همة وأرفعهم شأنًا، وكان عالما أدبيا أضاف إلى قصر الحمراء أعظم منشآته، وأنشأ

* تضبط بيا مشددة، وهي مدينة كبيرة بالأندلس تابعة لإقليم جيان دخلها الروم سنة 542هـ، وأخرجوا منها سنة 552هـ. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص518.

¹ يُنظر: محمد عبد الله عنان، نهایة الأندلس، ط3، القاهرة، 1966م، ص 117-121، وابن جزري، القوانين الفقهية، ص7-8.

² يُنظر: محمد عبد الله عنان، نهایة الأندلس، ص121.

* بلفظ التأنيث، أحد النواحي التابعة لقرطبة، وأظنها عجمية رومية، ينسب إليها الفقيه تمام بن وهب القبري لقي ابن أبي زيد القيرواني، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص305.

* مدينة بالأندلس من كورة البيرة بين المغرب والقبلة منها، وهي قبلي قرطبة، منحرفة عنها يسيرا، بينهما قرابة خمسين ميلا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص326.

³ ينظر: ابن جزري، القوانين الفقهية، ص9.

مدرسة غرناطة الشهيرة وشيدها، وجعل لها أوقافاً تضمن استمرارها أطول مدة، وقد استمرت بالفعل إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وقام بإنشاء وإصلاح كثير من الحصون والأبراج بالأندلس للدفاع عنها.

وفي عهده وقعت أعظم موقعة نشبت بين المسلمين بقيادته، والسلطان أبي الحسن علي بن عثمان المريني من جهة، وبين الفونسو الحادي عشر ملك قشتالة من جهة ثانية، وكانت الدائرة فيها على المسلمين وهي موقعة (طريف)* بعد ما أبلوا بلاء حسناً، وبعد حصار دام مدة أشهر قطع فيه العدو المؤن والمدد من جهة المغرب، وكان ذلك عام 741هـ وفي هذه المعركة وقعت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون مثلها منذ وقعة (العقاب) سنة 609هـ وكان لها أعمق الأسى في نفوس المسلمين في المغرب والأندلس، حيث استشهد فيها الإمام ابن جزي واستشهد معه كذلك كوكبة عظيمة من قادة المسلمين وعلمائهم من المغاربة والأندلسيين، ثم حصلت بينهم وبين النصارى هدنة حتى قتل أبو الحجاج في أثناء صلاة عيد الفطر عام 755هـ.¹

ومن أهم مميزات فترة حكمه أن مملكة غرناطة دخلت في زمانه عصراً ذهبياً، فأُسست المدرسة اليوسفية أو النصرية على يد حاجبه أبي النعيم رضوان عام 750هـ، وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب نهاية الأندلس: "ومن أعظم مآثره إنشاء مدرسة (جامعة) غرناطة الشهيرة. فأقام لها صرحاً فخماً، وغدت غير بعيد من أعظم مناهل العلم في الأندلس والمغرب"،² بالإضافة إلى اهتمامه بإنشاء المصانع وتحصين البلاد وذلك بإقامة الحصون والأبراج الدفاعية.

- **محمد الغني بالله:** تولى الإمارة من سنة 755هـ إلى سنة 760هـ، وفي عهده توطدت العلاقة بين غرناطة وفاس.³

فتوالي النظم واختلافها عبر ثماني قرون بالإضافة إلى الصراع الداخلي الذي كان يشوذه الاغتيال بالأمراء والقادة، دون التغافل على العدوان الخارجي المتمثل في النصارى الصليبيين زاد من ارتباك الوضع السياسي في الأندلس عموماً وفي مملكة غرناطة على وجه الخصوص. حتى بلغ الخطب بالغرناطين أن يدرّبوا صبيّانهم على العمل بالسلاح وتعلم المشاقلة كما يعلمونهم السورة من القرآن في الألواح.⁴

ومما يحسن الإشارة إليه عقب ذكر ملوك بني الأحمر وإنجازاتهم إبراز أهم المناصب التي يقوم عليها كيان الدولة النصرية وإليك بيانها باختصار:

* أول بقعة إسبانية وطنتها أقدام الغزاة المسلمين، وهي من المدن الأندلسية، الخالدة، وكانت أيام الدولة الإسلامية مثل جبل طارق والجزيرة ذات أهمية بحرية خاصة، ومركز لنزول الجيوش المغربية العابرة وقاعدة من قواعد الوصل بين المغرب والأندلس، سقطت في يد النصارى سنة 691هـ، ولم يستطع المسلمون أن يستردوها رغم تكرار المحاولة. ينظر: محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، ط2، المكتبة الإسكندرية، 1417هـ-1997م، ص278.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص9-10.

² محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص126.

³ ينظر: أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص28-41.

⁴ المرجع نفسه، ص214.

أ- الوزارة: كانت الوزارة في عهد بني الأحمر تسند إلى أحد الأعلام ورجال الفكر والأدب، وتتلخص مهمة الوزير في تلقيه أوامر من سلطانه، والعمل على تنفيذها، كما ينوب عن السلطان عند سفره أو مرضه ويقوم بإسناد الأعمال وقيادة الجيوش في بعض الأحيان وتوكل إليه مهمة التفاوض مع الدول الأجنبية واستقبال السفراء والوفود¹ فهو رأس السلطة التنفيذية في الدولة، وقد وصف ابن الخطيب الوزير بوصف دقيق أثناء حديثه عن هذا المنصب فقال: "الملك طيب والرعية مرضى والوزير تعرض عليه شكاياتهم عرضاً، والسداد مرتبط بسداد عقله وصحة فحص"²، ويلقب بعدة ألقاب منها: الرئيس والحاجب وعماد الدولة.

ب- قيادة الجيش في الدولة: وهذا المنصب من أهم المناصب في القدم والحديث، وكان ذا أهمية خاصة بالنسبة لدولة بني نصر بالأندلس، نظراً لكونها تواجه غزواً مستمراً لأراضيها من قبل أعدائها النصارى الإسبان.

ج- الكاتب: كانت وظيفة الكتابة من الوظائف المرموقة في مملكة غرناطة، وتسند في الغالب إلى أهل العلم، والفضل والأدب، لأن ميزة المشتغلين بالعلم جودة الخط، وإتقانه كما سيأتي بيانه في مبحث الحياة العلمية.

د- الدواوين: أصل كلمة ديوان فارسي، والديوان ضرورة من ضرورات الحكم وتنظيم شؤون الدولة في مملكة غرناطة، ولهذا تعددت أسماء الدواوين فيها، ومن أهمها ديوان الإنشاء، وديوان الحرص.³

ج- القضاء: كان لأهل الأندلس خصائص إقليمية تتعلق بتطبيق أحكام الشرع، والقضاء وكانت خطة القضاء في الأندلس من أعظم الخطط عند الخاصة والعامة لتعلقها بأمور الدين ولم تكن اختصاصات القاضي الغرناطي تختلف عن زملائه من القضاة في الشرق الإسلامي ومغربه، فكان يقوم بالفصل في النزعات المتعلقة بالميراث والوصايا والحبوس أي الأوقاف، والنزاع الخاص بالمنقولات والعقارات، ويرعى مصالح الأيتام ويتولى الخطابة والصلاة بمسجد الحمراء، وأرفع المناصب القضائية في دولة غرناطة قاضي الجماعة.⁴

الفرع الثاني: الحالة الدينية

على إثر الفتوحات الإسلامية التي طالت أغلب أنحاء الأندلس شرقاً وغرباً انتشر الدين الإسلامي واعتنقه كثير من الأندلسيين وأعجبوا به، وكانوا حريصين على التزامه وتطبيق أحكامه أيما حرص، مع إنكارهم الشديد

¹ أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص 174-175.

² المرجع نفسه، ص 174-175.

³ المرجع نفسه، ص 186-189.

⁴ المرجع نفسه، ص 190.

على المتهاونين في إقامة حدوده والمتساهلين في تنفيذ أوامره وتشريعاته ويمكن إبراز الحالة الدينية التي كان عليها أهل الأندلس من جانبين هما بمثابة أصل الإسلام وعموده الذي يقوم عليه كيانه:

فالجانب الأول يتعلق بالناحية العقدية فقد كانوا على مذهب السلف شأنهم شأن إخوانهم المغاربة، الذين يشتركون معهم في المذهب المالكي حتى جاء محمد بن تومرت (المهدي) مؤسس دولة الموحدين في المغرب الذي سيطر على الأندلس فيما بعد، وورث دولة المرابطين فنشر مذهب الأشعرية* ومكّن له حتى أصبح جمهور علمائهم على مذهب الأشعري في العقيدة.

وهذا لا ينفي وجود علماء أخذوا بمذهب الأشعري قبل ابن تومرت مثل: القاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ت447هـ. وأما التصوف*: فقد ظهر فيما يبدو متأخرة في الأندلس، وإن وجد في الأندلس كثير من العباد الزهاد. فلقد اشتهر موقف المرابطين من كتب الغزالي وأوامرهم المتتالية بإحراقها، كما تصدى بعض علماء الأندلس للغزالي وكتبه، فألفوا رسائل في الرد عليه، وأصبحت مما يتلقاه طلبة العلم عن مشايخهم.

ومنذ ظهور الموحدين نما وازدهر الاتجاه الصوفي حتى صدرت الأندلس للمشرق بعض زعماء التصوف من أشهرهم محي الدين ابن عربي الطائفي الحاتمي صاحب الفتوحات المكية. ويرجع المؤرخين سبب ازدهار التصوف في غرناطة زمن الإمام ابن جزري وقبله إلى ما كان ينتاب المجتمع الإسلامي في الأندلس من قلق على المستقبل وحسرة مريّة على ما كان يسقط من أراضي المسلمين في أيدي الإسبان فوجد الناس في التصوف تعزية وسلوة عن الحياة المحيطة بهم وآمن الناس بالتصوف إلى حد كبير حتى إن السلطان محمد الأول كان يتوجه إلى المتصوف أبي مروان اليحاسي في وادي آش حتى يطلب منه أن يعينه بدعواته الجحابة خلال صراعه مع الإسبان، وهذا الصنيع كان له انعكاس في ظهور المصنفات والكتب الخاصة بالتصوف نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب روضة التعريف بالحب الشريف، وكتاب استئزال اللطف الموجود في سر الوجود، لابن الخطيب.¹

* هي فرقة كلامية إسلامية، تنسب إلى أبي الحسن الأشعري، الذي خرج عن المعتزلة، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، وانتشر المذهب الأشعري في عهد وزارة نظام الملك في الدولة السلجوقية، كما تبناها المهدي بن تومرت أمير دولة الموحدين، ومن أبرز أئمتهم: أبو بكر البقلاني ت403هـ، وأبو إسحاق الشيرازي ت476هـ وأبو إسحاق الإسفراييني ت417هـ وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني ت478هـ، وأبو حامد الغزالي ت505هـ والإمام الفخر الرازي ت606هـ. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تح: كسرى صالح العلي، دار الرسالة، ط1، بيروت، 1434هـ-2013م، ص113.

* اختلفت الأقوال والآراء في أصل كلمة التصوف ومعناه فكَذلك اختلف في تاريخ نشأته فمذهب ابن خلدون وابن الجوزي أن نشأته كانت قبل سنة مائتين للهجرة لكن ابن تيمية يرى أن نشأته كانت في أوائل القرن الثاني الهجري ولم يشتهر التكلم به إلا بعد القرن الثالث، والصوفية قيل أنهم ينتسبون إلى رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مرين أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وقيل غير ذلك. ينظر: صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، ط2، دار التوحيد الرياض 1437-2016، ص16-20.

¹ أحمد الطوخي، مظاهر حضارة الأندلس، ص349.

وبجانب هذا الاتجاه كان يوجد اتجاه مخالف للاتجاه الصوفي يمكن وصفه بالاتجاه السني الذي يبحث على التزام مذهب السلف عقيدة، وسلوكاً، وقد كان الإمامان ابن عبد البر، وابن العربي، من أبرز أعلامه وأنصاره.

وأما الجانب الثاني فيتعلق بالناحية الفقهية وقد كان المذهب الفقهي السائد في الأندلس في بداية الفتح وبعده بقليل هو مذهب الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام في عصره المتوفى سنة 198هـ ثم ما لبث المذهب المالكي أن ساد الأندلس، وخاصة بعد سفر يحيى بن يحيى الليثي من الأندلس إلى المدينة وتلقيه العلم عن الإمام مالك مباشرة حيث عاد فروى الموطأ¹، وهذا لا يعني الاختصار على هذا المذهب فيفهم من النصوص أنه كان هناك جماعة من الناس على المذهب الظاهري المنسوب إلى أبي محمد علي بن حزم الفقيه، كما كان أبو جعفر بن صلت على المذهب الحنبلي، بينما نرى فتح بن موسى بن حماد شافعي المذهب وكان للفقهاء منزلة عظيمة لدى أهل غرناطة وللفقه رونق ووجاهة وكانت سمة الفقه عندهم جليلة حتى تسمى بعض السلاطين وكبار رجال الدولة باسم الفقيه ووضعت المؤلفات في الفقه منها كتاب القوانين الفقهية لابن جزري وكتاب الحلل المرموقة في اللع المنظومة للإمام ابن الخطيب وغيرها² وهي ألفية في الفقه، ولم يكن التأليف مقصور على الفقه بل شمل علوم أخرى كالتفسير والحديث والأدب وغيرها.

الفرع الثالث: الحالة الاجتماعية

لما سقطت دولة الموحدين وضعفت قواها في الأندلس وتسلبت النصرانية على إشبيلية وقرطبة وغيرها تدارك بنو الأحمر الأمر وأنشؤ في أقصى جنوب جزيرة الأندلس مملكة غرناطة سنة 635هـ، فظلت تنعم بحالة من الرخاء الاقتصادي بسبب فشوّ تجارتها وقوة صناعتها وجودة زراعتها، حتى عمّت المجتمع الغرناطي حالة من الترف لم يخفف من حدّته سوى صيحات الجهاد وأانات الاستشهاد التي كانت تعلو بين الفينة والأخرى، نتيجة للعدوان النصراني المتواصل على ما بقي من أرض في حوزة المسلمين.

ومّا يكثر على الغرناطين صفوهم ويفسد عليهم رغد عيشهم أنّ هذه المملكة الصغيرة قد وقعت بين دول نصرانية كبيرة كقشتالة وأراجون في الشمال، والبرتغال في الغرب جعلها في حالة توجس واستعداد لأي خطر يهددها من جيرانها المحيطين بها.

ولقد كان المجتمع الغرناطي يتكون من عدة طبقات كغيره من المجتمعات البشرية:

الطبقة الأولى: الملوك، والأمراء، ومن معهم من الأقرباء والأصهار، ولا يتولى الإمارة إلا من كان من الأسرة النصرانية، أو من أصهارها.

¹ ينظر: ابن جزري، القوانين الفقهية، ص 11-12.

² أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص 313.

الطبقة الثانية: الوزراء والقضاة، ورؤساء الأجناد، والحجاب، والكتاب، ولهم ديوان له رئيس تصدر عنه الرسائل الحكومية والمراسيم.

الطبقة الثالثة: العلماء، والمدرسون من أصحاب القراءات، والحديث، والفقه، وسائر العلوم الشرعية وغيرها، وطلاب العلم.

الطبقة الرابعة: الصوفية، والزهاد، والفقراء.

الطبقة الخامسة: التجار والمزارعون، وأصحاب الحرف والصناعات.

أما العبيد فلا يشكلون طبقة؛ لقلتهم وعدم تأثيرهم في الحياة الاجتماعية.

وكما كان المجتمع في غرناطة يتشكل من عدة طبقات، كان يتكون من عدة أجناس بعضها يكمل بعضها. ففيه العرب البربر المدججين وهم المسلمون الذين سكنوا فترة طويلة في مملكة قشتالة وأرجوان، وفيه بعض الأفارقة السود الذين رافقوا الجيش الإسلامي مع حركات الفتح والعبور المتواصلة من العدو المغربي إلى العدو الأندلسية وغيرها من المعاهدين وأهل الذمة.¹ ومع تنوع أجناس هذا المجتمع، فقد كانت اللغة العربية تسوده حتى في إسبانيا التي تخضع للحكم النصراني فضلا عن اليهود والنصارى داخل الدولة الإسلامية، وكان السواد الأعظم من العرب في مملكة غرناطة، وقد كانت السمات العربية واضحة في أخلاقهم وصفاتهم البدنية وألسنتهم وعاداتهم، وكان هذا المجتمع يزاول عدة أنشطة من أهمها: الزراعة، والصناعة، وخاصة صناعة الأسلحة، كما كان لهم فضل السبق في الفن المعماري الإسلامي، ولا تزال شواهد قائمة مثل قصر الحمراء، وقد كان النشاط التجاري قائما على قدم وساق داخل الدولة وخارجها مع الإيطاليين وغيرهم من الدول، كما كانت هناك اتفاقيات تجارية مع تلك الدول.²

وازداد عدد السكان في مملكة غرناطة ازديادا كبيرا بسبب سيل المهاجرين إليها من مسلمي بلنسية* ومرسية* وجيان* وإشبيلية* وقرطبة وغيرهم من قواعد الأندلس التي كانت تسقط في يد الإسبان، وكذلك يرجع سبب

¹ ينظر: العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص 93.

² ينظر: ابن جزري، القوانين الفقهية، ص 11-13. ابن جزري، تقريب الوصول، تح: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، ط 2، 1423هـ-2003، ص 16.

* بسين مهلمة مكسورة وباب خفيفة مدينة مشهورة بالأندلس تُعرف بمدينة التراب وتقع شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وأهلها خير أهل الأندلس يسمون عرب الأندلس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 490.

* هي اليوم من مدن إسبانيا الكبرى، يبلغ عدد سكانها نحو ربع مليون نسمة، سقطت في يد الإسبان سنة 641هـ. ينظر: محمد عنان، الآثار الأندلسية، ص 99.

* بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تقع في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، وينسب إليها جماعة وافرة منهم الحسن بن محمد بن أحمد الغساني من كبار المحدثين وهي من قرى أصبهان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 195-196.

* بكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة مدينة كبيرة وعظيمة وليس بالأندلس اليوم أعظم منها، وتسمى حمص أيضا، تقع غربي قرطبة وبينهما ثلاثون فرسخا، كانت عاصمة ملك الروم وكرسيه الأعظم بها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 195.

التزايد أيضا لهجرة مدجني قشتالة وأرجوان إلى غرناطة، بعد أن أنزل عليهم فقهاؤهم وأدباؤهم جام غضبهم وانتقدوا بقاءهم في البلاد التي سقطت في يد الإسبان، حتى حرر المصنفات في ذاك الشأن نحو كتاب "الجواب المختصر المروم، في تحريم سكنى المسلمين في بلاد الروم". لأبي بكر بن الفخار الجذامي (ت723هـ)، ثم إن المؤرخ ابن خلدون يوجه تهمة الخيانة إلى الذين يفضلون العيش كمُدجنين بدلاً من هجرتهم إلى البلاد الإسلامية.¹

ولقد كان مسلمو غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع يحرصون على تطبيقها، يحدوهم حماس بالغ في نصرة الإسلام وظهوره على أعدائه، إذ بعثت الحروب المتوالية مع نصارى الأندلس في نفوسهم الحمية جيلا بعد جيل، وأدركوا أن بقاءهم في تلك البلاد رهن بقاء الإسلام والتزام أحكامه.²

فالبرغم من تشديد الولاة على المحافظة على قيم الإسلام إلا أن هناك شرذمة قد كانوا يتغنون بالخمور ويقتدون بالكفار في لباسهم وهذا نتيجة ولع المغلوب بالغالب ولكن الإنكار من السلاطين وقراراتهم تهاجم بشدة هذا الأمر، حتى إن السلطان محمد الخامس أصدر قرارا ودعا الغرناطيين إلى ضرورة الإبلاغ عن أماكن بيع الخمور.³ فعناية المسلمون في غرناطة بالعلم الشرعي وتعظيم أربابه والإنكار على من يخالف وإقامة الحد عليه إن اقتضى الأمر قصد رده، مما يغرس في الأجيال حبهم للدين وتعاليمه، ولعل هذا من أسباب نبوغ ابن جزي في العلوم الشرعية.

الفرع الرابع: الحالة العلمية

مما لا شك فيه أن الأندلس منذ افتتاحها وإلى غاية سقوطها كان للعلم فيها مكانة ومنزلة ويشهد لهذا بروز جملة من العلماء الذين ذاع صيتهم في الأقطار كالإمام ابن حبان وابن جزي وغيرهما كثير واهتم أهل الأندلس بالعلم وأهله، فالعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه، ويحال عليه، وينبه قدره، ويكرم في جوار أو ابتياح حاجة¹ بل بلغ من توقيرهم للعلماء والفقهاء أن صار مدلول كلمة فقيه عندهم يُكتفى به الأمير العظيم، وفي الوقت نفسه نجد أن المشاركة يطلقون لفظ الفقيه على طلبة العلم بصفة عامة.

وجعل أهل غرناطة الأساس عنده في التعليم تدريس القرآن الكريم وأخذوا يدرسون بجانبه الشعر والترسل وقوانين اللغة العربية وتجويد الخط، وصار حُسن الخط من الميزات التي يجب أن تتوفر في طالب العلم والعلماء، ويذكر ابن خلدون نصا طريفا يثير الانتباه عن الطريقة التي كانت تتبع لتعليم الخط في الأندلس فيقول: وليس الشأن

¹ مظاهر الحضارة في الأندلس، ص70.

² طارق بن أحمد بن علي الفارس، علوم القرآن عند الإمام ابن جزي، ص77.

³ ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص102.

¹ أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص315.

في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعليم كل حرف بالانفراد على قوانين يلقتها المعلم للمتعلم، وإنما يتعلم بمحاكات الخط في كتابة الكلمات جملة ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له إلى أن تحصل له الإجابة وتتمكن في بنائه الملكة فيسمى مجيد، ويعقب الدكتور علي عبد الواحد وافي على هذا بقوله: ومن هذا يتبين أن الطريقة الحديثة التي تتبع الآن في تعليم الهجاء والتي يسميها علماء التربية الجشتالة أو طريقة الجمل والكلمات، وهي التي تقتضي أن يبدأ في الهجاء برسم الجمل والكلمات كانت متبعة منذ عهد بعيد في الأندلس وهي أمثل طريقة من الوجهة التربوية لمثارتها للواقع من جهة ولطبيعة العقل الإنساني من جهة أخرى فالواقع أن الكلمة لها مدلول في ذهن الطفل أما الحرف فلا مدلول له والعقل الإنساني ينتقل من إدراك الكل إلى إدراك أجزائه.¹

ومما أعان علماء الأندلس على النبوغ في العلوم هو ذكاء عقولهم وخفة أجسامهم وقبولهم التعليم ما لا يوجد لغيرهم، كما امتدحهم ابن خلدون بهذا.

ولم يكن أهل غرناطة يعرفون نظام المدارس كما هو معهود في الشرق الإسلامي أول الأمر بل إن أول مدرسة أنشئت كانت في النصف الأول من القرن الثامن، وبالضبط في سنة 750 هـ التي بناها أبو الحجاج يوسف الأول، تسمى بالمدرسة النصرية، بل إن معظم الطلبة كانوا يتلقون العلوم في المساجد أو في بيوت أساتذتهم نظير دفع أجرة مقابل ذلك، وكان العلماء يعتنون باختصار كتب المطولات حتى يسهل قراءتها لاشتغال أهل غرناطة بجهاد العدو، وطلب لقمة العيش نظراً لغلاء المعيشة عندهم¹، فمع وجود هذه العراقيل إلا أن الرحلة إلى المشرق (القاهرة) هي غاية الأمل لكل طالب علم في غرناطة.

وقد كان بين أهل الأندلس وعلماء الشرق الإسلامي تبادل في الكتب والمؤلفات واستفصال عما يُشكل من المسائل، كما صنع ابن الخطيب مع صديقه ابن خلدون والحال نفسه وقع لشاعر غرناطة عبد الله ابن الزمرك الذي أرسل بقصائد من وضعه إلى مصر يمدح فيها السلطان بقوق.²

فالبرغم من هذه الظروف التي كانت تشهدها البلاد من تقلبات سياسية وتدهور الأوضاع إلا أن همم أهل غرناطة لم تنثن بل تباروا في امتلاك المكاتب الخاصة³، مما يوحي اهتمامهم الشديد بنشر العلم وخدمته، وعلى إثر هذه الجهود المبذولة كان يظهر بين الفينة والأخرى علماء يتخرجون على أيادي أسيادهم يحملون مشعل التعليم والتوجيه خلفاً لأساتذتهم كالإمام ابن جزي، وأبو حيان، وابن الخطيب، وغيرهم.

¹ أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص 319.

¹ المرجع نفسه، ص 320.

² أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص 329.

³ ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس، ص 315-327.

المطلب الثاني: التعريف بالإمام ابن جُزي الغرناطي

خصصت هذا المطلب لبيان السيرة الذاتية لهذا الإمام الهمام الذي شهد له المترجمون بعلو كعبه وتبحره في مختلف وشتى مجالات المعارف والعلوم.

الفرع الأول: اسمه ونسبه

اعتنى العرب منذ زمن الجاهلية بمعرفة الأنساب، بل كان مضرب الفخر والاعتزاز في أشعارهم وقصائدهم، وقد أقرّ الإسلام هذا الأمر وإن كان من العلماء من قالو بأن علم الأنساب لا ينفع والجهل به لا يضر، وظواهر النصوص على خلاف هذا القول من ذلك قوله ﷺ في غزوة حُنين:

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ * أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ¹.**

- اسمه ونسبه: هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان بن يوسف بن جُزي* الكلبي** الأندلسي المالكي من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها²، وأصل سلفه من وَلَبَه* من حصن البراجلة نزل بها أولهم عند الفتح صحبة قريبه أبي الخطّار حسام بن ظرار الكلبي وعند خلع دعوة المرابطين كان لجده يحيى بجّيان رئاسة وانفراد وتديير.³

الفرع الثاني: كُنيته

الكُنية بضم الكاف وسكون النون مأخوذة من الكناية، تقول كُنيته عن الأمر بكذا إذا ذكرته بغير ما يُستدل به عليه صريحاً، وقد اشتهرت الكُنى عند العرب حتى رُما غلبت على الأسماء، وحقيقة الكنية ما صُدّرت بأبٍ أو أم وما عدا ذاك فهو اسم.⁴

¹ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾، رقم: 4315.

* ابن جُزي، تضبط بضمّ الجيم وفتح الزّاي بعدها ياء ساكنة، ثمّ همزة. أنظر: التمكني، نيل الابتهاج، ط2، دار طرابلس، ليبيا، 2000م، ص398.

** منسوب إلى كلب وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة. ينظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، د.ت، ص455.

² الداوودي، طبقات المفسرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1403هـ، ج2، ص85. عادل نويهض، معجم المفسرين، ط1، 1403هـ، مؤسسة نويهض الثقافية، د.ت، ص481. ابن فرحون، الديباج المذهب، تح: عبد الرحيم يونس، د.ط، دار التراث العربي، ج2، ص274. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص20. شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، د.ط، المملكة المغربية، د.ت، ج3، ص184.

* مدينة بالأندلس تقع على شاطئ المحيط الأطلنطي تمتد غربي مدينة اشبيلية على ساحل المحيط. ينظر: محمد عنان، الآثار الأندلسية، ص387.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص20.

⁴ يُنظر: ابن حجر، فتح الباري، ط1، دار الفحاء، دمشق، 1430هـ-2009م، ج6، ص685.

واتفق أهل التراجم على تكنية ابن جُزي رحمه الله بأبي القاسم، والظاهر أن مذهب ابن جُزي مذهب جمهور السلف الذين يرون جواز التكنية بكنية النبي ﷺ مطلقاً وإن كان في هذه المسألة خلاف مشهور بين العلماء وانقسموا إلى ثلاثة مذاهب، فريق رأى منع التكنية مطلقاً، وفريق يرى جواز التكنية مطلقاً، قالوا وما ورد في نهي النصوص يختص بحياته، وقال آخرون بالتفصيل، وقد أشار إلى هذا الخلاف النووي رحمه الله، حيث قال: اختلفوا في التكنية بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب:

الأول: المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمد أو لا، ثبت ذلك عن الشافعي وبه قال الظاهري.

الثاني: الجواز مطلقاً ويختص النهي بحياته.

الثالث: لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز لغيره قاله الرافعي (623هـ)، ويشبهه أن يكون هذا هو الأصح، لأن الناس لم يزالوا يفعلونه في جميع الأمصار من غير إنكار وتعقبه النووي* فقال: هذا مخالف لظاهر الحديث وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثاني.

وقد مال الحافظ ابن حجر* بعد أن ساق كلام النووي* إلى ترجيح المذهب الثالث من حيث الجواز لكن الأولى الأخذ بالمذهب الأول، فإنه أبرأ للذمة وأعظم للحرمة.¹

وحكى القاضي عياض* مذهب الجواز ونسبه إلى جمهور السلف والخلف وفي هذا الصدد يقول: "ومذهب الجمهور من السلف والخلف وفقهاء الأمصار إلى جواز كل ذلك فله أن يجمع بين اسمه وكنيته وله أن يُسمى بما شاء من الاسم والكنية، بناءً على أن كل ما تقدّم إمّا منسوخ وإما مخصوص به ﷺ".²

* هو محي الدين يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، يكنى بأبي زكرياء، شافعي المذهب سَمِعَ، من الرضى بن برهان، وعبد العزيز بن محمد الأنصاري، وأحمد المصري وأخذ عنه علاء الدين بن العطار وشمس الدين بن النقيب من أهم مصنفاته: المجموع ن المنهاج، والتبيان ولد سنة 631هـ. الذهبي، تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمان المعلمي، د.ط، دار ابن عباس، د.ت، ج4، ص1470-1471.

* هو أمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني المصري يكنى بأبي الفضل شافعي المذهب، سَمِعَ من السراج البلقيني وابن الملقن والعراقي وانتفع بعلمه خلق كثير، له مصنفات عديدة منها: تعليق التعليق، فتح الباري، توفي في شهر ذي الحجة 852هـ. ينظر: ابن العماد شذرات الذهب ج9، ص395-397.

* هو محي الدين يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني، يكنى بأبي زكرياء، شافعي المذهب سَمِعَ، من الرضى بن برهان، وعبد العزيز بن محمد الأنصاري، وأحمد المصري وأخذ عنه علاء الدين بن العطار وشمس الدين بن النقيب من أهم مصنفاته: المجموع ن المنهاج، والتبيان ولد سنة 631 هـ ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، تح: عبد الرحمان المعلمي، د.ط، دار ابن عباس، د.ت، ج4، ص1470-1471.

¹ المرجع نفسه، ج10، ص702-704، بتصرف.

* هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي البحصي، محدث ومؤرخ وفقيه، يكنى بأبي الفضل، مالكي المذهب، تقلد عدة مناصب أبرزها القضاء، من أشهر مصنفاته: إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، والشفاء بتعريف حقوق المصطفى، توفي بمراكش سنة 544هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1398هـ-1978م، ج3، ص483-485.

² أبي العباس القرطبي، المفهم شرح صحيح مسلم، تح: محي الدين وآخرون، ط6، دار ابن كثير، دمشق، 1433هـ-2012م، ج5، ص458.

الفرع الثالث: مولده ونشأته

كثير ما يُؤلي أهل التراجم تاريخ وفاة الأعلام عناية كبيرة، بالإضافة إلى ذكر جهوده المبذولة بخلاف ذكر موالدهم فعنايتهم بها أقل، واتفق أهل السير أن مولد الإمام ابن جُزي رحمه الله تعالى كان ثلاث وتسعين وست مئة بغرناطة حاضرة العلم والعلماء، واختلفوا في الشهر الذي وُلد فيه.

فقال "ولد يوم الخميس ربيع الثاني"¹، وقيل "وُلد 19 ربيع الأول من السنة نفسها"².

ونشأ الإمام ابن جُزي في بيت علم وفضل فأبوه كان صاحب طلب وسماع للحديث وكان يُوكل إليه النظر في أمر الغنائم ببلده، وفي هذا الجو الصافي والبيئة العلمية تربي وترعرع الصبي الصغير وتعلّقت عيناه بأبيه حيث يراه تُوسد إليه عظام الأمور في غرناطة، فعظّم تحصيل العلم في قلبه، بالإضافة إلى أنه ينتسب إلى أسرة عريقة ذات حسب نبيل وعلم مشهورة في الأندلس كما نوّه بهذا صاحب كتاب أعلام المغرب والأندلس حيث قال: "بنو جزي أسرة مشهورة من الأسر التي كان لها ظهور في دولة غرناطة في القرن الثامن على الخصوص، وتعود شهرتهم في غرناطة إلى نبوغ عدد من رجالهم في فنون الشريعة وفنون الأدب المختلفة ولاصطناع السلاطين النصريين لهم في خطط الكتابة والقضاء والخطابة وأشهرهم أبو القاسم"³ الأمر الذي كان له أثر واضح وجلي في تكوين شخصيته العلمية، فأجتهد ابن جُزي في الأخذ عن علماء بلده (غرناطة) التي كانت في تلك الفترة عامرة بالعلم والعلماء بشتى أنواع الفنون والمعارف، حتى برع في جميع العلوم وألّف في ذلك المؤلفات القيّمة المختلفة، فأصبح من علماء الأندلس البارزين الذين يقصدهم الطلاب من كل مكان.⁴

الفرع الرابع: عقيدته

من المعلوم والمقرر بأدلة الكتاب والسنة أن مدار قبول وردّ الأعمال عند الله متوقف على صحة الاعتقاد، وفساده وجرياً على القاعدة المشتهرة على ألسنة أهل العلم لا ينفع مع الكفر طاعة، يمكن القول أن الإمام ابن جُزي أثناء تفسيره للآيات التي لها تعلق بباب الاعتقاد قد سلك فيها منهج السلف في أغلب الأحيان فقال في معرض إثباته رؤية المؤمنين ربحهم يوم القيامة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس الآية 26]، قال الحسنى هي الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله ثم حكى قولاً آخرًا وعقّب بقوله: "والأول أصحّ لوروده في الحديث وكثرة القائلين به"⁵.

¹ محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، ص184.

² رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج3، ص78.

³ إسماعيل بن الأحمر أبو الوليد، أعلام المغرب والأندلس، ص165.

⁴ يُنظر: علوم القرآن عند ابن جُزي، ص83.

⁵ التسهيل، تح: محمد سالم هشام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ-1995م، ج2، ص546.

وقال أيضا مقررًا لهذا الأصل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ رَبُّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [سورة القيامة الآية 22]، هذا من النظر بالعين وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى وهو مذهب أهل السنة وأنكره المعتزلة* وتقولوا ناظرة بأن معناها منتظرة وهذا باطل¹.

وما قرره ابن جزري "عين الصواب في إثبات الرؤيا"، قال ابن عز الحنفي*: والمخالفة في الرؤية الجهمية* والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.² وقال في إثباته مسألة خلق الجنة والنار عند بيانه لقوله تعالى: ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة الآية 23]، أعدت دليل على أنها قد خلقت وهو مذهب الجماعة وأهل السنة، خلافا لمن قال: إنها تُخلق يوم القيامة وكذا الجنة³، وقد وافق في هذه المسألة ما عليه أئمة الاعتقاد، قال ابن عز الحنفي: "اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبعت نابعة من المعتزلة والقدرية* فأنكروا ذلك وقالوا بل يُنشؤها الله يوم القيامة".

وقال في معرض تقريره لمسألة الشفاعة عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَبَعَةٌ﴾ [سورة البقرة الآية 47]، فإن مذهب أهل الحق ثبوت شفاعة النبي والملائكة والأنبياء وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا من بعد أن يأذن الله له،⁴ وهذا القول معتمد في كتب الاعتقاد، يقول ابن القيم*: وهو يبين شروط الشفاعة: "فهذه ثلاثة أصول لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا من رضي قوله عمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله".¹

* اسم يطلق على فرقة ظهرت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، سلكت منها عقليا مغاليا في بحث المسائل العقديّة وسبب تسميتها بذلك أن رئيسها واصل بن عطاء قد طرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سرايا المسجد لأنه يرى أن الفاسق في منزلة بين المنزلتين لا كافر ولا مؤمن ومن أفكارهم القول بخلق القرآن واستحالة رؤية الله بالبصر. الشهرستاني، الملل والنحل، ص 737.

¹ التسهيل، تح: علي بن حمد الصالح، ط 1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، 1439هـ-2018، ج 4، ص 555.

* هو صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الصالح حنفي المذهب سمع من أبيه وتقلد عدة مناصب كالقضاء، والخطابة من مؤلفاته: التنبيه على مشكلات الهداية، الاتباع، النور اللامع ولد سنة 731هـ، وتوفي في ذي القعدة سنة 792هـ. ينظر: ابن العماد شذرات الذهب، ج 8، ص 558.

* نسبة إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سالم بن أحوز سنة 121هـ، مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإلحاح وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب ففاعل الكبيرة عندهم كامل الإيمان وهم فرق كثيرة. ينظر: ابن العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد، تح: هاني الحاج، د. ط، دار الإمام مالك، د. ت، ص 173.

² شرح العقيدة الطحاوية، تح: عبد المحسن التركي والأرناؤوط، ط 12، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ-1998م، ج 2، ص 614.

³ التسهيل، ج 1، ص 399.

* وهم فرقة يقولون بنفي القدر عن أفعال العباد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلين عن إرادة الله وقدرته وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تافاه عن رجل مجوسي في البصرة. ينظر: ابن العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد، ص 173-174.

⁴ التسهيل، ج 1، ص 313.

* هو محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد بن حريز الزُّرعي ثم الدمشقي، فقيه وأصولي ومفسّر ونحوي، حنبلي المذهب، أخذ عن ابن تيمية والشهاب النابلسي والقاضي تقي الدين سليمان واستفاد منه ابن عبد الهادي والقاضي برهان الدين الزرعي، من مؤلفاته: إعلام الموقعين، زاد المعاد، تحذيب =

ولم يكتفي ابن جُزي بتقرير منهج السلف فحسب بل كان يردّ على مذهب المخالفين وينقض قولهم وفق قواعد معتبرة عند العلماء كدلالة السياق وغيرها، ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [سورة النساء الآية 47]، هذه الآية هي الحاكمة في مسألة الوعيد وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات وهي الحجة لأهل السنة والقاطعة بالخوارج* والمعتزلة والمرجئة*، وذلك أن مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وحجتهم هذه الآية فإنها نصّ في هذا المعنى، ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر، ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون بالكبائر ولا بد، ويردّ على الطائفتين ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [سورة النساء الآية 47].

ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يُغفر لهم ولا بد، وأنه لا يضرب ذنب مع إيمان ويردّ عليهم ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء الآية 47]، فإنه تخصيص لبعض العصاة.²

وبعد أن أشاد بتفسير الزمخشري وبالغ في الثناء عليه، ذمّ بعض أقواله لنصرت مذهب المعتزلة، وفي هذا الصدد يقول: "ومما بين أيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبو القاسم الزمخشري، فمُسدّد النظر، بارع في الإعراب، مُتقن في علم البيان إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشربهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم فتكدر صفوه وتمرر حلوه فخذ منه ما صفا، ودع ما كدر".³

فالإمام ابن جُزي مع تقريره لعقيدة السلف والذبّ عنها وتعقّب من خالفها، إلا أنه قد خالفهم في مسألتين يجدر التنبيه عنها وبيانها، وإليك التفصيل كالآتي:

المسألة الأولى: تتعلق بمبحث قد أثير في كتب العقيدة وهو هل الأعمال تدخل في مسمى الإيمان، وابن جُزي حذا من خلال ظاهر كلامه حذو أهل الإرجاء حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

= سنن أبي داود توفي سنة 751هـ. ينظر: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ط2، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية - الرياض، 1439هـ-2018، ج5، ص170-174.

¹ عبد الرحمان جديع، الشفاعة عند أهل السنة، ط3، دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، 1430هـ-2009م، ص71.

* كل من خرج على إمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً سواء كان الخروج في زمن الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ولهم ألقاب كثيرة كالحرورية والشرأة والمارقة وأول من خرج على علي بن أبي طالب الأشعث ابن قيس الكندي، ومن أهم أفكارهم تكفير أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الأمام حقا واجبا إذ خالف السنة. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ص133.

* هي فرقة من المسلمين ومؤسس جماعتهم هو غيلان الدمشقي المتوفى سنة 105هـ، والإرجاء معناه التأخير، وسبب تلقيبهم بهذا اللقب هم المعتزلة والخوارج فكانوا يلقبون كل من خالفهم في القدر مرجئا ومن أهم اعتقاداتهم أنه لا ينفع مع الكفر طاعة كم أنه لا يضر مع الإيمان، معصية. ينظر: الشهرستاني الملل والنحل، ص157-158.

² التسهيل، ج1، ص697.

³ التسهيل، ج1، ص14.

الصِّلَحَاتِ ﴿سورة البقرة الآية 276﴾، دليل على أن الإيمان خلاف العمل لعطفه عليه، خلافاً لمن قال الإيمان اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وهذا الذي قرره بناء على ما شاع واشتهر عند اللغويين أن العطف يقتضي المغايرة يقول البراك¹: معلقاً على كلام ابن جزي: "ظاهره أنه يقرر هذا الاستدلال وهو بهذا يوافق جميع طوائف المرجئة في الاستدلال بهذه الآية على إخراج الأعمال عن مسمى الإيمان، وأهل السنة يخالفون في هذه المسألة وفي الاستدلال بالآية فيقولون العمل من الإيمان لدلائل كثيرة من الكتاب والسنة كحديث وفد عبد القيس وحديث شعب الإيمان ويقولون العطف لا يقتضي المغايرة دائماً بل منه عطف الخاص على العام ومن ذلك عطف الأعمال على الإيمان²، ثم أن ما نص عنه ابن جزي معارض لقول فقهاء الأمصار، فالإيمان قائد والعمل سائق³، وقد حكي الإجماع في هذه المسألة.

المسألة الثانية: تتعلق بمبحث الأسماء والصفات، وقد تطرّق الإمام ابن جزي لباب الأسماء والصفات الذي كثر فيه خبط الطوائف وفي الجملة قد اضطرب كلامه فيه على ثلاث مسالك:

فأحياناً يميل إلى تقرير مذهب السلف ويتعقب مذهب أهل التأويل، ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لمعنى الاستواء من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف الآية 53]، "الاستواء حيث وقع حمّله قوم على ظاهره منهم ابن أبي زيد وغيره، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله ثم استوى إلى السماء ولو كان كذلك لقال: ثم استوى إلى العرش، وتأوله الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة، قال: والحق الإيمان به من غير تكييف، فإن السلامة في التسليم والله درّ مالك ابن أنس في قوله للذي سأله عن ذلك فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة، وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة وجعفر الصادق والحسن البصري ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة"⁴.

وقال أيضاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَبْفِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن الآية 25]، "فهو من المتشابه الذي يجب التسليم له من غير تكييف، ويُردُّ علمه إلى الله"⁵.

¹ هو عبد الرحمن بن ناصر بن براك، ولد سنة 1352هـ، تتلمذ على يد كبار العلماء المعاصرين، كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد الرزاق عفيفي، عمل مدرّساً بكلية أصول الدين بالرياض وبقي بها حتى أحيل إلى التقاعد منها سنة 1420هـ. أنظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث 3، ص 21.

² التسهيل، ج 1، ص 292.

³ اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد، تح: أحمد بن علي، ط 1، دار النصيحة، المدينة النورة، 1436هـ-2015م، ج 2، ص 697.

⁴ التسهيل، ج 2، ص 304.

⁵ التسهيل، ج 1، ص 80.

وأحياناً يميل إلى مذهب أهل التأويل، كتفسيره للوجه بالرضى واليد بالإنعام والجود وعذره أنّ الكمال المطلق لله والخطأ وارد، وربما سبق قلم منه، ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَتٌ﴾ [سورة المائدة الآية 66]، قال: "عبارة عن إنعامه وجوده".¹

وفي مواطن يحكي القولين، أي قول السلف وقول أهل التأويل، ويتعقب مذهب أهل التأويل كما يتعقب مذهب السلف، ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى قال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَمِ وَالْمَكِّيَّةِ وَفُضِيَ- الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [سورة البقرة الآية 208]، "وتأويله عند المتأولين يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا، وهي عند السلف الصالح من المتشابه يجب الإيمان بها من غير تكييف ويحتمل ألا تكون من المتشابه لأن قوله ينظرون بمعنى يطلبون بجهلهم"² كقولهم: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ [سورة البقرة الآية 117]، وقال أيضاً متعقبا لقول أهل التأويل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ بَوْقُ أَيُّدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح الآية 10]، قال: "وتأوله المتأولون بأن يد الله معناه النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا".³

وفي الجملة فإن الإمام ابن حزمي كثير ما يورد قول السلف في تفسيره للآيات التي لها بعد عقدي وهذه قرينة على وجاهة قولهم عنده خاصة وقد نص في مقدمة تفسيره أن نزه كتابه عن الأقوال الضعيفة، ولا غرابة في ميله لعقيدة السلف وتقريره لمذهبهم، فهم أعلم الناس، وأشدّهم ورعا وإنصافا، وأبعدهم عن القول على الله بما لا يعلم وفي هذا الصدد يقول الإمام الألويسي* موصياً لابنه لما حضرته الوفاة: "يا بني عليك في باب العقائد بعقيدة السلف، فإنها أسلم بل أنصف، وهي أعلم وأحكم، فهي أبعد عن القول على الله بما لا يعلم، وأنى لعناكب الأفهام والأوهام أن تعرج بلعابها إلى حمى ذي الجلال والإكرام، هيهات هيهات ذلك حمى منيع جليل، حمى عن جبريل وإسرافيل".⁴

¹ التسهيل، ج2، ص195.

² التسهيل، ج1، ص105.

³ التسهيل، ج2، ص347-348.

* هو محمود شهاب الدين الحسيني الألويسي، يكتفى بأبو الثناء مفسر، ومحدث، وفقه، وأديب، وشاعر، شافعي المذهب، تقلّد عدة مناصب، منها الإفتاء وغيرها، من أشهر مصنّفاته: روح المعاني، توفي سنة 1270هـ. ينظر: إبراهيم الدروبي، البغداديون وأخبارهم ومجالاتهم، د.ط، مطبعة الرابطة، بغداد، 1377هـ-1985م، ص26.

⁴ يوسف بن علي بن حامد الورتلي، قواعد لتفسير وتطبيقاتها، ط1، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ-2015م، ص21.

الفرع الخامس: مذهبه الفقهي

كان أهل الأندلس بادئ الأمر على مذهب الإمام الأوزاعي، وكانت الفتية دائرة عليه أيام عبد الرحمن ابن معاوية وصدرًا من أيام هشام ابن عبد الرحمن، ثم أخذ أهل الأندلس¹، يتفقهون على مذهب أبي عبد الله مالك ابن أنس الأصبحي المدني إمام دار الهجرة، ويرجع السبب في انتقال أهل الأندلس من مذهب الأوزاعي إلى مذهب مالك إلى أمرين نصّ عليهما صاحب كتاب نفخ الطيب حيث قال: "إعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي وأهل الشام منذ أول الفتح، ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وهو ثالث الولاة بالأندلس من الأمويين، انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس، وأهل المدينة، فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا، بل والمغرب وذلك برأي الحكم واختياره، واختلفوا في السبب المقتضي لذلك، فذهب الجمهور أن ذلك سببه رحلة علماء الأندلس إلى المدينة، فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره، فأعظموه، وقيل إن الإمام مالك سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، ووصف له سيرته، فأعجبت مالك لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية، وكابد لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والإهانة وغيرهما على ما هو مشهور في كتب التاريخ، فقال الإمام مالك رضي الله عنه لذلك المخبر، نسأل الله أن يزيّن حرمنا بملككم، أو كلاما يقرب من هذا المعنى، فتمت المسألة إلى ملك الأندلس، مع ما علم من جلالة مالك ودينه، فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الأوزاعي".²

والإمام ابن جزي قد درس على يده علماء غرناطة، وقد عُتُو بتدريس وشرح الكتب المعتمدة في مذهب الإمام مالك باعتباره سائدا في المغرب والأندلس فأخذ الإمام ابن جزي عن هؤلاء، حتى صار من أعيان المالكية وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه القوانين الفقهية حيث قال: "فهذا كتاب في قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه، إذ هو الذي اختاره أهل بلدنا بالأندلس وسائر المغرب".³

ومما يُحسب للإمام ابن جزي أنه لم يكن حبيس مذهب الإمام مالك، بل كان ييسط القول ويذكر الخلاف وأقوال المذاهب الأخرى كالشافعي والحنفي والحنبلي والظاهري وغيرهم، مما يدلّ على سعة علمه وشمول نظره فإنّ مذاهبهم كما قال طرق موصلة إلى الله، ومن أمثلة ذلك قوله عند تفسيره للآية الخامسة من سورة المائدة: ﴿وَأذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾، هذا أمر بالتسمية على الصيد ويجري الذبح مجراها، وقد اختلف الناس في حكم التسمية:

- فقال: الظاهرية إنها واجبة، حملا للأمر على الوجوب فإن تركت التسمية عمدا أو نسيانا لم تأكل.

¹ عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 280.

² المقرئ، نفخ الطيب، ص 230.

³ ابن جزي، القوانين الفقهية، د. ط، د. ت، ص 6-7.

- وقال الشافعية إنها مستحبة حملاً للأمر على الندب وتؤكل عندهم سواء تركت التسمية عمداً أو نسياناً.
- ومذهب مالك أنه إن تركت التسمية عمداً لم تأكل، وإن تركت نسياناً أكلت، فهي واجبة عنده مع الذكر ساقطة مع النسيان.¹

ومن باب إنصاف الإمام ابن جُزي فقد كان بعيداً عن التعصب المذهبي، ويؤكد هذا تعقبه لأقوال أئمة مذهبه في مواضع كثيرة من تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك قوله عند بيانه لقوله تعالى: ﴿بَقُلْنَا إِضْرِبُوهُ بِعَظْمٍ﴾ [سورة البقرة الآية 72]. "استدلّ مالك بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني وهو ضعيف. واستدلوا (المالكية) بها على أن القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك".²

وملخص القول: أن الإمام ابن جُزي ليس مقلداً للمذهب المالكي يورد أقوال أربابه من دون تمييز بين صحيحها وضعيفها بل كان يجري على قواعد المحققين في نصر وتعقبه المذهب المختار، شعاره الدليل وقوة الحجة.

ومما سبق نستنتج أن الفقه المالكي في الأندلس قد مرّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى: التقليد المخض، واتخذ طابع التمسك بفروع المذهب المالكي دون الخروج عنها، وظهر علماء وفقهاء كانوا أقطاب في مذهب الإمام مالك، تأثروا بعلمه وسيرته وأخلاقه، ويرجع الفضل لهم في تثبيت دعائمه وسيادته بالإضافة إلى الحكام الذين تبنا هذا المذهب وجعلوه المذهب الرسمي للدولة.

وأما المرحلة الثانية: فقد امتازت بإبراز المذاهب عن طريق الفقه المقارن، وذلك بذكر اختلاف العلماء في المسائل والأحكام، ثم ترجيح المذاهب المختار استناداً للحجة والدليل، ومن أهم الكتب المدونة في هذا المجال بداية المجتهد ونهاية المقتصد للقاضي أبو الوليد بن رشد، وعليه يمكن أن ندرج الإمام ابن جُزي من خلال تفسيره وكتابه الشّهير بالقوانين الفقهية، أنه كان يخذل حذوى الإمام أبو الوليد ابن رشد، فهو بهذا الصنيع الذي تضمّنته كتبه يكون قد شارف على درجة الاجتهاد.³

الفرع السادس: وفاته

عاش الإمام ابن جُزي ثمانٍ وأربعين سنة، وانتفع بعلمه خلق كثير، وبعد هذه الحياة العلمية الحافلة بجهد البيان والسنام فقد وهو يجرّض الناس ويشحذ بصائرهم ويثبّتهم يوم الكائنة بطريف*، ضحوه يوم الاثنين، السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبع مئة تقبل الله شهادته.¹

¹ التسهيل، ج 2، ص 148.

² التسهيل، ج 1، ص 326.

³ مصطفى إبراهيم، مدرسة التفسير في الأندلس، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م، ص 66.

* يقول المقرئ: وواقعة طريف هذه استشهد فيها جماعة من الأكابر وغيرهم وكان سببها أن السلطان فاس أمير المسلمين أبا الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني جاز البحر إلى جزيرة الأندلس برسم الجهاد ونصرة أهلها على عدوهم حسبما جرت بذلك عادة سلفه وغيرهم من ملوك =

وقد تمنى الإمام ابن جزي الشهادة في سبيل الله فتحقق له ما كان يصبو إليه ويرجوه، وفي هذا الصدد يقول صاحب نيل الابتهاج: "قال ابن لسان الدين الخطيب أنشدني من آخر شعره:

قصدي المؤمل في جهري وإسراري *** ومطلبى من إلهى الواحد الباري
شهادة في سبيل الله خالصة *** تمحوا ذنوبي وتجنني من النار
إن المعاصي رجس لا يطهرها *** إلا الصوارم من أيمان كفار

ثم قال في اليوم: أرجو أن يعطيني الله ما سألت في هذه الأبيات فقال الوزير فقلت له: وجعلت للكفار يمينا فلو كان غير هذا اللفظ موضعه فقال والحطمة في الناس من أيدي الكفار قال: فكان آخر عهدي به².

المطلب الثالث: الحياة العلمية للإمام ابن جزي الغرناطي

بعد عرض تفصيلي في المطلب السابق للحياة الذاتية لإمام أهل الأندلس في زمانه، سألنا في هذا المطلب جوانب الحياة العلمية لهذا الإمام وذلك بذكر شيوخه وتلامذته ومكانته وآثاره التي خلفها، وإليك تفصيل ذلك بعد ذكره مُجَمَّلاً.

الفرع الأول: شيوخه

لما سقطت بعض العواصم التي كانت صروحاً للعلم وأهله في بلاد الأندلس كقرطبة وغيرها في أيدي العدو الإسباني، فكانت الوجهة التالية للعلماء سيئهم إلى غرناطة، باعتبار أنها لا تزال في حوزة المسلمين، ومن ثم زخر مسقط الإمام ابن جزي بثلة جديدة من الأعلام تعددت مشاربه وتنوعت معارفه فكان لهذا الخطب الجلل الذي نزل ببعض معاقل العلم فضلاً وأثر إيجابي، في لزوم طلاب العلم مملكة غرناطة التي كفتهم عناء الرحلة لما لها من تعداد ثري في أنواع المعارف والعلوم، ولعل هذا من جملة الأسباب التي أعانت ابن جزي على تحصيل غزير، وقد تتلمذ هذا الأخير على جملة من الشيوخ الفضلاء والأعلام النبلاء نوردتهم بحسب ترتيب وفياتهم كالآتي:

- أبو جعفر: هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين الثقفي، العاصمي، الجياني المولد، الغرناطي المنشأ، محدث، وناقد ونحوي، وأصولي، وأديب، ومقرئ، ومفسر، ومؤرخ ولد ببيان سنة 627هـ، وتوفي بغرناطة سنة 708هـ وقد بلغ ثمانين سنة، من تأليفه:

= العدو، وشمر عن ساعد الاجتهاد وجر من الجيوش الإسلامية نحو من ستين ألفاً وجاء إليه أهل الأندلس بقصد الإمداد وسلطانهم ابن الأحمر ومن معه من الأجناد، ففضى الله الذي لا مرد لما قدره، أن سارة تلك الجموع منكسرة ورجع السلطان أبو الحسن مغلولاً وأضحى حسام الهزيمة عليه ومن معه مسلولاً. ينظر: نفح الطيب، ج5، ص14.

¹ المقرئ، أزهار الرياض، ج3، ص187.

² أحمد باب التنبكي، نيل الابتهاج، ص398-399.

- تعليقاً على كتاب سيويه؛
- الذيل على صلة ابن بشكوال وسمّاه صلة الصلة البشكولية؛
- ملاك التأويل في المتشابه اللفظي من التنزيل؛
- شرح الإشارة للباجي في الأصول؛
- وكتاب الزمان والمكان.¹
- **ابن الشاط:** وهو أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري السبتي الإمام العالم الجليل وحيد دهره وفريد عصره، الحافظ النظّار، المؤلف المعروف، بجودة الفكر والاختصار والتحلي بالوقار، أخذ عن الحافظ المحاسبي، وأجازة أبو القاسم بن البراء، وابن أبي الدنيا وابن غماز، وأبو جعفر الطباع، وأبو الحسن بن أبي الربيع وغيره وعنه أبو زكرياء بن الهذيل، وابن الحباب، والقاضي أبو بكر بن شيرين وجماعة له تأليف قيمة منها:
 - أنوار البروق في تعقب مسائل الفروق؛
 - تحفة الرائض في علم الفرائض؛
 - تحرير الجواب في توفير الثواب؛
 ولد سنة 643هـ، وتوفي سنة 723هـ.²
- **ابن الكماد:** هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي من أهل بلش بالأندلس، الإمام المقرئ المحدث الثبت العالم العمدة، كان من صدور الفضلاء قديم السماع والرحلة، أعرّف الناس بعقد الشروط متفنناً في علوم شتى، دخل العدو وتحوّل في بلاد الأندلس وأخذ عن أعلام منهم أبوه الحسن بن باق، وعلي بن أبي الأحوص وأبو جعفر الطباع وأجازة، وأبو الحسن علي بن لب، والقاضي أبو بكر محمد بن الدباغ وقطب الدين القسطلاني، وغيرهم من أهل المشرق والمغرب، وأجازة أبو اليمن بن عساكر وابن أبي الدنيا، وأخذ عنه ابن الفخّار وغيره، تصدرّ للإقراء بغرناطة، وروى عنه ابن جزي وأجازة توفي سنة 712هـ من أهم آثاره:
 - الممتع في تهذيب المقنع في القراءات.³
- **ابن رشيد:** هو أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري السبتي، الإمام الخطيب الذي له في كل فن أوفى نصيب، المحدث المتبحر في علوم الإسناد والرواية مع تمكن من الدراية، العالم الحافظ النظّار الرحلة، المتحلي بالوقار،

¹ رضا كحالة، معجم المؤلفين ج 1 ص 88. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرنؤوط، ج 8، ص 31.

² محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 217.

³ المرجع نفسه، ج 1، ص 212.

وبالحديث كان اشتغاله وفيه عظم احتفاله، رحل لأداء فريضة الحج سنة 683هـ، ودخل إفريقيا ومصر، والحجاز والشام وأخذ عن كثير من الأئمة الأعلام، منهم الحافظ عبد العظيم المنذري وأخذ عنه أبو البركات ابن الحاج وابن جزي وغيرهم ولد سنة 756هـ.¹ وتوفي في المحرم بفاس سنة 721هـ له مؤلفات كثيرة منها.

- ترجمان التراجم؛
- السنن الأبين في السند المعنعن؛
- المحاكمة بين البخاري ومسلم؛
- أحكام التأسيس في أحكام التحنيس؛
- الإضاءات والإنارات.

وذكر بعضهم أن الإمام ابن رشيد كان ظاهري المذهب والمعروف أنه كان مالكيًا، كما جنح إلى هذا القول صاحب كتاب أزهار الرياض.²

— **الطنجالي:** هو محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن عمر بن يوسف بن علي بن خالد ابن عبد الرحمان ابن حميد الهاشمي، لوشي الأصل، ما لقي النشأة، من شيوخه الذين قرأ عليهم والده، وأبو عمر بن حوط الله، والرواية أبو الوليد بن العطار والمحدث أبو عبد الله بن عياش، والعباس أحمد ابن عبد الله بن محمد الطبري وغيرهم. ولد بمالقة في رجب سنة أربعين وستمائة، وتوفي بمالقة في يوم الخميس الثامن لجمادى الأولى من عام أربع وعشرين وسبعمائة وقد ناهز الثمانين سنة.³

كما روى ابن جزي عن قرابة ثلاث عشرة رجلاً عدّد أسماءهم تلميذه ابن الخطيب في كتابه الإحاطة كأبي الحسن بن مستقور، والشيخ الوزير أبو محمد عبد الله بن أحمد المؤذن، والرواية الممسّن أبو الوليد الحضري وأبو زكرياء البرشاني، والخطيب أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص والقاضي أبي عبد الله بن برطال والشيخ الوزير ابن أبي عامر بن ربيع.

الفرع الثاني: تلاميذه

من المعلوم أن الإمام ابن جزي كان صاحب مكانة علمية في غرناطة، فكان هذا الأمر سببا وجيها ودافعا محفزا لإقبال الطلاب عليه قصد النهل من علمه الفياض، ولقد تخرج على يدي هذا الإمام ثلة من جهابذة العلماء، وفطاحلة الكتاب والقضاة ومن جملة أولئك:

¹ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص217.

² المقري، أزهار الرياض، ج2، ص351.

³ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص245-247.

— ذو الوزارتين ابن الخطيب: هكذا اشتهر وهو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد التلمساني الغرناطي الأديب الأملعي، المتبحر في العلوم الحامل لواء المنشور والمنظوم صاحب الفنون المتنوعة والتأليف العجيبة أخذ عن أعلام كثر منهم أبو الحسن القيجاطي، وأبو القاسم بن جزي، وابن الفخار، وأخذ عنه ابن زُمر، وأبو بكر بن عاصم وُلد سنة 713هـ، وقتل بفاس في خبر طويل الذيل فاتح عام 776هـ ودفن بمقبرة باب المحروق.¹ له تصانيف كثيرة بلغت نحواً من ستين مؤلفاً منها:

- الإحاطة في أخبار غرناطة؛
- اللوحة البدرية في الدولة النصرية؛
- الكتيبة الكامنة في أدباء المئة الثامنة؛
- سد الذريعة في تفضيل الشريعة؛
- وكتاب الوزارة ومقاومة السياسية؛
- رقم الحلل في نظم الدول؛
- وطرفة العصر في دولة بن ناصر؛
- واستنزال اللطف الموجود في سرّ الوجود.²

— القاضي النباهي: وهو الإمام العالم العلامة علي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن الخدامي المالقي النباهي، يكنى بأبي الحسن، واشتهر بابن الحسن قاضي الجماعة بغرناطة وكان من أكابر المشهورين بها، متفنن في منقول العلوم ومعقولها، أثنى عليه ابن الخطيب، وذكر أن ولادته عام ثلاثة عشر وسبع مئة، أخذ عن أبي محمد عبد الله بن أحمد التّجّي الموطأ، والشفاء وأكثر الصحيحين، وأبو جعفر الطنجالي وقرأ على الفقيه الحاج أبي القاسم بن أحمد الحضرمي بعض مختصرات ابن الحاجب، وتأخرت وفاته عن ابن الخطيب بحيث أنه كان حياً عام اثنين وتسعين وسبع مئة ومن تأليفه:

- بحث في مسألة الدعاء بعد الصلاة رام فيها الرد على الشيخ الإمام أبي إسحاق الشاطبي صاحب الاعتصام والموافقات.
- المرتبة العليا في مسائل القضاء والفتيا في جزأين.³

¹ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 230.

² المقرئ أزهار الرياض، ج 1، ص 189-190.

³ المرجع نفسه، ج 1، ص 189-190.

- **عبد الحق بن عطية:** هو عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة، بن أحمد بن عبد الرحمن، بن غالب بن عطية، يكنى بأبي محمد وهو من كبار صدور أعيان الأندلس، وبنيته بيت القضاة والعلماء والخطباء وهو من ولد الإمام العالم المجتهد ابن عطية المفسر كفاه شرفاً هذا الجدد، تتلمذ على يد أبي الحسن القيجالي والأستاذ أبي القاسم ابن جزري وغيرهم، ولد بوادي آش في أواخر عام تسعة وسبع مائة.
- **أبو محمد الكاتب:** هو عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن جزري من أصل غرناطة أديب حافظ قام على فن العربية، طرف في الإدراك جيد النظم، مطواع القريحة أخذ عن والده الشهيد أبي القاسم أبعاضاً من كتب عدة في فنون مختلفة كبعض من صحيح مسلم، وبعض صحيح البخاري، وبعض الجامع للترمذي، وبعض السنن للنسائي وبعض موطأ مالك ابن أنس، وأجاز له رواية الكتب المذكورة عنه، إجازة عامة، وقرأ على قاضي الجماعة أبو البركات بن الحاج قعد للإقراء معيدا ومستقلاً ثم تقدم للقضاء على زمن الحداثة في دولة السلطان أبي الحاج بن نصر، ولم يذكر أهل التراجم سنة وفاته.¹
- **أبو بكر ابن جزري:** هو أحمد بن محمد بن أحمد بن جزري الكلبي، من أهل الفضل والنزاهة والهمة، معروف بحسن السمات، واستقامة الطريقة، قرأ على والده ولازمه واستظهر بعض تأليفه، وقرأ على بعض معاصري أبيه ثم ارتسم في الكتابة السلطانية لأول دولة أبي الحجاج بن نصر وولي القضاء ببرجدة، ثم بوادي آش، وتولى الخطابة بالجامع الأعظم بغرناطة خلفاً لشيخه أبو سعيد فرج بن لب، عام اثنين وثمانين وسبع مئة فبقي في الخطابة ثلاثة أعوام ثم توفي في أواخر خمس وثمانين وسبع مئة، من تأليفه:
 - تقييد في الفقه على كتاب والده المسمى بالقوانين الفقهية.
 - ورجز في الفرائض.²
- **أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزري الكلبي:** الكاتب المجيد ذو الرأي السديد، أعجوبة الزمان في الشر والنظم مع الإتقان الفقيه، العالم البصير بالحديث، أخذ عن والده توفي سنة 757 هـ بفاس بالمغرب، ومن جملة أعماله بالإضافة إلى أنه كان صاحب باع في نظم الشعر جمعه لرحلة العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف (ابن بطوطة).³
- **الشُّدَيْد:** هو محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الانصاري يكنى أبا عبد الله ويعرف بالشديد على بنية التصغير من أصل الطلب والذكاء، جيباني الأصل قرأ القرآن على والده وحفظ كتباً كالرسالة لأبي محمد بن أبي زيد

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص923-939.

² المقرئ أزهار الرياض، ج3، ص187-188.

³ محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص213، وفيات الونشريسي، ص46.

وعرضها على ولي الله أبي عبد الله الطنجاني وأجازه ثم على ولده الخطيب أبي بكر وقرأ عليه من القرآن وجود بحرف نافع على شيخنا أبي البركات وتلا على شيخنا أبي القاسم بن جزي ثم رحل إلى المغرب وأخذ عن أشياخها، ولد بمالقة في عشر ربيع الأول من عام عشر وسبعمئة، وُلِّيَ الحسبة بمالقة.¹

الفرع الثالث: آثار ابن جزي

لم يقتصر الإمام ابن جزي على الخطابة والتدريس للطلاب والفتيا، بل كان صاحب تأليف وتصانيف عديدة ومفيدة أذكر منها:

- التسهيل لعلوم التنزيل؛²

- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم؛³

- الأنوار السنية في الألفاظ السنية:⁴ وقد صحت وثبتت تسميته ونسبته إلى الإمام ابن جزي، كما صرح بذلك مؤلفه في مقدمة كتابه، حيث قال: "وقدّمت في أوائل هذا الكتاب بابا في كلمات رواها النبي ﷺ عن ربّه تعالى، وختمته بأدعية مروية عنه ﷺ، وسمّيته كتاب الأنوار السنية في الألفاظ السنية"، وهو كتاب مختصر في أحاديث مختارة من الصحيحين أو أحدهما مرتبة على الأبواب الشرعية، يشتمل على حوالي ثمانمائة حديث، وانتهج ابن جزي طريقة الإمام القضاعي* في مصنّفه، إلا أنه قد فارقه في ثلاث نقاط جوهرية:

• اشتراط الصّحة في كل كتبه؛

• الشمولية لجميع الأبواب وأحكام الدين؛

• الترتيب على طريقة الكتب العلمية.

فهو بحق مختصر يفيد منه المبتدئ ويستذكر منه المنتهي،⁵ وقد حُقق مؤخرًا على يد ظافر بن حسن آل جبعان وصدرت الطبعة الأولى منه سنة 1435هـ.

¹ ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص196-200.

² لم أقف في كتب التراجم التي رجعت إليها كالإحاطة، إلى من أشار إلى أن التفسير من جملة مؤلفاته مع إقرارهم بأنه مفسر حاذق، بل عدّه الداوودي من جملة أئمة هذا الفن، لذا خصّه بترجمة في كتابه المشهور طبقات المفسّرين، وجبر ما غفل عنه شيخه السيوطي في كتابه الطبقات.

³ ينظر: المقرئ، أزهار الرياض، ج3، ص184. ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة ج3، ص22.

⁴ قال محقق كتاب تقريب الوصول، طبع بمطابع السعادة بالقاهرة سنة 1347هـ، وتوجد منه نسخ خطية بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: (6150)، 7307، 9260)، كما طبع عن مخطوطه أصلية بال مكتبة الكنفورية، دار الكتاب، الجزائر، 1983م. ينظر: تقريب الوصول، ص23.

* ألف مصنّفًا جمع فيه الآثار التي تتعلق بالأدب والرفائق، فسار ابن جزي على سيرته وخالفه في أن خصّ كتابه بذكر جميع أبواب العلم.

⁵ ينظر: ابن جزي، الأنوار السنية، تح: ظافر بن حسن، 1435هـ، ص57-60.

- كتاب الدعوات والأذكار المخرجة في صحيح الأخبار؛¹
- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية² والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية؛³ هذا هو الاسم الصحيح الذي نصّ عليه المحققون للكتاب، وسمّاه بعضهم قوانين الأحكام الشرعية، ويشتهر بين الباحثين وطلاب العلم باسم "القوانين الفقهية"، وقد حظي بمكانة كبيرة عند علماء المذهب، فكتب العمدة ترجع إليه في المسائل، مثل: شرح خليل الموسوم بمواهب الجليل، وكالخرشي وغيرهما.
- وقد أوضح الإمام منهجه في مقدمة كتاب بشكل لا غبار عليه، ومن أبرز ما ذكر أنه تميّز عن غيره بثلاثة فوائد:
- أنه جمع بين المذهب المالكي وذكر الخلاف العالي، بخلاف غيره من الكتب، فإنها في المذهب خاصة أو في الخلاف العالي خاصة.
- حسن التقسيم والترتيب: يقول ابن جزي مشيدا بهذا: "الفائدة الثانية أنا نمقناه بحسب الترتيب وسهّلناه بالتهذيب والتقريب، فكم فيه من تقسيم قسيم، وتفصيل أصيل، يقرب البعيد ويلين الشديد".
- الجمع بين الإيجاز والبيان: يقول ابن جزي في هذا الصدد: "الفائدة الثالثة أنا قصدنا فيه الجمع بين الإيجاز والبيان، على أنهما قلما يجتمعان، فجاء بعون الله سهل العبارة لطيف الإشارة، تام المعاني مختصر الألفاظ، حقيقا بأن يلهج به الحفاظ.
- ويظهر أن ابن جزي الغرناطي قد سبق زمانه في منهج التصنيف الفقهي، فاستطاع أن يجمع بين المذهب المالكي والخلاف العالي، وبين الاختصار والبيان، وحسن التقصير والترتيب، وكان غرضه تقريب الفقه للراغبين، وتسهيله على الطالبين، فجاء كتابه سهل المطالب، قريب المآخذ، مستوفيا لمقاصده، غير مُخلّ بشيء من فوائده، ولشدة أهمية الكتاب ومكانته قد نُشر عدّة مرات، وطُبِعَ عدّة طبعات من أقدمها:
- طبعة دار النهضة بتونس 1344هـ؛
- طبعة فاس بالمغرب 1355هـ؛
- طبعة دار الجليل، وطبعة دار الفكر.⁴

¹ ذكره صاحب أزهار الرياض ج3، ص185. والداودي طبقات المفسرين ج2، ص86.

² ذكره ابن الخطيب في الإحاطة وغالب من ترجم لإمام ابن جزي، ج3، ص22.

³ الإحاطة ج3، ص22. طبقات المفسرين للداودي ج2، ص86.

⁴ ابن جزي، القوانين الفقهية، تح: محمد بن سيدي محمد مولاي، ص24-36.

- النور المبين في قواعد عقائد الدين؛¹
- المختصر البارع في قراءة نافع؛²
- أصول القراءات الستة غير نافع؛³
- الفوائد العامة في لحن العامة؛⁴
- تقريب الوصول إلى علم الأصول؛⁵ وأجمع كل من تعرض لهذه الكتاب بالذكر على أن اسمه تقريب الوصول إلى علم الأصول وأن مؤلفه الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي وقد صرح بذلك مؤلفه في مقدمة كتابه فقال: "وسميته تقريب الوصول إلى علم الأصول".
- وقصد ابن جزي من وراء تأليفه لهذا الكتاب أن يضرب ابنه محمد بسهم في هذا العلم أي علم أصول الفقه فهو كالمُهمّد لقراءة المطوّلات من كُتب الأصول، وذكر هذا السبب في مقدمة كتابه حيث قال: "وإني أحببت أن يضرب ابني محمد أسعده الله في هذا العلم بسهمه فصنفت هذا الكتاب".
- وقد اعتمد الإمام ابن جزي في تقريره للمسائل الأصولية التي حواها كتابه على أمهات الكتب في هذا الفن كالمستصفي للإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة 505هـ، وشرح تنقيح الفصول للقرافي والمنتهى لابن الحاجب بالإضافة إلى ما كانت تحويه ذاكرته من الفوائد التي جمعها واستفادها من تتلمذ على أيديهم. وقد تميز هذا الكتاب بميزات عديدة أوجزها في النقاط التالية:

- **أولاً:** أن مؤلفه سلك فيه مسلك الاختصار، كما تحاشا فيه التكرار
- **ثانياً:** أن التعاريف التي ساقها فيه تميزت بالدقة والوضوح في الغالب
- **ثالثاً:** أن مؤلفه حرره بأسلوب واضح بسيط بعيد عن الغرابة والخفاء، والغموض، وهذا قل أن يوجد في غيره، فإن أغلب المختصرات مليئة بالمغلقات، بل في بعضها أُلغاز قد تخفى حتى على صاحب المكنة والإتقان.⁶

¹ ذكره ابن الخطيب، الإحاطة ج3، ص22.

² انظر شجرة النور الزكية، ج1، ص212. توجد منه نسخة خطية بثونس تحت رقم: 386.

³ ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ج3، ص22.

⁴ ذكره محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج1، ص212، الإحاطة، ج3، ص22.

⁵ ذكره ابن الخطيب ج3، ص22، وغيره، وقد حقق الكتاب مرتين وتولت نشره دار العواصم، ودار التراث الإسلامي والطبعة الأولى سنة 1990، 1410هـ، تحقيق محمد علي فركوس.

⁶ ينظر: ابن جزي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تح: للشنقيطي، ص57.

ونظرا لهذه الميزات وغيرها فالكتاب قد لقي إشادة كل من اطلع عليه وذلك لما يحويه من معلومات ومباحث هامة ودقيقة بعيدة عن التعقيد مع سهولة العبارة وجزالة الأسلوب، وقد حُقق مرتين، وكلا التحقيقين لا يخلو من فوائد إلا أنّ تحقيق الشنقيطي وهو الذي اطلعت عليه، قد حلاه بتعليقات نفيسة، وزينة التحقيق في التعليق كما قيل. بالإضافة إلى أنه طبع عدة طبعات من أجملها طبعة دار الإمام ابن حزم التي صدرت بتاريخ 2003/1423.

وبعد تعدد المصادر والمؤلفات التي طُبِع بعضها ولا يزال الأغلب منها حبيس الرفوف لم تصل إليه بعد يد الطباعة والتحقيق، يظهر جليا أن الإمام ابن جزي إمام موسوعي دَوّن في فنون عديدة كال تفسير والحديث والقراءات والعربية والفقه والعقيدة، والسمة الغالبة على كتبه التي اطلعت على بعضها أنه سلك منهج الاختصار في تقريب المسائل وتقريرها مع دقة الأسلوب والبعد عن الغموض والخفاء، والسبب في اعتماده لهذا المنهج هو مراعات ما كانت تمر به الأندلس من اضطراب على مختلف الأصعدة واشتغال أهل الأندلس بجهاد العدو الإسباني الذي ظل يتحين الفرصة للاستيلاء على أبرز معاقل المسلمين لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم وكسر شوكتهم.

الفرع الرابع: مكانته وشعره

لقد تبوأ الإمام ابن جزي مكانة عظيمة ودرجة عالية رفيعة بين علماء الأمة منذ بروزه، ولم تكن شهرة الإمام قاصرة على بلده وموطنه الأندلس فقط، بل ذاع صيته وبلغ جميع الأقطار ومختلف الأمصار، ويرجع السبب في ظهوره إلى تعدد معارفه، وإتقانه لشتى فنون الشريعة، وتصانيفه في الفقه، والحديث والأصول، والتفسير، والقراءات، واللغة، والعقيدة، أكبر شاهد ودليل، وقد انتفعا بما خلق لا يحصي عددهم إلا الله تقدس في علاه، فنال بذلك حسن الثناء وعظيم التقدير من قبل العلماء وإليك نص كلامهم كالاتي:

قال صاحب معجم المفسرين عند ترجمته لهذا الإمام "فقيه مالكي عالم بالأصول والتفسير واللغة من أهل غرناطة ومن شيوخ لسان الدين ابن الخطيب".¹

وقال صاحب كتاب شجرة النور الزكية مشيدا بحفظه وإتقانه: "هو محمد بن أحمد الكلب من ذوي الأصالة والنباهة والعدالة الإمام الحافظ العمدة المتقن".²

وقال لسان الدين ابن الخطيب واصفا لأخلاقه وورعه وشدة ضبطه للأقوال "كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتنيات من حُرّ النَّشَب، والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها، حافظا، قائما على التدريس، مشاركا في فنون من العربية، والفقه، والأصول، والقراءات، والحديث، والأدب، حافظا للتفسير،

¹ عادل نويهض، معجم المفسرين، ص 481.

² محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 212.

مستوعبا للأقوال، جماعة للكتب، مولى الخزانة، حسن المجلس، ممتع المحاضرة، قريب الغور، صحيح الباطن، تقدّم خطيباً بالمجلس الأعظم من بلده على حداثة سنّه، فأتفق على فضله، وجرى على سنن أصالته¹. وقال ابن الأحمر مشيداً بتبحره وتحصيله "أبو القاسم محمد كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة وكان فقيهاً إماماً، عالماً بجميع العلوم، محصّلاً، قارب درجة الاجتهاد، ودون وصّف في كل فن، وكان أحد أهل القُتيا بغرناطة"². وقال تلميذه الحضرمي* مثنياً على مروءته وأدبه "كان رجلاً ذا مروءة كاملة، حافظاً متفناً ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعقّة وطهارة، وشهرته ديناً وعلماً أغنت عن التعريف به"³. ونقل صاحب نيل الابتهاج بتطريز الديباج إطراءً أحد تلامذته عليه فقال: "شيخنا الفقيه الجليل الأستاذ المقرئ الخطيب العالم المتفنن، المصنّف الحسيب الماجد المثل الصدر المعظم، الشهيد بوقية طريف"⁴. وبالإضافة إلى كون الإمام ابن جُزي عالماً، ومقرئاً، ومصنفاً، ومفتياً، وخطيباً، كان يُحسن قرض الشعر وصاحب بيان ساهر ومن نماذج شعره:

قال منشداً في معرض تحقير الدنيا والتقليل من شأنها:

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصِدٌ *** وَإِنَّ مُرَادِي صِرَاحٌ وَفَرَاغٌ
لَأُبْلَغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا *** يَكُونُ بِهِ لِي لِلْجَنَانِ بَلَاغٌ
وَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيَنَافِسْ أُولُو النُّهَى *** وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الْغُرُورُ بَلَاغٌ
فَمَا الْفَوْزُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ *** بِهِ الْعَيْشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاغُ

ومن أحسن ما قال مجداً لمقام النبوة:

أَرْوَمُ امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى فَيَرْدُنِي *** فَصُورِي عَنْ إِدْرَاكِ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ
وَلَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ تَأَلَّفُوا *** عَلَى مَدْحِهِ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْضَ وَاجِبِ
فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَدَّبَا *** وَخَوْفًا وَإِعْظَامًا لَأَرْفَعِ جَانِبِ

¹ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، ص185.

² إسماعيل بن الأحمر أبو الوليد، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، ص165-166.

* هو محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي، يُكنى بأبي محمد، فقيه ولغوي ونحوي ومحدّث، توفي بتونس سنة 749هـ. ينظر: أعلام المغرب، ص223.

³ التسهيل، ج1، ص16.

⁴ التنبكي، نيل الابتهاج، ص399.

وَرُبَّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بَلَاغَةٌ *** وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَثْبٌ لِعَاتِبٍ

وقال في مقام الإشفاق على نفسه:

يَا رَبِّ إِنَّ دُئُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ *** فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَضْرًا وَلَا عَدَا

وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ *** وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلَا

فَأَنْظُرُ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمُسْكِنِي *** وَلَا تُذِيقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا¹

وأرجز في مذهب الفخر بعفته فقال:

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو *** فَيُسْلِي حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ

غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا *** مُحَافَظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي²

وفحوى الخطاب أن الإمام ابن جزي قد حظي بثناء عطر من قِبَلِ العلماء يأتي في مقدّماتهم تلاميذه وذلك بشهودهم وإقرارهم له بطول الباع في مختلف العلوم الشرعية، ومن ثمّ استحقّق تقلّد منصب الفتية والخطابة في المسجد الأعظم بغرناطة مع حداثة سنّه، ووَكَّلَ إليه القضاء فاعتذر تورّعاً.

الفرع الخامس: وظائفه ومناصبه

شغل الإمام طول حياته مناصب عظيمة نظراً لمؤهلاته العلمية إذ يعد أحد كبار أعلام غرناطة خصوصاً، وأحد كبار أئمة الأندلس على وجه العموم ومن جملة تلك الأعمال التي أسندت إليه وشغل وقته بها خدمة للإسلام والمسلمين ما يلي:

1. الخطابة والإمامة:

كانت غرناطة زمن الإمام ابن جزي حاضرة العلم والعلماء ويرجع السبب في ذلك إلى أمرين أحدهما تعظيم أهل غرناطة للعلوم ولحامل العلم، وعنايتهم به حتى إنهم يضربون للمعلم أجرة لتعليم النشأ، والأمر الثاني سيول علماء العواصم المجاورة كقرطبة وغيرها إلى غرناطة لسقوط تلك الحواضر في يد العدوان الصليبي، وهذان العاملان وغيرها أسهما، أعانا ابن جزي على تحصيل العلم وضبطه والنبوغ فيه والاشتغال به زمن الصغر، فكان لهذا الأمر

¹ الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص86-87.

² شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج3، ص186.

أثر إيجابي في تكوين شخصيته العلمية، ومن ثمّ اتفاق الناس على فضله، فأُسندت إليه الإمامة والخطابة بالمسجد الأعظم مع حداثة سنه وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب: "تقدّم خطيباً بالمسجد الأعظم في بلده على حدّاته سنّه فاتفق على فضله وجرى على سنن أصله"¹، غير أن الغريب في الأمر أن المصادر التاريخية التي اطلعت على بعضها لم تُشر من قريب ولا من بعيد على المدة التي تولّى فيها ابن جزري زمام الخطابة بالمسجد الأعظم الذي كان يُعجّ بكبار الشيوخ وأئمة العلم.

2. الإفتاء:

فالإمام ابن بلده يعرف تقاليد المجتمع والأعراف السائدة المتفشية فيه، ونظراً لتوليه إمامة المسجد الأعظم والخطابة به فخوّله هذا المنصب أن يكون دافعاً لإقبال الناس عليه وسؤالهم له في شتى المسائل الشرعية وخاصة وقد تقدّمت الإشارة إلى أن زمن الإمام ابن جزري كانت تعلوه صيحات الجهاد بين الفينة والأخرى نظراً لتكالب القوى الصليبية على المسلمين فكان مدار فتواه للسائلين على مذهب السادة المالكية، باعتباره المذهب السائد في القطر الأندلسي، وأحياناً يسلك وينحو طريق المجتهدين إن رأى ضعف قول أهل المذهب، وهذه منقبة شهد له بها تلاميذه فقد وصف ابن الخطيب بأنه كان يسلك طريق المجتهدين.²

وقد صرّح صاحب كتاب أعلام المغرب في القرن الثامن، وهو يقرر ما تقدم الكلام عليه من تقلده للفتيا عند ترجمته لأحد أبنائه "وأبوه أبو القاسم محمد كان خطيب الجامع الأعظم بغرناطة وكان فقيهاً إماماً عالماً بجميع العلوم، مُحصلاً قارب درجة الاجتهاد ودوّن وصنّف في كل فن وكان أحد أهل الفتيا بغرناطة".³

3. التدريس:

من المتعارف عليه أن التدريس في الأندلس زمن ابن جزري لم يكن له مراكز خاصة ومعاهد معروفة يُقبل عليها المرید لتحصيل العلوم والمعارف، وإنما كان قبلة أهل الأندلس في تلقي العلوم وتحصيلها في شتى الفنون بيوت الشيوخ والمساجد، هذا الشائع في العُرف الأندلسي وكان الطلاب يشتغلون في بداية الأمر بحفظ القرآن وإتقان قواعد التجويد بالإضافة إلى تعلم قوانين اللغة، ونظراً لمعرفة منزلة تعليم القرآن والقراءات وما يتعلق بها من روايات كان ابن جزري يشكّر الله ويحمده على أن يسّر له الاشتغال بتعلّم القرآن وتعليمه، حيث قال عن نفسه في مقدمة تفسيره "وإن الله أنعم عليّ بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه".⁴

¹ الإحاطة، ج3، ص21.

² المرجع نفسه.

³ إسماعيل بن الأحرر أبو الوليد، أعلام المغرب والأندلس، ص 166.

⁴ التسهيل، ج1، ص4.

إلى جانب تدريسه للقرآن وعلومه، كان يُعنى بتدريس كتب السنّة المشهورة كالصحيحين، والموطأ، وبعض الأجزاء الحديثية كالمسلسلات لوالد شيخه أبي علي بن أبي الأحوص وحديث الرحمة بشروطه ويجيزهم فيها.¹

4. التأليف:

لم يكن ابن جُزي نفْعُه مقصوراً على طُلاب العلم أو من يسأله من أهل الأندلس، بل كان نفْعُه متعدّياً لغيرهما من بلدان أهل الإسلام، وكان يحمل في طياته نفسه همّ نفع الأمة الإسلامية ونظراً لكثرة مشاغله وارتباطاته بالتدريس والتعليم والدعوة إلى الله بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني، فلم تنثني همّته عند هذا الحد، بل كان متطلّعاً لنشر العلم في مختلف أنحاء أمصار العالم الإسلامي، فكان يخصص جزءاً من وقته الضيق لكتابة الدواوين وتصنيف المؤلفات، وكانت السّمة الغالبة على مناهج وطريقة كتاباته، أنه ينحو منحى الاختصار وهي الأنسب، نظراً لما كانت تمرّ به غرناطة وبلاد الأندلس من اضطرابات وأزمات على مختلف الأصعدة، وعلى إثرها انشغل أهلها بالجهاد لرد العدوان الصليبي الذي كان يتحيّن الفرص للاستيلاء على غرناطة التي تُعد يومئذ أعظم معقل المسلمين وأكبر منارات العلم، فكان مسلك الاختصار بحق منهج أنجع لتبليغ الدين الإسلامي، نظراً لاهتمامك أهل غرناطة بتأمين معاقلهم وحراسة ثغورهم، ولهذا لقيت مؤلّفاته ثناءً من قبل تلاميذه وعلماء عصره الذين بلغتهم تلك المصنفات وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب عن شيخه: "ولم يزل يسلك طريق المجتهدين، فدون في الفقه الدواوين وسفر في علم اللسان عن وجه الإحسان ورحل في علم التفسير إلى كل طيّّة، وركض في أغراضه كل مطية، حتى أنشأ الزمخشري وابن عطية، وله في الأدب حضّ وافر ومذهب عن الحسن سافر"².

¹ علي الزبيدي، ابن جُزي ومنهجه في التفسير، دار العلم، دمشق، 1407هـ-1987م، ج 1، ص 196.

² ابن الخطيب، أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، تح: محمد كمال شبانة، د.ط، د.ت، ص 27-28.

المبحث الثاني: التعريف بتفسير الإمام ابن جُزي الغرناطي

يعتبر الإمام ابن جُزي من مشاهير أعلام الأندلس، ومما زاد في ذِيع صيته اشتغاله بالعلوم الشرعية خاصة ما تعلق بالقرآن، ومن الطبيعي أن يهتم العلماء الأندلسيون بالقرآن الكريم ويعنون به عناية فائقة، إذ هو دستورهم وقانون حياتهم به انتظم عقدهم، وتوحدت كلمتهم، وانتظمت شؤون معاشهم، بل هو مفتاح علومهم ودراساتهم، فكان موضع عناية فائقة واهتمام، وآثارهم التي خلّفوها أعظم برهان وأكبر شاهد ودليل، فوضعوا حول مائدته التأليف والتصانيف التي اتفقت في أصولها واتجاهاته وأهدافها ومراميها، وتباينت في تفصيلاتها وجزئياتها وفق براعة ونبوغ كل عالم في فنه الذي تقدّم فيه، فحملت لنا تلك الحقب الزمنية المتوالية ثلة من خيار المحققين والمفسرين أمثال بقية ابن مخلد ومكي بن أبي طالب، وابن العربي وابن عطية والقرطبي وابن جزي وابن حيان، وغيرهم مما أحصته كتب الأعلام والتراجم، فاكتفيت بالتنويه بذكر بعضهم، لأن الدراسة لا تتعلق بهذا الجانب أساساً، وإنما يتركز محورها حول المسائل التي تعقبها ابن جزي على غيره من المفسرين.

ونظراً لتحصيله العلمي الذي ناله واستفاده من علماء بلده مع حداثة سنه، أُسندت إليه أشرف المناصب الدينية بقرطبة كالفقهاء والخطابة بالمسجد الأعظم الذي كان يعج بالعلماء يومئذ وظل إلى جانب هذه المشاغل وغيرها يلقي الدروس ويحرر الكتب في مختلف فنون العلم ومن أجود وأشرف ما وصل إلينا منها لتعلقها بتوضيح كلام الله مُصنّفاً وسمّاه "بالتسهيل لعلوم التنزيل"، ولهذا سنحاول في هذا المبحث إعطاء نبذة عن هذا التفسير بغرض معرفة منهج مؤلفه، وأهم الموارد التي اعتمدها، وأفاد منها.

المطلب الأول: مفهوم التفسير ونشأته في الأندلس

لم تكن مهمة بيان منزلة التفسير ومكانته حكراً على أئمة هذا الفن الذين لقبوا بعد انفصال العلوم واستقلال بعضها عن بعض بعلماء التفسير أو بالأحرى المفسرون بل تعداه إلى كبار أئمة الحديث بدأ بأصحاب كتب السنة المشهورة مع أن المطالع لهذه الدواوين لأول وهلة يجزم يقيناً أنهم لم يعرفوا لهذا الأمر اهتماماً لكن هذا قد يتبادر ويصدر من قاصر النظر والفهم وفي الجهة المقابلة يدرك خلاف هذا الزعم أهل العقول النيرة والفهم الثاقبة والقريحة السليمة وسأكتفي بسرد كلام لأحد الأعلام أحسب أنه يروي الغليل ويشفي العليل ويزيل الالتباس لأن إقامة البيئة ضرب من ضروب دفع ما يروج من الأغاليط التي نصب سوقها في هذا الزمان وبضاعتها الكاسدة اتهم منارات الهدى من المحدثين الشرفاء كالبخاري وغيرهم يقول الحافظ ابن كثير مبيناً لدقة صنيع البخاري مثنياً على حسن ترتيبه وتبويبه، ذكر البخاري رحمه الله تعالى، كتاب "فضائل القرآن" بعد كتاب التفسير لأن التفسير

أهم ولهذا بدأ به¹، وقال أيضا: "فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾" [سورة آل عمران الآية 187]²، فإذا علمت منزلة التفسير عند العلماء من خلال ما تقدم، فما هو التفسير وما الفرق بينه وبين التأويل.

الفرع الأول: مفهوم التفسير

1- من الناحية اللغوية: التفسير في اللغة على وزن فاعيل يأتي بمعانٍ منها:

البيان والإيضاح والكشف، كما قال ابن فارس³: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه من ذلك الفسر يقال فسرْتُ الشيء ويقال فسرَّته، والفسرُ والتفسيرُ نظر الطبيب إلى الماء وحُكمه فيه"⁴. وذكر الخليل⁵ في معجمه اللغوي اشتقاق هذا اللفظ فقال: "الفسرُ هو بيان وتفصيل للكتاب وفسره يُفسرُهُ وفسرُهُ تفسيراً، والتفسيرُ اسم للبول الذي ينظرُ فيه الأطباء يُستدل به على مرض البدن، وكلُّ شيء يُعرفُ به تفسير الشيء فهو التفسيرُ"⁶.

وأوضح الفيروز آبادي⁷ مدلول معنى التفسير فقال: "الفسرُ الإبانة وكشفُ المغطى"⁸.

وأورد الجوهري⁹ مدلول كلمة التفسير في معجمه فقال: "الفسرُ: البيان، وقد فسرْتُ الشيء أفسرُهُ بالكسر فسرّاً والتفسير مثله"¹⁰.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، 1420هـ-1999م، ج1، ص16.

² يُنظر: المصدر نفسه، ج1، ص6.

³ هو أحمد بن فارس بن زكريا محمد بن حبيب الرازي القزويني أحد كبار أئمة اللغة والنحو كنيته أبو الحسين من مشايخه أبوه تتلمذ على يديه بديع الزمان الهمداني وغيره كان في بداية أمره شافعيًا ثم انتقل في آخر عمره إلى مذهب مالك توفي 395هـ. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص250.

⁴ معجم مقاييس اللغة، مادة: فسرَ، تح: شهاب الدين أبو عمر، د.ط، دار الفكر، بيروت-لبنان، ص747.

⁵ أبو عبد الرحمن أحمد بن خليل الفراهيدي، من أئمة اللغة والنحو المشهود لهم، من شيوخه أبو عمرو بن العلاء، ومن تلامذته سيبويه والليث بن المظفر وغيرهما، توفي سنة 170هـ ولحقه غير ذلك، من مصنفاته كتاب العروض والشواهد وغيرها. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص702.

⁶ كتاب العين، مادة: فسرَ، تح: عبد الحميد هندائي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م، ج3، ص321.

⁷ الفيروز آبادي هو الإمام اللغوي المفسر أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن أبي بكر بن أحمد تتلمذ على ابن الخباز وابن القيم وأخذ عنه الجمال الإسنوي وغيره شافعي المذهب أشهر مصنفاته بصائر ذوي التمييز توفي سنة 817هـ. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص2491.

⁸ القاموس المحيط، مادة: فسرَ، تح: خليل مأمون شيخا، ط1، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1432هـ-2011م، ص995.

⁹ هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي الجوهري التركي، من أعاجيب الزمان في اللغة والأدب، قرأ العربية على أبي علي الفارسي وأبي سعيد الصيرفي وأخذ عنه إبراهيم بن صالح وغيره، توفي سنة 393هـ، من مصنفاته الصحاح والعروض. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص493.

¹⁰ معجم الصحاح، مادة: فسرَ، تح: خليل مأمون شيخا، ط3، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1429هـ-2008م، ص812.

وقال آخرون: هو مقلوب من "سَفَر"، ومعناه أيضا الكشف؛ يقال: سَفَرَت المرأة سُفورا، إذا أَلْقَتْ حِمَارَهَا عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضواء، وسافر فلان؛ وإنما بَنَوُه على التفعيل؛ لأنه للتكثير، كقوله تعالى: ﴿يَذَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة البقرة الآية 48].

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [سورة الفرقان الآية 33] أي تفصيلا.

وقال الراغب¹: الفَسْرُ والسَفَرُ يتقارب معناها كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسرة، وسمي بها قارورة الماء، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل سَفَرَت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح.²

ومما سبق عرضه حول مدلول كلمة التفسير في ضوء ما قرره كبار أئمة اللغة، يمكن القول بأنّ التفسير مصدر للفعل الثلاثي فَسَرَ، ويردّ بمعانٍ متقاربة كالبيان والإيضاح والكشف والتفصيل المبني على النظر والمعرفة وأما دعوى من قال أنه مقلوب من السفر فمع جلالة قدر ناقل هذا الرأي ألا وهو الإمام الزركشي³ تبقى مجرد دعوة عارية عن الدليل فحتاج حتى تثبت إلى كلام أهل اللسان خاصة وقد تتبع بعض الباحثين معاجم اللغة فخلص إلى أنه لم ينقل عن أهل اللغة نص يعضد كلام الزركشي ويؤيد ما حكاه والعهد عليه والله أعلم.⁴

2- من الناحية الاصطلاحية:

يرى بعض العلماء أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله، أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها.

ويرى بعض آخر منهم أن التفسير من قبيل المسائل الجزئية أو القواعد الكلية، أو الملكات الناشئة من مزاولة القواعد، فيتكلف له التعريف، فيذكر في ذلك علوما أخرى يحتاج إليها في فهم القرآن، كاللغة، والصرف، والنحو، والقراءات.. وغير ذلك.

¹ هو الإمام اللغوي المفسر أبو القاسم حسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني المعروف بالراغب اختلف في تحديد سنة وفاته قيل في المائة الخامسة للهجرة وقيل بعدها بستين وقيل غير ذلك من أشهر مصنفاته غريب ألفاظ القرآن والذريعة في مكارم الشريعة. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص793.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج2، ص147-148.

³ هو المفسر أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر المصري الشافعي من شيوخه الإسنوي وابن كثير، توفي سنة 794هـ، من مصنفاته النكت على ابن الصلاح والبرهان في علوم القرآن. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص2189.

⁴ يُنظر: مساعد الطيار، التفسير اللغوي، ط4، دار ابن الجوزي، الرياض، 1434هـ، ص24.

وإذا نحن تتبعنا أقوال العلماء الذين تكلفوا الحد للتفسير، وجدناهم قد عرفوه بتعاريف كثيرة منها:

التعريف الأول: عرفه أبو حيان¹ بقوله: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها

الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، وتتمت ذلك".²

التعريف الثاني: بين معناه الزركشي بقوله: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها،

ثم ترتيب مكّيها ومدنيّتها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامّها، ومطلقها ومقيّدّها، ومحمّلها ومفسّرها".

وزاد فيها قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدّها ووعيدّها، وأمرها ونهيّها، وعبرها وأمّثالها؛ وهذا الذي يمنع فيه

القول بالرأي".³

التعريف الثالث: قال ابن عرفة المالكي⁴: "هو العلم بمدلول القرآن وخاصية كيفية دلّالته، وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ".

التعريف الرابع: قال الكافيجي⁵: "وأما التفسير في العُرف فهو كشف معاني القرآن وبيان المراد، والمراد من معاني القرآن

أعم، سواء كانت معاني لغوية أو شرعية، وسواء كانت بالوضع أو بمعونة المقام وسوّق الكلام وبقرائن الأحوال".

التعريف الخامس: قال الطاهر ابن عاشور⁶: "التفسير... اسم لعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن

وما يُستفاد منه باختصار أو توسّع".⁷

التعريف السادس: قال ابن جُزي: "ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح عن ما يقتضيه نصّه أو الإشارة أو نحوه".⁸

¹ هو الإمام الأوحد المفسّر المقرئ أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، أخذ عن عبد الوهاب بن الفرات وتلمذ عنه الكمال الأدفوي وتقي الدين السبكي وغيرهما، تقلد مذهب الشافعية لما نزل مصر توفي سنة 773هـ، من مصنفاته النهر الماد والبحر المحيط. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسّرة، ص2501.

² السيوطي، الإقتان، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1432هـ-2011م، ص760.

³ البرهان في علوم القرآن، ج2، ص148.

⁴ هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عرفة المالكي التونسي، تلقى العلم من شيوخ كثير منهم ابن عبد السلام وابن سلمة، توفي سنة 803هـ، من مصنفاته المبسوط في المذهب ومختصر الحوفي في الفرائض. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسّرة، ص2399.

⁵ هو محمد بن سليمان بن سعيد بن مسعود الرومي الحنفي نحوي ولغوي ومفسر عرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو، قرأ على شيوخ كثير منهم أمير حيدر الخاني وتلمذ عليه الإمام السيوطي وغيره، اختلف في سنة وفاته قيل 899هـ وقيل 879هـ، من مصنفاته التيسير في قواعد التفسير. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسّرة، ص2109.

⁶ هو شيخ جامع الزيتونة ورئيس المفتين المالكيين بتونس محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي من شيوخه محمد الصالح الرضوي والشيخ محمد النجار وغيرهما، توفي سنة 1393هـ، من مصنفاته التحرير والتنوير ومقاصد الشريعة الإسلامية وغيرها. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسّرة، ص2565.

⁷ ينظر: مساعد الطيار، التفسير اللغوي، ص24.

⁸ ابن جُزي، التسهيل، ج1، ص9.

ومن أحسن من حدّد تعريفًا جامعاً مانعاً له محمد حسين الذهبي¹، حيث قال: "علم التفسير علم يُبحث فيه عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية فهو شامل بكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد".
فتعريف الذهبي يركز على تقرير المقصد من التفسير وهو معرفة المعنى الذي أراده الله من كلامه، فما تحصل به المعرفة فإنه بيان وتفسير، وما عدا ذلك فإنه توسع حاصل بعد هذا الفهم والبيان.
وإذا تأملت كثيراً من النكت البلاغية والملح التفسيرية واللطائف اللغوية وجدتها تدخل في ما وراء البيان والفهم، فهي ليست من صلب التفاسير لأن البيان لا يتوقف عليها، أما إذا توقف البيان عليها فهي من التفسير، ومحصلة القول أنّ بعض التعاريف التي تقدّم ذكرها قد توسّعت في توضيح حدّ التفسير حتى أدخلوا فيه ما ليس منه كالمسائل النحوية والتحريرات الفقهية والقواعد الأصولية، وإن كانت في الحقيقة لا تخلو من فائدة إلا أنها مبسّطة في مظانها من كتب الفقه واللغة والنحو والأصول، بل قد تشغل ذهن القارئ وتصرفه عن المقصد الأساسي من قراءة كتب التفسير وهو فهم مراد كلام الله.

الفرع الثاني: مفهوم التأويل

1- من الناحية اللغوية:

قال ابن منظور² في بيان معنى التأويل "وأصل اشتقاقه من آل يؤول أولاً ومآلاً أي بمعنى رَجَعَ، وألث عن الشيء إرتدّدْتُ ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام، من صام الدهم فلا صام ولا آل أي لا رَجَعَ إلى خير، وأول الكلام وتأوله دبره وقدره وتأوله فسره"³.

وبين ابن الأثير أصل اشتقاق لفظ التأويل بقوله⁴: "هو من آل الشيء يؤل إلى كذا أي رَجَعَ وصار إليه"⁵.

2- من الناحية الاصطلاحية:

قال ابن الأثير: والمراد بالتأويل "نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ."⁶

¹ هو محمد حسين الذهبي ولد بمدينة مطوبس بمصر، وتقلّد عدّة مناصب من أشهرها وزيراً للأوقاف وشؤون الأزهر وذلك من سنة 1975م إلى غاية شهر نوفمبر 1976م، من أهم مؤلفاته التفسير والمفسرون، أغتيل سنة 1977م. يُنظر: ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، <https://ar.wikipedia.org/wiki>

² أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، من مشاهير أئمة اللغة، تتلمذ على يد عبد الرحمن بن الطفيل، ومرتضى بن حاتم وغيرهما، توفي سنة 711هـ، من أشهر مصنفاته لسان العرب. يُنظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص108.

³ يُنظر: لسان العرب، مادة: أَوَّل، ط1، دار صادر، بيروت- لبنان، 2000م، ج2، ص192.

⁴ هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزائري، أخذ عن الشيخ سعيد بن الدهان وغيره، وتلمذ على يديه الشهاب القوصي، توفي سنة 606هـ، من أشهر ما ألف النهاية في غريب الحديث وغيرها. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص1875.

⁵ الجزائري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تح: رضوان مأمون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1432هـ-2011م، ص4.

⁶ الجزائري ابن الأثير، المصدر السابق، ص104.

وأوضح القرطبي مدلوله بقوله¹: "والتأويل يكون بمعنى التفسير كقولك تأويل هذه الكلمة على كذا ويكون بمعنى ما يؤول الأمر إليه واشتقاقه"².

وفصل الكلام فيه محمد حسين الذهبي بعد تتبع وصبر لإطلاقات المتقدمين والمتأخرين بما لا مزيد عليه فخلص إلى أن: "التأويل في الاصطلاح عند السلف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا هو ما عناه مجاهد من قوله: «إن العلماء يعلمون تأويله» يعني القرآن، وما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا، وبقوله: واختلف أهل التأويل في هذه الآية... ونحو ذلك فإن مراده التفسير.

ثانيهما: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلباً كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبراً، كان تأويله نفس الشيء المخبر به، وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر، فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام، كالتفسير، والشرح، والإيضاح، ويكون وجود التأويل في القلب، واللسان، وله الوجود الذهني واللفظي والرسمي، وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج، سواء أكانت ماضية أم مستقبلية، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها، وهذا في نظر ابن تيمية³ هو لغة القرآن التي نزل بها، وعلى هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني.

وأما التأويل عند المتأخرين من المتفقهة، والمتكلمة، والمحدثّة والمتصوفة:

فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتزن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف. فإذا قال أحد منهم: هذا الحديث -أو هذا النص- مؤول أو محمول على كذا. قال الآخر: هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى دليل. وعلى هذا فالتأويل مُطالَبُ بأمرين:

الأمر الأول: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد.

الأمر الثاني: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح، وإلا كان تأويلاً فاسداً، أو تلاعباً بالنصوص، قال في جمع الجوامع وشرحه: «التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل عليه لدليل فصحيح، أو لما يظنه دليلاً في الواقع ففاسد، أو لا شيء فلعب لا تأويل».

¹ هو أبو عمر أحمد بن بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي سمع من أبيه وغيره، عالم بالتفسير عارف بالفقه والحديث توفي سنة 406هـ، له مصنفات من أشهرها الجامع لأحكام القرآن. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص 159.

² الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله التركي، ط 1، دار الرسالة العالمية، دمشق، 1433هـ-2012م، ج 5، ص 25.

³ هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر التميمي الحراني الدمشقي الحنبلي، يُلقَّبُ بشيخ الإسلام، برع في علوم كثيرة وألّف فيها، ومن أشهر ما دَوّن مقدمة أصول التفسير، ودرأ التعارض وغيرها، توفي سنة 728هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج 1، ص 144.

وهذا أيضا هو التأويل الذي يتنازعون فيه في مسائل الصفات، فمنهم من ذم التأويل ومنعه، ومنهم من مدحه وأوجبه¹.

الفرع الثالث: الفرق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، وفي تحديد النسبة بينهما اختلافا نتجت عنه أقوال كثيرة، وكأن التفرقة بين التفسير والتأويل أمر معضل استعصى حله على كثير من الناس إلا من سعى بين يديه شعاع من نور الهداية والتوفيق، ولهذا بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: "نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتمدوا إليه". وليس بعيدا أن يكون منشأ هذا الخلاف، هو ما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي حيث يقول: "وأحسب أن منشأ هذا كله، هو استعمال القرآن لكلمة التأويل، ثم ذهب الأصوليين إلى اصطلاح خاص فيها، مع شيوع الكلمة على ألسنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب"².

وقد نقل الإمام السيوطي أقوال العلماء في بيان أوجه الفروق بين التفسير والتأويل³ ولم ينجح فيها إلى قول وسأكتفي بذكر أهمها وهي:

✓ قال أبو عبيدة⁴ وطائفة معه: "التفسير والتأويل بمعنى واحد"، فهما مترادفان. وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير.

✓ قال الراغب الأصفهاني: "التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني".

✓ قال الماتوردي⁵: "التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله".

¹ التفسير والمفسرون، د. ط، مكتبة وهبة، القاهرة، د. ت، ج 1، ص 16.

² يُنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1، ص 16.

³ السيوطي، الإتيان، ص 757.

⁴ هو معمر بن المثنى التيمي من شيوخه هشام بن عروة وأبو عمرو بن العلاء وأخذ عنه علي بن المديني وأبو عبيدة بن سلام وغيرهما، توفي سنة 209هـ وحكي غير ذلك، من مصنفاته مجاز القرآن. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص 2669.

⁵ هو المتكلم الأصولي أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي حنفي المذهب، أخذ عن أبو نصر العياضي ونصير بن يحيى البلخي وتلمذ عليه أبو القاسم الحكيم السمرقندي وغيره، توفي سنة 333هـ، من مصنفاته شرح الفقه الأكبر وتأويلات أهل السنة. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص 2355.

✓ قال البغوي¹: "التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، فقد رُخص فيه لأهل العلم، وأما التفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها فلا يجوز إلاّ بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل"².

✓ قال ابن جُزي: "بعد ذكره لبعض الأقوال حول بيان الفرق بين التأويل والتفسير والصواب أن التفسير هو الشرح والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يُحمل على ذلك ويخرج على ظاهره"³.

✓ وقال بعضهم: "التفسير ما يتعلق بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية".

✓ وقيل التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة. فالنسبة بينهما التباين، وهذا هو المشهور عند المتأخرين، وقد نبه إلى هذا الرأي الأخير العلامة الألوسي في مقدمة تفسيره حيث قال بعد أن استعرض بعض أقوال العلماء في هذا الموضوع: "وعندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه - ما سمعتها وما لم تسمعها - مخالف للعرف اليوم، إذ قد تعورف من غير نكير: أن التأويل إشارة قدسية، ومعارف سبكانية، تنكشف من سجن العبارات للسالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين. والتفسير غير ذلك".

يقول محمد حسين الذهبي بعد عرضه لأقوال الأئمة في بيان الفروق بين التفسير والتأويل التي نقلها عن الزركشي والسيوطي، "والذي تميل إليه النفس أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية، وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان، عن مراد الله تعالى لا يُخزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا، ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم في معاني القرآن الكريم.

وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات اللفظ بالدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب، واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية، واستنباط المعاني

¹ هو المحدث والمفسر الزاهد محي السنة ظهير الدين الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الشافعي، من شيوخه أبو عمر المليحي، ومن تلامذته أبو منصور محمد بن أحمد القطاري وغيره، توفي سنة 510هـ وقبل غير ذلك، من مصنفاته التهذيب في الفقه ولباب التأويل في معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص814.

² معالم التنزيل، تحقيق محمد النمر وآخرون، ط1، دار طبية الرياض، 1409هـ، ج1، ص28.

³ التسهيل، ج1، ص10.

من كل ذلك".¹ ويؤيد هذا التحقيق النفيس كلام، الزركشي حيث قال: "وكأنَّ السبب في اصطلاح بعضهم على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليُحمل على الاعتماد في المنقول وعلى النظر في المستنبط".²

الفرع الرابع: أقسام التفسير

سلك العلماء منهجين أساسيين لتحصيل معاني القرآن هما:

1- التفسير بالمأثور:

أ- تعريفه: هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم فهو التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته ولا فائدة في معرفته.

ب- مكانته: هو أفضل أنواع التفسير وأعلاها، لأن التفسير بالمأثور إما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى، فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الرسول ﷺ، فهو المبين لكلام الله تعالى، وإما أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل وهم أهل اللسان، وتميّزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول.³

ج- حكمه: التفسير بالمأثور باعتبار وروده إلينا بالأسانيد ينقسم إلى قسمين:

- ما صحَّ سنده فهذا يجب قبوله ولا يجوز العدول عنه.
- وما لم يصحَّ سنده فيجب رده ولا يجوز قبوله ولا الاشتغال به إلا من باب التحذير منه.⁴

2- التفسير بالرأي:

أ- تعريفه: هو عبارة عن تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة كلام العرب ومناحيهم في القول ومعرفة الألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، والوقوف على أسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ من آيات الكتاب الكريم.⁵

ب- حكمه: اختلف العلماء في حكم التفسير بالرأي وهم على مذهبين مانع ومجيز، وإليك التفصيل في أدلة كلا القولين:

○ أدلة المانعين: استند المانعون للتفسير بالرأي على أدلة كثيرة منها:

¹ التفسير والمفسرون، ج1، ص18.

² البرهان في علوم القرآن، ج2، ص172.

³ ينظر: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ط14، مكتبة الملك فهد، 1426هـ-2005م، ص168.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص169.

⁵ ينظر: مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م، ص140.

أولاً: أن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم، والقول على الله بغير علم منهي عنه، فالتفسير بالرأي منهي عنه، كذلك أن المفسر بالرأي ليس متيقناً أنه مصيب وقصار أمره أنه يظن¹ ودليل ما تقدم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 168].

ثانياً: ما رواه ابن عباس عن النبي ﷺ، قال: «اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»². واستدلوا أيضاً بما روي عن جندب بن عبد الله أنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»³.

ثالثاً: ما ورد عن الصحابة والتابعين من أنهم كانوا يتحرجون عن القول في القرآن بأرائهم من ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟"، وما ورد عن سعيد بن المسيب أنه كان إذا سُئِلَ عن تفسير آية من القرآن قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً.

وروي عن الشعبي⁴ أنه قال: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت القرآن، والروح، والرؤى أي: تأويل الأحلام، إلى غير ذلك من الأخبار التي تدل على امتناعهم من أن يقولوا في القرآن بأرائهم.

○ أدلة المجيزين: استدلال المجيزون للتفسير بالرأي بجملة من الأدلة منها:

أولاً: أن الله تعالى يقول: ﴿أَجَلًا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالًا﴾ [سورة محمد الآية 25]، ويقول أيضاً: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَرُوا عَائِيَّتَهُ وَلِيَذْكُرُوا أَلْبَابَ﴾ [سورة ص الآية 28]، ويقول أيضاً: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرُّسُولِ وَالَّذِي أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْشِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء الآية 82].

ووجه الاستدلال أن ظواهر النصوص تحت على تدبر القرآن والاعتبار بآياته، والاتعاظ بمواعظه وهذا يدل على أن أولي الأبواب بما لهم من العقل السليم واللب الصافي عليهم أن يتأولوا ما لم يستأثر الله بعلمه، إذ التدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله، والآية الكريمة تدل على أن في القرآن ما يستنبطه أي: ما يستخرجه أولو الأبواب والفهم الثاقب.

¹ ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، تح: فوز أحمد زمرلي، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ت، ج 2، ص 46.

² جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم 3016، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

³ جامع الترمذي، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم 2952، وقال أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

⁴ هو الفقيه النحوي اللغوي أبو بكر بن أحمد بن عمر بن مسلم بن موسى الشعبي كنيته أبو العتيق، من شيوخه الأصبعي صاحب العين وغيره، توفي سنة 714 هـ. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص 556.

ثانياً: أن الرسول ﷺ قال في دعائه لابن عباس «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»¹، فلو كان التأويل مقصوراً على السماع والنقل للفظ التنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيصه فدلّ على أن هناك تأويل خلاف النقل، فهو إذا تفسير بالاجتهاد والرأي.

ثالثاً: لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام والالزام باطل ووجه الملازمة أن النبي ﷺ لم يذكر تفسير كل آية، والمجتهد مأجور وإن أخطأ، ومادام أنه قد استفرج وسعه، ولم يهمل الوسائل الواجبة في الاجتهاد، وكان غرضه الوصول إلى الحق والصواب.²

○ الترجيح: بعد عرض لأدلة كلا الفريقين تبين لي أن أدلة المانعين لا تخلوا من إحدى الأمور إما ضعف سندها من جهة النقلة لهذه الأخبار أو تطرقها الاحتمال، والدليل إذا تطرقه الاحتمال سقط به الاستدلال، وأما كلام الصحابة "وما شاكلها من أقوال أئمة السلف فهو محمول على ترحجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير ولا منافاة لأهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه وهذا هو الواجب على كل أحد فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول في ما سئل عنه مما يعلمه"³، فهذا توجيه للأثار الصحيحة المنقولة عن السلف أفاد بها الإمام ابن كثير تتضمن في طياته أنه يميل إلى القول بجواز التفسير بالرأي شريطة أن يكون المتكلم عمدته اللغة والشرع في الاستدلال لا غير، فنستنتج إذاً أن التفسير بالرأي على ضربان ضرب منه مرخص فيه محمود وضرب ممنوع مذموم لا يجوز تعاطيه، وارتضى هذا التفصيل فحول المحققون من العلماء كالإمام الشاطبي⁴ وغيره من المتأخرين، وفي هذا الصدد يقول: "القول بالرأي ضربان أحدهما جار على موافقة كلام العرب، وموافقة الكتاب والسنة وهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما لأمر: أحدهما: أن الكتاب لا بد من القول فيه لبيان معنى واستنباط حكم، وتفسير لفظ وفهم المراد، ولم يأت ذلك عن تقدم، فأما أن يتوقف دون ذلك فتتعطل الأحكام كلها، أو أكثرها، وذلك غير ممكن، فلا بد من القول فيه بما يليق.

¹ صحيح البخاري، كتاب الطهارة، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم 143.

² الزرقاني، مناهل العرفان، ج 2، ص 49.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 13.

⁴ هو العلامة الأصولي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي، أخذ عن أئمة منهم ابن الفخار والخطيب ابن مرزوق وغيرهما، من أشهر مصنّفاته الاعتصام والمواقفات وغيرهما، توفي في شعبان سنة 790 هـ. يُنظر: حسين مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 232.

الثاني: إنه لو كان كذلك للزم أن يكون رسول الله ﷺ مبينًا بالتوقيف، فلا يكون لأحد فيه قول، والمعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك، فدل على أنه لم يكلف على ذلك الوجه، بل يبين منه ما لا يوصل إلى علمه إلا به وترك كثيرا مما يدركه أرباب الاجتهاد باجتهادهم، فلا يلزم في جميع تفسير القرآن التوقيف.

الثالث: إن الصحابة كانوا أولى بهذا الاحتياط من غيرهم، وقد عُلم أنهم فسّروا القرآن على ما فهموه، ومن جهتهم بلغنا تفسير معناه، والتوقيف ينافي هذا، فإطلاق القول بالتوقيف والمنع من الرأي لا يصح.

رابعًا: إن هذا الفرض لا يمكن، لأن النظر في القرآن من جهتين، من جهة الأمور الشرعية، فقد يُسلم القول بالتوقيف فيه وترك الرأي والنظر جدلا، ومن جهة المآخذ العربية، وهذا لا يمكن فيه التوقيف وإلا لزم في السلف الأولين.

وأما الرأي الثاني غير الجاري على موافقة العربية أو الجاري على الأدلة الشرعية فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال لأنه تقوّل على الله من غير برهان، فيرجع إلى الكذب على الله".¹

الفرع الخامس: نشأة علم التفسير بالأندلس

ظلّ أهل الأندلس قرونا كثيرة تحت وطأة قهر الكنيسة فساد بسببها الخمول العلمي ودبّ إلى أهلها الجهل، فما انجلى إلا بدخول الفاتحين المسلمين إلى أرضهم فأزاحوا حكم الكنيسة وانطفأ نورها، فدخلوا في دين الله أفواجا ثم أدرك الأندلسيون أن منارة الإسلام قائمة على تعظيم كتاب الله تعالى، فاهتموا به تدريسًا ومدارسًا، فتمخّض عن هذا الولع نبوغ علماء أجلاء عكفوا على تفسير كلام الله جلّ وعلا فوضعوا الكتب المتباينة المناهج المختلفة الأحجام، فمنها المختصر المفيد كتفسير ابن العربي وابن جُزي وغيرهما، ومنها المطول كتفسير بقي ابن مخلد والقرطبي وبمرور الأيام انتشرت هذه الكتب في أصقاع المعمورة، فلقيت إشادة علماء المشرق الإسلامي، بل أصبحت عمدة تنافس تفاسير المشاركة أنفسهم، فمن هنا بدأت عجلة التأليف في علم التفسير، لكن الباحثين المعاصرين اعترفوا بصعوبة تحديد الفترة الزمنية التي نشأ بها علم التفسير في الأندلس كعلم مستقل عن باقي العلوم، ولعل مرجع ذلك يعود إلى أسباب أهمها:

الأول: ظاهرة الجمع بين العلوم

فالناظر في كتب التاريخ الأندلسي وتراجم الأعلام في الأندلس، يلاحظ هذه الظاهرة بوضوح وإن كانت الشهرة في أحد العلوم تبدوا ظاهرة على غيرها، فلو نظرنا إلى ترجمة حياة عالم من علماء الأندلس نجد العبارة التي تعبر عن هذه الظاهرة وهي وصف العلم بـ (العالم الفقيه، الأصولي المحدث، المفسّر النحوي).

¹ مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، ص 144-145.

ومرجع هذه الظاهرة يعود إلى طريقة تحصيل العلوم في الأندلس، فقد كانوا يبدؤون بتعليم القرآن الكريم أولاً، ثم اللغة العربية، والحديث والفقه، وهي طريقة انفرد بها أهل الأندلس عن سائر الأقطار الإسلامية كما زعم ابن خلدون. ولم يوافق ابن العربي على ذلك.

الثاني: كانت مدارس أهل الأندلس مساجدهم المنتشرة في المدن والحوضر وكان نظام الحلقات سائداً، بحيث يضم مختلف العلوم، سواءً ما يختص بالعلوم الشرعية أو العلوم الأخرى كالعربية والتاريخ، كما نقل ذلك المقري في نفخ الطيب حيث قال: "وليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون جميع العلوم في المساجد، ومن المنارات التي خلّد اسمها التاريخ جامع قرطبة، الذي كان بمثابة جامعة يحج إليها الطلاب من سائر أنحاء العالم طلباً للعلم والمعرفة، وامتدّ نظام التعليم على هذه الشاكلة إلى منتصف القرن الرابع الهجري حيث حمل الخليفة الأموي المستنصر عبء النهضة العلمية، فشرع في فتح المدارس والمعاهد، وبلغ عددها نحواً من خمس وعشرين مدرسة ابتدائية".

وأياً ما كان الأمر صعباً فإننا نستطيع القول بأن هذا العلم (علم التفسير) ظهر مع تحول أهل الأندلس إلى الإسلام الذي يستمد قواعده وأصوله وتنظيماته من القرآن، فكان الناس بحاجة ماسة إلى فهم آياته والوقوف على معانيه، وكان المسجد هو المدرسة التي انطلق منها هذا العلم جنباً إلى جنب مع غيره من العلوم الإسلامية، إلى أن جاء القرن الثالث الهجري الذي طالعنا بولادة أول علم من أعلام المفسرين في الأندلس، وهو بقیة بن مخلد صاحب التفسير الذي لم يؤلف مثله فقد بلغ عدد أجزاءه نحواً من سبعين جزءاً، كما أفاد بذلك أصحاب السير والتراجم.

ومحصلة القول في نشأة علم التفسير بالديار الأندلسية أنه برز كعلم من بين العلوم في القرن الثالث الهجري، ثم نما وترعرع في القرن الخامس الهجري، ثم بلغ ذروة سنامه في القرن السادس الهجري على يد شيخ المفسرين ابن عطية صاحب كتاب المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ثم نضج في القرنين السابع والثامن الهجريين على يد ابن حيّان وابن جزي وغيرهما.¹

المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن تفسير ابن جزي

سأتطرق في هذا المطلب لإبراز المكانة والقيمة العلمية لهذا التفسير، مع ذكر جملة من مميزاته وخصائصه التي انفرد بها عن غيره من التفاسير، وقبل هذا كله وحتى يكون للكلام مكانة ومعنى لابد من توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه جرياً على ما أشتھر جريانه على الألسنة أثبت العرش ثم انقش.

¹ يُنظر: مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، ص 81-82.

الفرع الأول: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه

نظرا لجلالة الإمام ابن جُزي ومكانته العلمية التي حوّلت به أن توكل إليه أعظم المناصب في غرناطة كالفُتيا والخطابة بالمسجد الأعظم، بالإضافة إلى اشتغاله بالتأليف والتصنيف والجهاد، ومن هنا يمكن القول أن ابن جُزي من العلماء الربانيين الذين جمعوا بين العلم والعمل، أو بين جهاد السنام وجهاد الحجة والبيان فكان حقا على أهل التراجم أن يُتحفوا مصنفاتهم بذكر سيرته المباركة وما يتعلق بجوانب حياته العلمية التي تركها خلفه ذخرا للأمة، إلا أن الوهم الذي وقع فيه بعض من تولّى الترجمة لهذا الإمام وتناقلته بعض الكتب التي لها عناية بهذا الجانب، أنهم لم يوردوا اسم أعظم مصنفاته قدرا وهو كتابه المسمى "بالتسهيل لعلوم التنزيل" مع اعتراف كل من ترجم له بأنه مفسّر حاذق، لكن الله عزّ وجل رحمة بخلقه، وحتى يخفّ إيقاع اللوم عن أهل التراجم، ألهم ابن جُزي بأن تولى التصريح بنفسه باسم كتابه في مقدّمته فقال: "وسميت هذا الكتاب كتاب التسهيل لعلوم التنزيل".¹

وأما نسبته إلى مؤلفه فهي ثابتة لا شك فيها، بشهادة تلميذه ذو الوزارتين لسان الدين الخطيب فقد ذكر أن شيخه صنّف في التفسير، ولم يشر إلى اسم الكتاب كما فعل مع بقية مؤلفاته الأخرى كالقوانين الفقهية وغيرها وهنا راودتني كثير من الاستشكالات منها أن ابن الخطيب كان مهتما بجمع الكتب وتحصيلها فكيف يغيب عنه تفسير شيخه المبجل ثم أن كل من أتى بعد ابن الخطيب من المترجمين الذين وقفت على كلامهم لم يعرفوا لهذا الأمر كبير عناية وكأنه محسوم فاكشفوا بالنقل عنه ومن جملة أولئك الإمام الداودي في كتابه الطبقات والشيخ حسين مخلوف في مصنفه شجرة النور الزكية وابن فرحون في كتابه الديباج وغيرهم إلى زماننا فيحتمل أن يكون هذا التفسير من آخر الكتب تصنيفا جري على عادة العلماء أنهم لا يتجرؤوا على التفسير حتى تسقل موهبتهم ويشند عضد ساعدهم في العلوم كما يحتمل أن ابن الخطيب لما شرع في الترجمة لشيخه أبلغ أن شيخه عاكف على وضع محرر في التفسير ولم يخرج إلى النور بعد فبنى ترجمته على ما أيقن بوجوده ثم انتشر كتاب بين الناس وتناقلوه فنسي أن يتداركه والنسيان سمة البشر ثم إن ابن الخطيب كان رحالة بين المغرب والأندلس فرما غاب عنه اسم تفسير شيخه لاشتغاله بمنصب الوزارة الذي أثقل كاهنه وأخذ منه جل وقته وهذه الاحتمالات في نظري مستساغة إلى حد كبير، لكننا نجد محمد بن عبد الملك القيسي الغرناطي المتوفى سنة 834هـ، تلميذ ابني ابن جُزي -أحمد وعبد الله-، صرّح باسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، ويعتبر هو أول من أثبت النسبة بإسناده في مقدمة كتابه "منهاج العلماء الأخيار في تفسير كتاب الأنوار"، وهو شرح لكتاب ابن جُزي الموسوم بـ "الأنوار السنية" حيث قال: من شيوخنا جماعة منهم الشيخ الإمام العلامة بحر البيان وأوحد الزمان

¹ ابن جُزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج 1، ص 5.

أبو محمد عبد الله بن الإمام المحدث الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي رحمه الله وشرعت عليه في قراءة التفسير المسمى بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل من تفسير والده المذكور.

ويعتبر هذا النص كافياً في توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه فهو نص قريب العهد من المؤلف وإسناده عال، إذ هو تلميذ ابني المؤلف كما سبقت الإشارة إليه آنفاً.¹

الفرع الثاني: أهمية ومكانة تفسير ابن جزي

تجلى أهمية ومكانة هذا التفسير أولاً من جهة مؤلفه المشهود له بطول الباع ورسوخ القدم في علوم شتى أثمرت تصانيف عديدة في مجالات متنوعة كالحديث والأصول والعقائد والقراءات والتفسير مما حمل الإمام الداودي رحمه الله فخصه بترجمة في كتابه الطبقات إلى جانب خامات التفسير كالطبري والزخشي وابن عطية، والقرطبي، فجبر بذلك حُرْمَ شيخه الإمام السيوطي الذي لم يترجم للإمام ابن جزي مع قرب زمانه به ولعله لم يبلغه كتاب التسهيل ولم يطلع عليه نظراً للظروف الحالكة التي تمر بها الأندلس آنذاك، ثم إن المتأمل لهذا التفسير يوقن أن هذا الإمام قد بذل الوسع واستفرغ الجهد في وضع هذا الكتاب فاستودعه مكنون معلوماته وعصارة علمه ونفيس فوائده التي انتقاها من نواذر الدفاتر واستلها من بطون ما حوته كتب المطولات، فحاز كتابه بذلك مكانة عالية بين التفاسير التي تُعد بالآلاف، وصار مرجعاً للعلماء وبغية للطلاب تتداوله الأيدي ويتنافس على اقتنائه المؤلفون² وينهل من معينه المستفيدون ولا أدلّ على ما نقول من تلك الشهادات الرائعة من العلماء اللاحقين لهذا التفسير، فمن ذلك قول الشيخ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 1152هـ، وهو من عيون علماء المغرب في القرن الحادي عشر، حيث أوصي أولاده حينما قدموا فاس لطلب العلم: "ومن أحسن التفاسير التي أحب لكم مطالعتها وتفهمها: تفسير ابن جزي، ولا أقبل قول من يخالف في ذلك".³

ويقول العلامة خالد السبب⁴ مبيّناً لمكانة هذا الكتاب: "فهذا الكتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، فهو مع إيجازه حرص مؤلفه على الوفاء بالمعنى، وهو مع ذلك كتاب ملخص لكنه عميق ودقيق قلّ أن يوجد مثله". ويقول أيضاً: "ويصلح أن يكون هذا الكتاب أصلاً يعتمد عليه بحيث يكون عند طالب العلم يضبطه ويضيف إليه ويعلق عليه، ويرجع إليه حين بعد حين ويراجعه ويكرره".⁵

¹ ينظر: علي الزبيدي، ابن جزي ومنهجه في التفسير، ج 1، ص 220.

² ينظر: أمانة عبد الناصر، تعقبات ابن كثير على المحدثين، ص 42-43.

³ محمد عوامة، معالم ارشادية، ط 1، دار المنهاج، بيروت، 1434هـ-2013م، ص 434.

⁴ من مواليد منطقة الزلفي، عام 1384هـ، التحق بقسم السنة بجامعة الإمام سعود وبها حصل على شهادة الماجستير ثم الدكتوراه، وقد تقلّد عدّة مناصب منها عميداً لكلية الدراسات القرآنية سنة 1418هـ. يُنظر: المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص 69.

⁵ ابن جزي، التسهيل، تح: علي بن حمد الصالح، ط 1، دار طيبة، 1439هـ-2018م، ص 8-9.

ومما يؤكد أهمية ومكانة هذا الكتاب تهافت دُور النشر على طباعته، وقد صدر في عدة نسخ مختلفة الأحجام أكتفي بذكر أشهرها:

الطبعة الأولى أشرفت على إخراجها من حيز الطي والنسيان إلى حيز النور والوجود المكتبة التجارية الكبرى بالمنطقة التجارية بمصر، سنة 1355هـ ثم تولت نشره دار الفكر العربي، صدر في مجلد ضخيم بأجزاء أربعة وصوّرت هذه الطبعة عن الطبعة الأولى، وكتب عليه الطبعة الثانية، صدرت ببيروت سنة 1393هـ-1973م.

وأخذت زمام مبادرة طبعه كذلك دار الكتب الحديثة بالقاهرة، وصدر في أربعة مجلدات قام بتحقيقه كلا من محمد عبد المنعم اليونسى، وإبراهيم عطوه عوض، ولم يرقما على ظاهر دفتيه تاريخ النشر كعادة الكتب، ولكن يظهر أنه في سنة 1973م، ويفهم هذا من رقم الإيداع بآخر الجزء الرابع.

واشتغلت على بثه خدمة للعلم في مجلد واحد حتى يسهل اقتناؤها أيضا دار الكتب العربية بيروت سنة 1403هـ تحت إشراف لجنة إحياء التراث العربي.

كما تولّت إصداره دار الأرقم بن أبي الأرقم الكائنة ببيروت سنة 1416هـ، واعتنى بتنقيحه وضبط كلماته وتخرّيج آياته وأحاديثه الدكتور عبد الله الخالدي. وتقع في مجلدين، ونظرا لطلبات القراء المتكررة وإلحاحهم الشديد على اقتنائه تولى رضا فرح الهمامي تحقيقه خرج بأجزائه الأربعة في مجلد ضخيم نشرته المكتبة العصرية ببيروت سنة 1423هـ-2003م. وأخيرا ساهمت دار الضياء للنشر والتوزيع بالكويت، في طبعه ونشره على نفقة حكومة الشارقة صدر في ثلاث مجلدات سنة 1430هـ-2009م، اعتنى بتنقيحها أبو بكر بن عبد الله سعداوي، وتعدّ هذه النسخة من أحدث الطباعات وأجودها، إذ تميّزت بمقابلتها على المخطوطات وضبط الآيات برواية ورش مع حسن جودة الإخراج، أما التعليقات والخدمة العلمية فهي متواضعة.¹

وأما على مستوى نهل العلماء منه فهذا مجال واسع من الصعب الإمام به وإدراك أطرافه فيحتاج إلى تقصي وصبر لمؤلفات التفسير التي أتت بعده إلى عصرنا لكني سأكتفي بذكر علمين رجعا إليه واستفادوا منه وهما:

أولا: الإمام سليمان بن عمر الشهير بالجميل² فقد تأثر بابن جزري ونقل عنه بعض الفوائد والإعرابات والمناسبات في تفسيره الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.³ وإن كانت نُقول الجمل عن التسهيل في الحقيقة قليلة كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين ولم يتيسر لي مراجعة الحاشية لتثبت وهي على حد علمي لا تزال

¹ طارق بن أحمد بن علي الفارس، علوم القرآن عند ابن جزري، ص111-112.

² هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهرى، من شيوخه الحفني وعطية الأجهوري وغيرهما، مصري النشأة شافعي المذهب، تلقى العلوم على شيوخ كثر، أبرزهم العلامة الحفني وعطية الأجهوري، توفي سنة 1204هـ، من مصنفاته الفتوحات الإلهية، بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص1004.

³ الزبيدي، ابن جزري ومنهجه في التفسير، ج1، ص907.

حبيسة رفوف المخطوطات وإن كنت قد وقفت على نسخة إلكترونية على الشبكة إلا أنه تعرّس علي قراءتها كذلك فاكثفتُ بذكر نموذج يؤكد دعوى الاستفادة نقلاً عن غيري حيث قال الإمام الجمل رحمه الله بعد سوقه لكلام أبي السعود وقال ابن جزري في تفسيره إن الباء ليست للسببية بل هي متعلقة بمحذوف يدل عليه المقام والتقدير ذكر المذكور من خلق الإنسان وإحياء النبات شاهد بأن الله هو الحق وما عطف عليه فيكون قوله وأن الساعة وقوله وأن الله يبعث معطوفين على ما قبلهما بهذا التقدير فتكون هذه الأشياء بعد الباء مستدلاً عليها بخلق الإنسان والنبات كما استدلل بها على البعث والإعادة.¹

وظاهر سياق عبارة الجمل توحى بأنه نقل الكلام برمته ولما رجعت إلى التسهيل تبين لي أنه تصرف فيه عند نقله للكلام وإليك العبارة بلفظ ابن جزري عند تفسيره لسورة الحج قال: "والذي يظهر لي أن الباء ليست بسببية وإنما يقدر لها فعل تتعلق به ويقتضيه المعنى وذلك أن يكون التقدير ذلك الذي تقدم من خلق الإنسان والنبات شاهد بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وبأن الساعة آتية فيصح عطف وأن الساعة على ما قبلها بهذا التقدير".²

ثانياً: ومن أبدو تأثر كبير بكتاب التسهيل بحيث أكثر الرجوع إليه والأخذ منه مقارنة بالإمام الجمل الأستاذ علي الصابون أحد المعاصرين الذين خاضوا غمار التأليف في التفسير بعد الاشتغال سنين بتدريس المواد المتعلقة بالقرآن وعلومه كان نتاجه مصنفاً سمّاه "صفوة التفاسير" وهو متداول ومطبوع في ثلاث مجلدات، وإليك مثالين تثبت ما تقدم تقريره قريباً لأن الكلام معتبر بالحجة والبرهان كما هو مبين في القرآن:

المثال الأول: يقول الصابوني³ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ [سورة الرعد الآية 03]، "هو تعالى بقدرته بسط الأرض وجعلها ممدودة فسيحة وهذا لا ينافي كرويتها فإن ذلك مقطوع به، قال في التسهيل ولا يتنافى لفظ البسط والمد مع التكوير لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدّها".⁴

المثال الثاني: وقال أيضاً عند بيانه لقوله تعالى: ﴿بِمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْذِنُ لِلَّهِ﴾ [سورة فاطر الآية 32]، "قال ابن جزري: وأكثر المفسرين أن هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد فالظالم لنفسه العاصي والسابق التقى والمقتصد بينهما".⁵

¹ الزبيدي، ابن جزري ومنهجه في التفسير، ج1، ص913.

² ابن جزري، التسهيل، ج2، ص50.

³ هو محمد بن علي الصابوني من الأساتذة المعاصرين الذين اشتغلوا بالتفسير وعلومه تدريساً وتصنيفاً كان ثمرته تأليف كتب في هذا الفن من بينها صفوة التفاسير. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص2293.

⁴ صفوة التفاسير، د. ط، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1421هـ-2011م، ج2، ص68.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص529.

بالإضافة إلى أنَّ هناك جهوداً مبذولة من قبل العلماء المعاصرين لا تقلُّ شأنًا على من تقدّم ذكرهم تتضمن في طياته اهتماماً واسعاً وعناية كبيرة بهذا السّفر بحيث لم تقتصر على الاقتباس منه وتخرّيج أحاديثه فحسب بل عكفوا على وضع شروح عليه تقلد زمامها كبار المتخصّصين في هذا المجال في الوقت الراهن كالشيخ عبد الله الخالدي والدكتور خالد السّبت وغيرهما.

الفرع الثالث: خصائص تفسير ابن جُزي

إن من أنفع الكتب المختصرة التي أُلّفت في علم التفسير كتاب التسهيل لعلوم التنزيل للإمام أبي القاسم محمد بن جزي الغرناطي، فقد امتاز هذا الكتاب بعدة مميزات، تجعله من أولى كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم أن يقبل على تحصيلها ومطالعتها والعناية بها لاشتغالها على عدة مميزات وخصائص وإليك أهمها:

- اختيار مؤلفه لأحسن طرق التفسير، حيث اعتمد تفسير القرآن بالقرآن أولاً، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين وهذه خاصية مشتركة بين أغلب المفسرين الأندلسيين، وهذا ما أكدّه بعض الباحثين حيث قال في هذا الصدد: "اعتمد المفسرون الأندلسيون القرآن نفسه وجعلوه عمادهم في تفسير آياته، وبيان معاني ألفاظه وتحديد مقاصده وأغراضه، كما أنهم استعانوا به للاستدلال على مسألة فقهية أو حكم شرعي ثبت بنص من القرآن والسنة، أما الحديث الشريف والاستدلال به على تفسير آيات القرآن فقد سلك المفسرون الأندلسيون مسلكاً اكتفوا فيه بالاستدلال بالحديث الشريف كاملاً أو جزء منه أحيان دون ذكر الأسانيد".¹

- سهولة أسلوب ابن جُزي ووضوح عباراته وجودتها، وحسن ترتيبه وعرضه للمسائل، وهذه الميزة يجدها الطالب بجلاء عند مطالعته لسائر كتب ابن جُزي، فعبارته يمكن أن توصف بأنها من السهل الممتنع، حيث يجد القارئ سلاسة عند قراءتها، لكن يصعب على الشخص أن يحاكيها.

- صغر حجم الكتاب نسبياً مما يسهل تحصيله واقتنائه لدى الراغبين مع غزارة مادّته العلمية، فابن جزي اختصر العبارة مع غاية الدقة في انتقاء اللفظ، فالمطالع لتفسيره يجد العبارة المختصرة المركزة لكن تنطوي تحتها معاني غزيراً، وهذا قد نص عليه هو نفسه حيث قال: "ثمّ إني عزمْتُ على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار".²

¹ ينظر: مدرسة التفسير بالأندلس، ص 149.

² ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 4.

- خلو الكتاب وصفائه من الأقوال الواهية والآراء التي هي في غاية السقوط والبطلان، كما صرح باعتماد هذا في مقدمة تفسيره فقال: "وإن كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب عنه وربما ذكرته تحذيرا منه".¹
- اهتمامه باللغة وعلومها كعلم الاشتقاق والنحو والبلاغة فهو يطيل التفصيل في توضيح الأوجه الإعرابية، وإبراز النكت البلاغية، فعده بعض الباحثين كتاباً تطبيقياً مفيداً لمن يدرس علوم الآلة، ويشغل بتقريبها للطلاب فهو بحق يعين على تطوير وتنمية الملكة اللغوية.
- اهتمامه بذكر الخلاف العالي مع حسن عرض ودقة نقد، من غير توسع مُمل ولا إيجاز مخل، كما تجلّى بُعد الإمام أيضاً فيما خطّه بأنامل يمينه عن التعصب المذهبي الذي ساد مذهب المالكية زمناً طويلاً، فالإمام ابن جزي قد نزه كتابه عن هذا التعصب المذموم وهذه الميزة تتجلى بوضوح في كتابه القوانين الفقهية، وإن كان في بعض المواطن يشير إلى خلاف المالكية أثناء تفسيره للآيات التي لها بعد فقهي مما يدل على سعة اطلاعه وشدة ضبطه لأقوال أهل المذهب وأئمته.
- عزوفه عن ذكر الأخبار والروايات الإسرائيلية التي عمّت بها البلوة فتناقلتها كتب التفسير المشهورة، بل يُشير في الغالب إلى سبب عدوله عن ذكرها عند تفسيره لآيات القصص ومثاله ما قاله عند تفسيره لسورة المائدة: "وفي قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة".²
- قدّم لكتابه بمقدمتين إحداهما تضمنت أبواباً في علوم القرآن وأصول التفسير، والأخرى في اللغات التي يكثر دورانها في القرآن وهي بمثابة مؤلف مستقل في علم غريب القرآن، وهذا الصنيع قلّ أن يوجد مثله في كتب التفسير.³
- عنايته بذكر القراءات وتوجيهها خاصة ما يتعلق بالخلاف الذي له أثر، أما الخلاف الذي لا ينبني عليه أثر فلا يذكره إلا نادراً.
- جودة المصادر التي استمد منها ابن جزي تفسيره، وأهمها تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للإمام الزمخشري، وهذان التفسيران من أجلّ كتُب العُمد الكبار، فالدارس لتفسير لابن جزي كأنه قرأ لباب هذين التفسيرين وصفوتهما.⁴
- مناقشته لأقوال كبار أئمة التفسير، كالإمام الطبري وابن عطية والزمخشري مع بيان الراجح اعتماداً على قواعد الترجيح المتعارف عليها عند الأئمة سالكا مسلك الاعتدال والموضوعية في ذلك بعيداً عن التحامل.

¹ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 5.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 258.

³ ابن جزي، التسهيل، تح: حمد الصالح، ج 1، ص 258.

⁴ المصدر السابق، ج 1، ص 8.

فهذه جملة من المميزات التي تُبرز القيمة العلمية لهذا الكتاب الذي وإن لم يشتهر زمن مؤلفه إلا أنه قد أخذ ألباب فحول العلماء في المشرق الإسلامي، كالإمام المصري المشهور بالجمال بالإضافة إلى تعويل بعض الباحثين عليه، كما هو ظاهر صنيع الشيخ الصابوني في كتابه صفوة التفاسير.

الفرع الرابع: المآخذ والملاحظات على تفسير ابن جزي

من المتعارف عليه بين أهل التراجم أن الإمام ابن جزي قد تربع على عرش الإفتاء والتدريس والخطابة بغرناطة والأندلس إلى جانب هذا كله كان له اشتغال بالتأليف في فنون شتى وعلوم متنوعة، ومن جملة مصنفاته التي يعظم مقامها لتعلقها ببيان كلام الله جل وعلا كتاب التسهيل، فهذا المصنّف مع جلالة قدره وسعة محتواه وكثرة فوائده ودقة ألفاظه وسهولة أسلوبه يبقى عملاً بشرياً يعتريه ما يعتري غيره من الخلل والسهو والزلل والنسيان والخطأ فيكدر بعض صفوه أو يقلل من سنن ضوئه وعبيق رياحينه فالله أבי الكمال إلا لكتابه والعصمة إلا لرسله عليهم الصلاة والسلام.

وسمة ذكر المآخذ والملاحظات على هذا الكتاب وعلى غيره من الدواوين والمصنّفات لم آتي بها من بنيات أفكاري وإنما هي سنة المؤلفين الأولين وأقرها عليهم المتأخرين لأنها تدخل في عموم النصيحة لا في باب تتبع العثرات قصد الفضيحة، كما نص على ذلك الإمام الخطابي¹ في مقدمة كتابه غريب الحديث، حيث قال: "وختمه الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث... ويكفي من العذر فيما أورده منها أن الغرض فيه أن يظهر الحق وأن يتبين الصواب، دون أن يكون القصد به الاعتراض على ماضٍ أو الاعتداء على باقٍ، ولعل بعض ما نأثره منها لو بلغا أبا عبيدة وصاحبه لقالا به وانتهيا إليه وذلك الظن بحما يرحمهما الله، فأما سائر ما تكلمنا عليه مما استدركناه بمبلغ أفهامنا وأخذناه عن أمثالنا فإن أحقاء بالأنا نركيه والأنا نؤكد الثقة به، وكل من عثر منه على حرفٍ أو معنى يجب تغييره فنحن نناشد الله في إصلاحه وأدائه حق النصيحة فيه فالإنسان ضعيف لا يسلم من الخطأ إلا أن يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله ذلك ونرغب إليه".

وقال الزرقاني² وهو يقرر ما ذهب إليه الخطابي وإن كان بينهما قرون كثيرة "ورجائي من كل ناظر يطلع على عيب أن يدلني عليه ويرشدني إليه فالدين النصيحة والمسلمون بخير ما تعاونوا وما نجح سلفنا الصالح وكانوا خير أمة أخرجت للناس إلا بهذه الفضيلة وإنه ليحلو أن أقول ما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه رحم الله رجلاً أهدى إلي عيوب نفسي".

¹ هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، كُتِبَ أبو سليمان الخطابي، أخذ العلم عن أعلام بلده منهم: أبو العباس الأصم ومكرم القاضي، كما روى عنه أبو حامد الاصفراريني وجعفر بن محمد بن علي المروذي، توفي سنة 386هـ وقيل 388هـ، من مصنفاته أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، معالم السنن في شرح الأحاديث التي في السنن وغيرها. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص 835.

² هو محمد عبد العظيم من كبار علماء الأزهر الشريف بمصر، درس بكلية أصول الدين وتخرج منها ثم عُيِّنَ مدرّساً لعلوم القرآن والحديث بها، توفي بالقاهرة، له إسهامات في علوم القرآن من أشهرها كتاب مناهل العرفان. يُنظر: الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 210.

فبعد وقوفي على كلام هاذين العلمين الذين لقيت كتبهم الشهرة والإشادة فأصبحت مرجعا عند القاضي والداني ومن ثم نهضت همتي وزادت رغبتى وقويت عزيمتي في ذكر الملاحظات والمآخذ على هذا التفسير وإليك ما تبين لي منها:

✓ نقّده لبعض المفسرين الذين توسعوا في سرد المرويات أثناء تفسيرهم للآيات القصص دون تميز بين صحيحها وسقيمها حتى بلغ الأمر ببعضهم سرد حكايات واهية تمس بمقام النبوة وقد نبه على هذا في مقدمة كتابه حيث قال: "وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تنقص بمنصب الأنبياء عليهم السلام أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه."¹

وهذا كلام حسن يُقرّه كل عاقل فضلا عن العلماء، لكن الإمام ابن جُزي لم يلتزمه في جميع كتابه، فأورد قصصا وحكايات تُروى حول بعض الآيات وأطال في سردها أحيانا،² كما يراد لما يُروى حول قصّة حواء مع إبليس عليه لعائن الله تترأ، فقد ذكر نص القصّة بتمامها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَيْنَهَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْنَهُمَا﴾ [سورة الأعراف الآية 190]، قيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها: إن أطعيني وسميتي ما في بطنك عبد الحارث، فسأخلّصه لك، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتني في ذلك قتلته فأخبرت بذلك آدم فقال لها إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلمّا ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمّياه عبد الحارث طمعا في حياته.³

✓ يورد الأحاديث مجرّدة عن أسانيدنا من غير عزو إلى مصنفاتها في الغالب بل أحيانا يورد أحاديث الصحيحين بصيغة التمرّض كقيل وروي، ولا يليق هذا أن يصدر من إمام متبحّر انتهت إليه الريادة في التحديث حتى وصفه أهل التراجم بالحدث ولعل عذره مراعاة منهج الاختصار، وإن كان الأليق بابن جُزي أن يستعمل الرموز كما يُفعل في كتب أطراف الحديث، فبذلك يكون قد استوفى شرط الاختصار من جهة، ولزم المنهج في العزو من جهة أخرى، ولم ينفرد ابن جُزي بهذا المنهج في إيراد الأحاديث بل هي السّمة الغالبة على التفاسير الأندلسية، وفي هذا الصدد يقول بعض الباحثين: "أما الحديث الشريف والاستدلال به على تفسير آيات القرآن، فقد سلك المفسّرون الأندلسيون مسلكا اكتفوا فيه بالاستدلال بالحديث الشريف كاملا أو جزء منه أحيانا دون ذكر الأسانيد، وقلّما يذكرون سند الحديث ويشيرون إلى درجته."⁴

¹ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 11.

² ينظر: علوم القرآن عند ابن جُزي، ص 351.

³ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 332.

⁴ ينظر: مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، ص 149.

✓ إغفاله لكثير من الشواهد اللغوية عند تناوله لتفسير غريب الألفاظ مراعاة لمسلك الاختصار الذي ألزم به نفسه، وكان الأجدر أن يكتفي بذكر محلّ الشاهد كما فعل هذا في بعض المواطن لأن الشاهد اللغوي معوّل عليه في تفسير الغريب كما قرره هو بنفسه في مقدّمة كتابه.

✓ اقتصاره على إيراد الخلاف الواقع بين القراءات السبعة جرياً على ما اشتهر عند المفسّرين القدامى، وهذا تقصير جلي لا يستساغ أن يصدر من عالم ترقى في بيئة فشت فيها العناية بالقراءات، بل الإمام ابن جزري وضع المصنّفات في هذا العلم.

✓ عاتب الإمام الزمخشري في مقدّمة تفسيره وذلك لأنه ملء كتابه بمذهب المعتزلة وشَرَّهم وحمل آيات القرآن على طريقتهم فتكدر صفوه وتمرّر خلوه،¹ فمع هذا نجد أن الإمام ابن جزري أيد قول المرجئة في مسألة أن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان ونصر مذهب أهل التأويل في تفسيره لبعض آيات الصفات، وإن كان عُذره في هذا أن البيئة العلمية التي نهل منها العلوم قد استفحل فيها هذا الأمر.

✓ تركه في مواطن كثيرة إسناد الأقوال إلى قائلها وهي سنة غير محمودّة عند المؤلفين، وفي هذا الصدد يقول الإمام القرطبي: "وشرطي (في كتابي) إضافة الأقوال إلى قائلها والأحاديث إلى مصنفها فإنه يقال من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله".²

✓ يسلك مسلك الاختصار والاقتضاب عند ذكره لأسباب النزول بل أحياناً يشير إلى السبب إشارة عابرة بصيغة التمرّيض نحو قيل وروي.³

✓ إغفاله لكثير من أقوال الحنابلة عند ذكره للمسائل التي اختلف فيها أئمة المذاهب، وهذا ظاهر جلي لمن تأمل تفسيره لآيات الأحكام، فلعلّه قلّد من ينفي الفقه عن الإمام أحمد معولاً على مقالة الإمام ابن جرير فقد سئل عن مذهب الإمام أحمد فقال: لم يكن الإمام أحمد فقيهاً وإنما كان محدّثاً لذلك لم يذكره في كتابه اختلاف الفقهاء، وكلام ابن جرير لا يقتضي نفي الفقه بالكُلية عن الإمام أحمد، وإنما هو محمول على فقه الاتباع، وهذا أعدل التوجيهات التي ذكرها الشيخ بكر أبو زيد وفي هذا الصّدّد يقول: "فإن اعتذار ابن جرير -رحمه الله تعالى- في عدم ذكر الإمام أحمد في كتابه اختلاف الفقهاء، واضح، أنه لا يريد نفي كون الإمام أحمد فقيهاً، وإنما يريد نفي كونه فقيهاً متبوعاً؛ فابن جرير ولد سنة (224هـ) في حياة الإمام أحمد المتوفى سنة (241هـ)

¹ ينظر: ابن جزري، التسهيل، ج1، ص14.

² الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص3.

³ ينظر: علوم القرآن عند ابن جزري، ص187.

ثم توفي ابن جرير سنة (310هـ) ومذهب الإمام أحمد لم يتكون إقراء فروعه في هذه الفترة، فكان في طور رواية تلامذته له، وجمع الحلال له، المتوفى سنة (311هـ) أي بعد ابن جرير بعام واحد، وأول مختصر في فقهه كان من تأليف الخرقى المتوفى سنة (334هـ). فصار بدء إقراءه في الكتابات كما في تلقن القاضي أبي يعلى له، على يد أبي يعلى، المتوفى سنة (458هـ) الذي تولى القضاء وشيخه الحسن بن حامد، المتوفى سنة (403هـ) بدأ ظهور المذهب، وتكونه، وتكاثر أتباعه، والاشتغال في تهذيبه، وتدوين المتون والأصول، وكل هذا بعد وفاة الإمام ابن جرير بزمان كما هو ظاهر، فرحم الله ابن جرير ما أبرّه.¹

✓ اهتم بإيراد الأحاديث والآثار في فضل بعض السور ولم يميز بين صحيحها وسقيمها، بل يذكر حتى الضعيف الواهي كما وقع له عند تفسيره لسورة الواقعة فقد قال روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا».²

وهذا الحديث قد تتبع الحافظ الزيلعي³ أسانيده وأطال بحثها كعادته ثم قال: "فقد تبين ضعف هذا الحديث من وجوه:

أحدها: الانقطاع كما ذكره الدارقطني، وابن أبي حاتم في علله نقلا عن أبيه.

والثاني: نكارة متنه، كما قال أحمد.

والثالث: ضعف رواته كما ذكره ابن الجوزي.

والرابع: الإضراب، فمنهم من يقول: أبو طيبة بالطاء المهملة بعدها باء آخر الحروف، كما ذكره الدارقطني، ومنهم من يقول: بطاء معجمة بعدها باء موحد، ومنهم من يقول: أبو فاطمة كما ذكرهما البيهقي، ومنهم من يقول: أبو شجاع، ومنهم من يقول: عن أبي شجاع، وقد اجتمع على ضعفه الإمام أحمد، وأبو حاتم، وابنه، والدارقطني، والبيهقي، وابن الجوزي تلويحًا وتصريحًا، والله أعلم.⁴

✓ حكايته لكلام المتصوفة الذين حادوا فيه عن جادة الصواب، وقد اشترط ألا ينقل من كلامهم إلا ما يُستحسن، كما نصّ على ذلك في مقدّمة تفسيره وفي هذا الصدد يقول: "وقد تكلمت المتصوفة

¹ المدخل المفصل في فقه الإمام أحمد، ط2، دار العاصمة، جدة، 1417هـ، ج1، ص365.

² ابن جزي، التسهيل، ج1، ص11.

³ هو جمال الدين بن عبد الله بن يوسف بن محمد الحنفي الزيلعي، فقيه وعالم بالأصول، سمع من أصحاب النجيب وغيره، من أشهر مصنفاته نصب التزاة في تخرّيج أحاديث الهداية، وتخرّيج أحاديث الكشاف، توفي سنة 762هـ بالقاهرة. ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، حلب، 1387هـ-1967م، ج1، ص359.

⁴ الزيلعي، تخرّيج أحاديث الكشاف، اعتنى به سلطان بن فهد الطيشي، ط1، 1424هـ-2003م، ج3، ص413-414.

في تفسير القرآن فمنهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته إلى دقائق المعاني ووقف على حقيقة المراد، ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية وقد جمع أبو عبد الرحمان السلمي كلامهم في التفسير في كتاب سماه " الحقائق"، وقال بعض العلماء بل هو الباطل، وإذا ما انتصفنا قلنا فيه حقائق وباطل، وقد ذكرنا في كتابنا هذا ما يُستحسن من الإشارات الصوفية دون ما يُعترض أو يُقدح فيه¹. ولم يوافق بعض الباحثين في كل ما نقله عن المتصوفة بل انتقدوه في بعضها، وفي هذا الصدد يقول المغراوي: "وتكلم على التقوى في سورة البقرة وعلى الذكر والتوحيد وغيرها من الأمور التي سماها مقامات التصوف. وعدها اثنا عشر مقاما، وهذا من المأخذ أيضا على تفسيره حيث جعل توحيد الخلق لله على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: توحيد عامة المسلمين.

والدرجة الثانية: توحيد الخاصة وهي مشاهدة مصدر الأعمال من الله بطريق المكاشفة لا بطريق الاستدلال. والدرجة الثالثة: ألا يرى في الوجود إلا الله وحده فيغيب عن النظر إلى المخلوقات وهذا هو الفناء عند الصوفية كما سماه هو بنفسه وأقره في تفسيره"². فهذه جملة من المآخذ والملاحظات لا تُنقص من المحتوى والقيمة العلمية لهذا التفسير، ويبقى من أجود التفاسير لمزاجتها بين منهج التفسير بالمأثور والرأي المحمود ولهذا عوّل المعاصرون عليه وأشادوا به.

الفرع الخامس: منهجه في التفسير

لقد سطر الإمام ابن جزري وبين معالم منهجه في مواطن متفرقة من مقدّمة تفسيره حيث قال: "وسلكت مسلكا نافعا إذ جعلته وجيزا جامعا قصدت به أربعة مقاصد تتضمن أربعة فوائد: الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير تسهّلا على الطالبين وتقريبا على الراغبين، فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمّنته الدواوين الطويلة من العلم، ولكن بعد تحليصها وتمحيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفصولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علوم القرآن الباب المرغوبة فيه، دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط. الفائدة الثانية: ذكرت نكت عجيبة، وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب، لأنها من نبات صدري، وينابيع ذكري، ومما أخذته عن شيوخه رضي الله عنهم، أو مما التقطته من مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر. الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إمّا بحلّ العقد المقفلات، وإمّا بحسن العبارة ورفع الاحتمالات وبيان المحملات.

¹ ابن جزري، التسهيل، ج2، ص398.

² المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1420هـ-2000م، ج2، ص896-897.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح منها من المرجوح... وهذا الترجيح والتصحيح مبني على القواعد العلمية أو ما تقتضيه اللغة العربية¹.

وقال في موضع آخر لما شرع يعدد أسباب الخلاف بين المفسرين: "وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر: الأول: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء عولنا عليه لاسيما إن ورد في الحديث الصحيح.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرت القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون القول قول من يُقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله ابن عباس.

الخامس: أن يدلّ على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف أو الاشتقاق².

وذكر في معرض حديثه عن طبقات المفسرين شيئا من منهجه أيضا فقال "وأعلم أن المفسرين على طبقات:

الطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم، وأكثرهم كلاما في التفسير عبد الله ابن عباس، وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس، ويتلوها عبد الله ابن مسعود وأبي ابن كعب وزيد ابن ثابت وعبد ابن عمر بن الخطاب... وكلّ ما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن.

والطبقة الثانية: التابعون وأحسنهم كلاما في التفسير الحسن بن الحسن البصري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعلقمة، ويتلوهم عكرمة وقتادة والسدي³.

والذي يتبين لي بعد ذكر هذه النقول، أن ابن جزري جرى على سنن غيره من المفسرين وهو تعويله على التفسير بالمأثور، بدأ بتفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين، بالإضافة إلى ما تقتضيه قواعد اللغة، وتميّز منهجه بإعماله لرأي والاجتهاد المحمود وهذا مما يحسب له فيكون بذلك جمع بين مسلكين ارتضاها العلماء وهو مسلك التفسير بالمأثور ومسلك التفسير بالرأي المحمود، وإن كان الغالب عن المنهج التفسير بالمأثور. وقد تأملت تفسيره أثناء تباعي لتعقباته على غيره فوجدته قد التزم بالمنهج الذي سطره لنفسه في مقدّمة كتابه، وإن كانت دراستي ليست بصدد البحث والكشف عن منهجه، كما هو ظاهر عنوانها خاصة وقد تولى هذا الأمر

¹ ابن جزري، التسهيل، ج1، ص4-5.

² ابن جزري، التسهيل، ج1، ص13.

³ المصدر نفسه، ج1، ص14.

غيري، فكفوني المؤنة، إلا أني مع ذلك سأبين معالم منهجه العامة بناء على قراءتي للكتاب مع ذكرى لجملة من الأمثلة جمعاً بين التنظير والتطبيق وهي مرتبة على النسق التالي:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن

يعتبر ابن جزي ممن طبّق هذه الطريقة عند تناوله لتوضيح معاني الآيات وهي السّمة الغالبة على تفسيره، وهي من أحسن طرق التفسير كما صرّح بذلك الحافظ ابن كثير فقال: "إن قال قائل فما أحسن طرق التفسير، فالجواب إن أصح الطرق في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فُسّر في موضع آخر"¹، بل أجمع المحققون على اعتبار هذه الطريقة وقبولها بلا خلاف، يقول الذهبي: "أما تفسير القرآن بالقرآن أو بما ثبت من السنة الصحيحة فذلك مما لا خلاف في قبوله، لأنه لا يتطرق إليه الضعف ولا يجد الشكُّ إليه سبيلاً"².

وحتى يتّضح جلياً للقارئ تعويل ابن جزي واعتماده على طريقة تفسير القرآن بالقرآن لا بد من ذكر جملة من الأمثلة وهي على النحو التالي:

المثال الأول: قال ابن جزي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس الآية 62]، "اختلف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً، والحق في ما فسّره الله بعد هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس الآية 63]، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي"³.

المثال الثاني: يعتبر ابن جزي هذه الطريقة منهجاً للترجيح والاختيار بين الأقوال ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَيُّذُنُهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة الآية 87]، فقال: "روح القدس جبريل وقيل الإنجيل، وقيل: الاسم الذي يكتى به الموتى، والأول أرجح" لقوله: ﴿فُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [سورة النحل الآية 102].

المثال الثالث: قد تكون هذه الطريقة مُخصّصة للعموم، فقد ذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالنُّطْلَقْتُ يَتَرَبَّصُّ بِأَنْفُسِهِمْ ثَلَاثَةَ فُرُوجٍ﴾ [سورة البقرة الآية 226]، وهو عموم مخصوص خرجت منه الحامل بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُمْ أَنْ يَضَعَّ حَمْلَهُمْ﴾ [سورة الطلاق الآية 4]، واليائسة والصغيرة بقوله: ﴿وَالْبَيْتِ يَيْسَ مِنْ أَلْمَحِيضِ﴾ [سورة الطلاق الآية 4]، والتي لم يدخل بها بقوله: ﴿بِمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ [سورة الأحزاب الآية 49]، فيبقى حكمها في المدخول بها، وهي سنٌّ من تحيُّض⁴.

¹ تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 7.

² التفسير والمفسرون، ج 1، ص 114.

³ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 383.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 111.

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة

والسنة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وطلب التفسير منها معتبر، فقد تكون مقيدة لمطلق القرآن أو موضحة لجملة أو مخصصة لعمومه أو ناسخة لمحكمه، وقد نُقل عن الأئمة نصوص توحى بحثهم على اعتبارها في التفسير. قال الشافعي: "كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ما فهمه من القرآن"¹، وقال ابن جزي: "أن ما ورد عن النبي ﷺ كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأن قول عليه السلام مقدم على أقوال الناس"². وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له"، وهذا ظاهر بَيِّن، فإن السنة بيان للقرآن³.

ومن النماذج التطبيقية التي تبين اعتبار السنة مفسرة للقرآن عند ابن جزي قوله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [سورة البقرة الآية 186]، يراد من الخيط الأبيض بياض الفجر، وبالخيط الأسود سواد الليل، وروي أن قوله من الفجر نزل بعد ذلك بيانا لهذا المعنى، لأن بعضهم جعل خيطا أبيضاً وخيطاً أسوداً تحت وسادته، وأكل حتى تبين له⁴، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»⁵.

ومن الشواهد التي تظهر اعتماد ابن جزي طريق تفسير القرآن بالسنة كذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة الطور الآية 21]. معنى الآية ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ لَيُفَرِّقَهُنَّ عَنْهُمْ»⁶.

وقال أيضا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَاذِكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [سورة البقرة الآية 151]، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبيانها قول رسول الله ﷺ في ما يرويه عن ربه: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»⁷.

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 7.

² التسهيل، ج 1، ص 11.

³ صالح آل شيخ، شرح مقدمة في أصول التفسير، ط 1، دار المنهاج، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1432هـ، ص 139.

⁴ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 99.

⁵ صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب وكلوا واشربوا، رقم 1916.

⁶ ابن جزي، التسهيل، ج 2، ص 377.

⁷ المصدر نفسه، ج 1، ص 88.

وذكر عند بيانه لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأنعام الآية 54]، أي قضاها وتفسير ذلك بقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَفِيهِ أَنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»¹.

وبعد عرض الجملة من الأمثلة المبينة لعناية ابن جزي بتفسير القرآن بالسنة تبين لي أنه قد لا يورد الحديث كاملا وإنما يكتفي بذكر بعضه، ومحلّ الشاهد منه التزاما بمنهج الاختصار، كما أنه قد يورد الحديث بالمعنى وهذا توسّع منه، وفي كلا الحالين يندُر حُكمه على الأحاديث والآثار التي ساقها في كتابه.

ثالثا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين

والصحابة جمعٌ مفردُه صاحبٌ أو صحابي وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنا به ومات على ذلك ولو تخللت رِدَّةٌ على الأصح.²

والصحابة هم عُدول الأمة وأفضل الخلق بعد النبي ﷺ، وقد حازوا التفضيل من ثلاثِ جوانبٍ: أولُها: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَرْضَى عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة الآية 101].

ثانيها: ثناء النبي ﷺ عنهم كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»³.

ثالثها: أَنَّ اللَّهَ اختارهم من بين الخلائق لصُحبة نَبِيِّهِ فشهدوا الوحي والتَّنْزِيلَ وعابنوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النَّقَابَ عن معاني الكتاب، بالإضافة إلى ما لهم من سلامة فطرتهم، وصفاء نفوسهم وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح، ويجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهُداة.⁴

ونظراً لهذه المنزلة التي تبوؤها هؤلاء عظم شرف أقوالهم في التفسير، فاعتُبرت عند العلماء، يقول ابن تيمية رحمه الله: "وحيثُ؛ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصُّوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبرائهم..."⁵.

¹ ابن جزي، التسهيل، ج2، ص264.

² عبد الكريم الخضير، تحقيق الرغبة، ط3، مكتبة المنهاج، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1429هـ، ص174.

³ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، رقم 2494.

⁴ يُنظر: الزرقاني، مناهل العرفان، ج2، ص13.

⁵ شرح مقدمة أصول التفسير، ص95.

وما نُقل عن الصحابة من مرويات في تفسيرهم للقرآن الكريم لا تخلو من إحدى احتمالين:

❖ إما أن تكون أقوالهم مما ليس للرأي فيه مجال كأسباب النزول ونحوها فهذا له حكم الرفع، كما جزم بذلك الإمام الحاكم¹ في مُستدركه، وإليه جَنَح العراقي² فقال في ألفيته:

وَعُدَّ مَا فَسَّرَهُ الصَّحَابِيُّ *** رَفْعًا فَمَحْمُولًا عَلَى الْأَسْبَابِ

❖ وإما أن تكون أقوالهم مبنية على الرأي والاجتهاد فتُعْطَى حُكْمُ الموقوفات، يقول عبد الكريم الحُضَيْر: "فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات"³، لكن يجب الأخذ بها إذا صَحَّت أسانيدُها إلى الصحابة وهو القول المختار، نظرا لعدّة أمور هي:

- احتمال سماعهم من النبي ﷺ.
- أن رأيهم أصوب لأن القرآن نزل بلغتهم ولبركة الصُّحبة.
- لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح.
- لما منحهم الله تعالى من الحرص الشديد على تعلّم أمور دينهم.
- لما لهم من العدالة التامة وهم وإن كانوا غير معصومين من الخطأ، إلا أن احتمال وجود الخطأ منهم أقل، فاجتهادهم أقرب للحق والصواب من اجتهاد غيرهم.⁴

ويُلي تفسير الصحابة في المنزلة والمكانة تبعاً لتفسيرات التابعين الذين أدركوا الصحابة وسمعوا منهم ورووا عنهم فخصّصوا بمزيد فضلٍ لم يشاركهم فيه أحدٌ ممن أتوا بعدهم، فهؤلاء أقوالهم معتبرة في التفسير وهو اختيار أكثر العلماء كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وفي هذا الصدد يقول: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنّة ولا وجدته عند الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين".⁵

والإمام ابن جزي يعتبر بأقوال الصحابة والتابعين وقد أودع في تفسيره كثيرا من مروياتهم إلا أنه لا يسلم لها مطلقا فقد يختار بعضها وقد يتعقبها بترجيح غيرها عليها عملا بالقرائن كورود الحديث أو دلالة السياق أو غير ذلك من قواعد الترجيح، وبالمثال يتّضح المقال، فقد نقل تفسير ابن عباس وسعيد ابن جبير وغيرهما ولم يمنح لرايهما

¹ هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، من أكابر حفاظ الحديث والمصنّفين فيه، ولد وتوفي بنيسابور، من مصنّفاته المستدرك على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث. يُنظر: الزركلي، الأعلام، ج 6، ص 127.

² هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان بن أبي بكر ابن إبراهيم الزين، كُنيتُه أبو الفضل الكردي، مصريُّ الأصل شافعيّ المذهب، من تلامذته ابن حجر والحافظ الهيثمي، توفي سنة 806هـ. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص 1211.

³ تحقيق الرّغبة، ص 174.

⁴ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1، ص 64. يُنظر: أحمد السيّد، تعقبات ابن كثير على الطبري، ص 62.

⁵ صالح آل الشيخ، شرح مقدمة التفسير، ص 156.

فقد قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [سورة الكوثر الآية 01]، هذا خطاب للنبي ﷺ والكوثر رثاء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة قاله ابن عباس وتبعه سعيد ابن جبير.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه.

ثم تعقب هذه الأقوال بعد عرضها بقوله ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيَهُ اللَّهُ وَهُوَ الْحَوْضُ آتِيَتْهُ عِدْدُ النُّجُومِ».¹

رابعاً: تفسير القرآن بلغة العرب

لم يختلف العلماء أن من الضروريات التي لا يسع المفسر جهلها بل يتحتم عليه معرفتها، أن يكون عالماً باللسان العربي، لأن الجهل باللسان يفتح باب شرّ عظيم، يترتب عنه الزلل والخطأ في التفسير ولربما يكون المآل إلى التحريف، ولذا قال مجاهد رحمه الله تعالى: "لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"²، وقد كان أمير المؤمنين عمر يشدد في هذا الأمر، ويدل على هذا قصته مع الأعرابي التي ذكرها القرطبي في مقدمة تفسيره وفيها: "أن أعرابياً قدم في زمن عمر ابن الخطاب فقال: من يُقرؤني مما أنزل على محمد؟ فأقرأه رجل "براءة" فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة التوبة الآية 3] بالجرّ، فقال الأعرابي أوقد برئ الله من رسوله؟ فإن يكن الله بريئاً من رسوله فأنا أبرأ منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي، فدعاه فقال يا أعرابي أتبرأ من رسول الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن فسألت من يُقرؤني، فأقرأني هذه السورة "براءة" فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أي بالجرّ، فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي، قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالرفع،

¹ صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة، سوى براءة، رقم (400).

² مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير، ص 325.

فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه، فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يقرئ الناس إلا عالم باللغة".¹ وأثر عن عمر أيضا قوله: "عَلَيْكُمْ بِدِيَوَانِ الْعَرَبِ فَإِنَّ بِهِ مَعْرِفَةَ كَلَامِ رَبِّكُمْ".²

ولم يخالف ابن جزي ما قرره عمر ومجاهد وغيرهما من السلف، من أنه لا بُدَّ للمفسر من معرفة بلغات العرب، يشهد لهذا ما خطه بنان يمينه في مقدمة تفسيره حيث قال: "وأما اللغة فلا بُدَّ للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها...، وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان...، وأما علم البيان فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن، وقد ذكرنا منه في هذا الكتاب فوائد فائقة ونكت مستحسنة رائعة".³

والمطالع في تفسير ابن جزي يجد أن هذا الإمام يُولي للغة أهمية كبيرة، فقد أودع بين دفتي كتابه كثيرا من النكت البيانية والأوجه الإعرابية بالإضافة إلى عناية بتفسير غريب ألفاظ الآي معولا على الشعر تارة وعلى النثر أخرى ومثال ذلك ما ذكره عند بيانه لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [سورة البقرة الآية 255]، حيث قال: "الفرق بين السنة والنوم أنّ السّنة في ابتداء النوم لا نفسه، كقول القائل:

وسنان أقصده النعاس فرنقت *** في عينه سنة وليس بنائم"⁴

ومن الشواهد التي تبرز اهتمام ابن جزي بإيراد النكت واللطائف البيانية ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [سورة البقرة الآية 218]، "فإن قيل لما جاء ويسألونك بالواو ثلاث مرات، وبغير واو ثلاث مرات قبلها؟ فالجواب أن سؤلهم عن المسائل الثلاثة الأول وقع في أوقات متفرقة، فلم يأت بحرف العطف، وجاءت الثلاثة الأخيرة بالواو، لأنها كانت متناسقة".⁵

ومن الأمثلة التي تُظهر ولعه الشديد بعلم البلاغة خصوصا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [سورة الأنعام الآية 96]، قال وفي ذكر الحي من الميت المطابقة، وهي من أدوات البيان وفيه أيضا القلب لأنه قدّم الحي على الميت ثم عكس.⁶

ولم يتعرّض ابن جزي لإعراب جميع الآيات التي تولى توضيح معانيها، وإنما اكتفى بإعراب ما يُحتاج إليه من المشكل والمختلف أو ما يُفيد فهم المعنى وقد نبه على هذا في مقدّمة كتابه حيث قال: "وقد ذكرنا في هذا الكتاب

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص24.

² صالح آل شيخ، شرح مقدّمة التفسير، ص149.

³ ابن جزي، التسهيل، ج1، ص12.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص122.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص108.

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص141.

من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف أو ما يُفيد فهم المعنى أو ما يختلف المعنى باختلافه ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ، فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة¹.

خامساً: العناية بالقراءات وتوجيهها

اهتمَّ الإمام ابن جزي بذكر أوجه القراءات في الآيات التي يُمَرُّ على تفسيرها وإن كان قد اقتصر على ذكر الخلاف بين القراءات السبع وقلما يورد غيرها، وأحياناً يذكر القراءات الشاذة مستعينا بها على كشف المعنى كقراءة ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم من الصحابة، وقد نوه بمنزلة هذا العلم ومنهجه الذي سلكه في تفسيره فقال: "وأما القراءات فهي بمنزلة الرواية في الحديث فلا بد من ضبطها كما يُضبط الحديث بروايته، ثم إن القراءات على قسمين: مشهورة وشاذة، فالمشهورة هي القراءات السبع وما جرى مجراها، كقراءة يعقوب وابن مُحِصِّن، والشاذة ما سوى ذلك وإنما بيّنا هذا الكتاب على قراءة نافع لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة في بلدنا بالأندلس، وسائر بلاد المغرب

والأخرى: اقتداء بالمدينة شرفها الله لأنها قراءة أهل المدينة، وقال مالك ابن أنس: قراءة نافع سُنَّة، وذكرنا من سائر القراءات ما فيه فائدة في المعنى والإعراب دون ما لا فائدة فيه زائدة"²، ومن الأمثلة التي تبين عناية ابن جزي بالقراءات وتوجيهها قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [سورة البقرة الآية 118]، وقرأ غير نافع بضمّ التاء واللام، أي لا تسأل في القيامة عن ذنوبهم.³

ومن الشواهد كذلك التي تبين عناية ابن جزي بتوجيه القراءات ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَكِينًا﴾ [سورة الإنسان الآية 04]، من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف لأنه جمع لا نظير له في الآحاد ومن قرأه بالتنوين فله ثلاث توجيهات:

أحدهما: أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل.

والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق وأجرى الوصف مجرى الوقف.

والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة رواية للشعر قد عوّد لسانه صرف ما لا ينصرف فجري على ذلك.⁴

¹ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 12.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 10.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 80.

⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص 518.

سادساً: الاهتمام بالأحكام الفقهية

الإمام ابن جزري معدود في زمرة فقهاء المالكية، وقد صَنَّفَ كُتُباً تُظْهِرُ طول باعه وتمكنه، في مجال الفقه عموماً من ذلك كتابه القوانين الفقهية، مع ذلك اهتم بإيراد المسائل في ضوء أقوال أئمة المذاهب المتبوعة المشتهرة في الفروع خلا مذهب الحنابلة عند تفسيره لآيات الأحكام وأحياناً يذكر مذهب أهل الظاهر عند سؤقه للخلاف وقد يتعقبه، سالكا منهجاً حسناً في العرض بعيداً عن التوسع الممل والاختصار المقتضب المخل وقد يستطرد إذا احتاج المقام لذلك كما وقع له عند تفسيره لسورة المجادلة والجمعة ومما يحسب له دقته في إسناد الأقوال إلى أصحابها وال ترجيح بينها وإن كان القول المختار غير مذهب المالكية معتمداً على القواعد المشتهرة عند المجتهدين في الترجيح كسياق الآي وغيرها بعيداً عن التحامل والتعصب، الذي تنباه بعض علماء الأندلس دهرًا ومن الأمثلة التي تترجم صورة منهجه ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن بَعَثَ إِحْدِيهُمَا عَلَى الْآخَرِي بِفَتْنٍ لِّتَبَيَّنَ﴾ [سورة الحجرات الآية 9]، "أمر تعالى في هذه الآية بقتال الفئة الباغية وذلك إذا تبين أنها باغية، فأما الفتنة التي تقع بين المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين:

أحدها: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة وحثتهم قول رسول الله ﷺ قَالَ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»¹ وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتنة.

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية وهذا قول علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحثتهم هذه الآية، فإذا فرعنا على القول الأول، فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه وماله فليدفعه عن نفسه وإن أدى ذلك إلى قتله لقوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ أَوْ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»²، وإذا فرعنا على القول الأول فاختلف مع من يكون النهوض في الفتنة، فقليل مع السواد الأعظم، وقليل مع العلماء، وقليل مع من يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتنة ألا يُجهز على جريح، ولا يُطلب هاربٌ، ولا يُقتل أسير»³.

سابعاً: عنايته بالنسخ

تناول الإمام ابن جزري أثناء بيانه لمعنى الآيات قضايا النسخ لكن ميزته في طرحها هو مناقشته لدعوة النسخ معتمداً على القواعد المعتمدة عند الأئمة في هذا الباب كقاعدة أن الأخبار لا يدخلها النسخ وغير ذلك،

¹ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم: 48.

² سنن الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد، رقم: 1421. وقال حديث حسن صحيح.

³ ابن جزري، التسهيل، ج2، ص58.

كما أنه أحيانا يورد دعوى النسخ في الآية ويُسلم لها، ويفهم من هذا الصنيع إقراره لذلك القول، ومن الأمثلة ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ [سورة البقرة الآية 219]، "والمشركات عبّاد الأوثان من العرب فلا تتناولوا اليهود ولا النصرى المباح نكاحهن في المائدة، فلا تعارض بين الموضعين ولا نسخ خلافاً لمن قال آية المائدة نسخت هذه ولمن قال هذه نسخت آية المائدة فمنع نكاح الكتانيات".¹

وقد يرجّح بين أقوال المفسّرين في دعوة النسخ ويميل إلى قول بعضهم ومثاله ما ذكره عند تفسيره لقوله: ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة البقرة الآية 179]، "كانت فرضاً قبل الميراث ثمّ نسختها آية الميراث مع قوله ﷺ: «فلا وصية لوارث» وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين وقيل معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض فلا تعارض بينها وبين الموارث ولا نسخ والأول أشهر".²

ثامناً: اهتمامه بأسباب النزول

معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب³، ولهذا قال الواحدي*: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها"، وقال ابن دقيق العيد**: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"⁴، وانطلاقاً من هذا نجد أن ابن جزي كثيراً ما يورد سبب النزول عند بيانه لمعنى الآيات، كما أنّه قد يذكر أكثر من سبب، فقد تعدد الأسباب في نزول الآية الواحدة، ومن الشواهد التي تبين عناية الإمام بهذا الجانب.

ما أورده عند تفسيره لقوله: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [سورة المائدة الآية 11] "في سببها أربعة أقوال: الأول: أن النبي ﷺ ذهب إلى بني النضير من اليهود، فهمّوا أن يصبّوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل بذلك فقام من المكان ويقوي هذا القول ما ورد من الآيات بعد هذا في غدر اليهود.

والثاني: أنها نزلت في شأن الأعرابي الذي سلّ السيف على رسول الله ﷺ حين وجده في سفر وهو وحده وقال له من يمنعك منّي قال الله فأغمد السيف وجلس واسمه غورث بن الحارث الغطفاني.

¹ ابن جزي، التسهيل، ج2، ص108-109.

² المصدر نفسه، ج1، ص89.

³ ابن تيمية، شرح مقدّمة التفسير، ص42.

* هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوّة الواحدي، لغويٌّ ومفسّر مشهور، تتلمذ على شيوخ كثر من أبرزهم الثعلبي، صَفَّ كثير من الكتب خاصة ما تعلّق بالقرآن وعلومه، وأشهرها أسباب النزول، توفي سنة 468هـ. يُنظر: أبو عبد الله وليد بن أحمد الحسين الزبيدي، الموسوعة الميسرة، ص1547.

** هو أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع، المالكي الشافعي، تلقى العلوم على يد شيوخ كثر منهم الحافظ المنذري ومجد الدين القشيري، كما تتلمذ على يديه ابن جميل التونسي، وأثير الدين أبي حيان الغرناطي، المتوفى في شهر صفر من سنة 702هـ، من أشهر مصنّفاتهِ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، والإمام في أحاديث الأحكام. ينظر: الكتاني، الرسالة المُستطرفة، ط5، دار البشائر الإسلامية، 1414هـ-1993م، ص180.

⁴ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص46.

والثالث: أنها فيما هم به الكفار من الإيقاع بالمسلمين حين نزلت صلاة الخوف.

والرابع: أنها على الإطلاق في دفع الله الكفار عن المسلمين".¹

ومن الأمثلة التي تؤكد اهتمام الإمام ابن جزي بسبب النزول أيضا ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [سورة آل عمران الآية 169]، "قيل أنها نزلت في الشهداء المقتولين في غزة بدر، وكانوا أربعة عشر رجلا، فلما قتلوا حزن عليهم أقاربهم، فنزلت الآية مبينة لمنزلة الشهداء عند الله وتسليية لأقاربهم، ولا يخص نزولها فيهم. بل حكمها على العموم في الشهداء".²

تاسعاً: اهتمامه بالمناسبات

المقصد من علم المناسبات هو بيان وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض، ومن هنا يعظم فضل هذا العلم ويشرف مقامه ومكانته، وقد اختلف في حكم تكلف هذا العلم وفي هذا يقول الزركشي: "اعلم أن المناسبات علم شريف تحرز به العقول ويُعرف به قدر القائل فيما يقول واختلف العلماء في حكم تكلف هذا العلم والاشتغال به على قولين فبعضهم منع ولم يرخص والبعض الآخر أجاز، وهو مذهب الجمهور"³ وصنيع ابن جزي في إيراد المناسبات بين الآيات وإن لم يكن منها، تتضمن تأييدا لقول الجمهور، ومن الأمثلة التي تُبرز عناية الإمام ابن جزي بهذا العلم ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [سورة الأنعام الآية 38] "أي في الخلق والرزق والحياة والموت وغير ذلك، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين:

أحدهما: أنها تنبيه على مخلوقات الله تعالى، فكأنه يقول فتفكروا في مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات. والآخر: تنبيه على البعث كآته يقول جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر لقوله بعده ثم إلى ربهم يحشرون"⁴.

عاشراً: موقفه من الأخبار الإسرائيلية

الإسرائيليات في إطلاق العلماء هي القصص والأساطير التي تُنسب إلى المصادر اليهودية والنصرانية فيما يتعلق بأحوال الأمم الماضية، وما حدث للأنبياء والمرسلين، وما له صلة ببدء الخليقة والتكوين.⁵

¹ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 229.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 89.

³ يُنظر: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن، ص 447، 449.

⁴ ابن جزي، التسهيل، ج 1، ص 269.

⁵ مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير، ص 529.

ويرى بعض العلماء كابن تيمية وغيره أن الأخبار الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، وبيان حكم روايتها على التفصيل التالي:

✓ ما علمنا صحته بالنقل الصحيح عن الصادق المصدوق عليه السلام، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده، فهذا صحيح مقبول لا يجوز رده.

✓ ما علمنا كذبه بأن يناقض ما عرفناه في شريعتنا فهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

✓ ما لا يدرج ضمن القسم الأول ولا الثاني بل هو من قبيل المسكوت عنه، فهذا نتوقف فيه ولا نؤمن به ولا نكذبه ونحوز حكايته.¹

والمفسرون في روايتهم لهذه الأخبار في مصنفاتهم بين أكثر ومتوسط ومقل، وابن جزري لمن تأمل تفسيره ينحو نحو المقلين في إيراد الروايات الإسرائيلية، وهي سمة اختص بها أئمة التفسير بالأندلس من باب التحفظ وأخذ الحذر والحيلة من مغبة الوقوع فيها، وسنعرض بعض الأمثلة التي تترجم موقف ابن جزري في المواضع التالية:

الموضع الأول: لما شرع ابن جزري في تفسيره لقصة قتل داود جالوت قال: "كان داود في جُند طالوت فقتل جالوت فأعطاه الله ملك بني إسرائيل، وفي ذلك قصص كثيرة غير صحيحة".²

الموضع الثاني: ولما تطرق في تفسيره لقصة سليمان في سورة النمل قال (ابن جزري): "واختلف الناس في عدد جنود سليمان اختلافا شديدا تركنا ذكره لعدم صحته".³

الموضع الثالث: وذكر عند تفسيره لقصة أصحاب الكهف في سورة الكهف فقال: "نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوه".⁴

فهذه أهم المعالم العامة الموضحة لمنهج ابن جزري في تفسيره، وأما عن طريقته في تفسير الآيات والسور فإنه يتدرج في توضيح معانيها على وفق ترتيب المصحف، كما أنه لا يتناول جميع الآيات بالكشف والبيان وإنما يقتصر على الآيات التي يعترها الغموض في نظره، متفاديا إعادة تفسير الآيات، إن تكررت فيكتفي بالإحالة بقوله مثلا تقدم معناها في سورة كذا، ويشرع في توضيح معنى الآية بذكر سبب النزول أحيانا ثم يُتبعها بالمعنى الإجمالي أو العكس، ثم يورد ما يتعلّق بالآية من دعوى النسخ وأوجه القراءات وتوجيهها، كما يذكر أقوال المفسرين مختصرة ويرجح ما تبين له منها في الغالب مع عناية كبيرة بأوجه الإعراب والبيان.

¹ يُنظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 1، ص 130.

² ابن جزري، التسهيل، ج 1، ص 120.

³ نفس المصدر، ج 2، ص 252.

⁴ المصدر السابق، ج 1، ص 502.

الفرع السادس: موارد ابن جزي في التفسير

استقى الإمام ابن جزي مادة تفسيره من مصادر عديدة نورد أسمائها مرتبة على وفق منازل العلوم كالآتي:

❖ الكتب الإلهية:

- القرآن الكريم: بحرف نافع لاشتهار هذه القراءة في الأندلس وسائر بلاد المغرب.

❖ كتب التفسير وعلوم القرآن:

- كتب التفسير:

— تفسير مجاهد ابن جبر المتوفى سنة 104هـ.

— جامع البيان في تأويل آي القرآن لشيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، المتوفى سنة 310هـ.¹

— شفاء الصدور المذهب في تفسير القرآن لمحمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي ثم البغدادي النقاش المتوفى سنة 351هـ، وهو تفسير يعتني باللغة والبلاغة والقراءات.

— الكشف والبيان لأحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، قال ابن السمعاني يقال له: الثعلبي والثعلالي وهو لقب لا نسب، توفي سنة 427هـ.²

— الثكت والعيون لأبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، المتوفى سنة 450هـ، اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال لتقريره لبعض مسائلهم، كالقول بالقدر وهي بليّة غلبت على البصريين، قال ابن السبكي مفندا لدعوى ابن الصلاح: "الصحيح أنه ليس معتزلياً ولكنه يقول بالقدر فقط".³

— التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي نسبة إلى المهديّة بالمغرب، قال الذهبي توفي بعد الثلاثين وأربعمئة⁴. وقد بالغ ابن جزي في الثناء على مؤلف هذا الكتاب فقال وأما أبو العباس المهدي فمتقن التأليف حسن الترتيب جامع لفنون علوم القرآن.

— الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي، له ثمانون تأليفاً، توفي صدر محرّم سنة سبع وثلاثين وأربعمئة⁵.

¹ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص147.

² يُنظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص66-67.

³ يُنظر: المصدر نفسه، ج1، ص427-429.

⁴ يُنظر: المصدر نفسه، ج1، ص56-57.

⁵ يُنظر: المصدر السابق، ج2، ص338.

— المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية الأندلسي بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مُكرم المحاربي، المتوفي سنة 541هـ.¹ وقد وصف ابن جزي هذا الكتاب بأفضل عبارات المدح والتزكية حيث قال: "وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها فإنه اطلع على تأليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة مسدد النظر محافظ على السنة".

— الكشف عن حقائق غوامض التنزيل أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزرخشري الخوارزمي توفي ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.²

— مفاتيح الغيب والمشهور بالتفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الرازي المتوفي سنة 606هـ.³

■ كُتُب القراءات:

— كتب أبي عَمْرُو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الدَّاني، ويقال له ابن الصيرفي توفي سنة 444هـ، وله مصنفات ذكر أهل التراجم أنها تفوق المئة من أشهرها التيسير في القراءات السبع والمقنع في رسم المصحف، والبيان في عدّ آي القرآن.⁴

— الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفاسي توفي سنة 377هـ.⁵

■ كُتُب علوم القرآن:

— التعريف والإعلام بما في القرآن من الأسماء والأعلام لعبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن الحسين ابن سعدون السهيلي المتوفي سنة 581هـ.⁶

— ملاك التأويل لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الأندلسي المعروف بابن الزبير المتوفي سنة 708هـ وقيل 707هـ.⁷ وقد شهد ابن جزي لشيخه بالتحقيق

¹ يُنظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص265-267.

² يُنظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص120-121.

³ يُنظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص216.

⁴ يُنظر: وليد بن أحمد وآخرون، الموسوعة الميسرة، ص1512.

⁵ يُنظر: المصدر السابق، ص645.

⁶ يُنظر: المصدر نفسه، ص1161.

⁷ يُنظر: وليد بن أحمد وآخرون، الموسوعة الميسرة، ص129.

ودقة النظر وفي هذا الصدد يقول: "ثم ختم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطة في علمه وقوة في فهمه وله فيه تحقيق ونظر دقيق".
 — درة التنزيل وغرّة التأويل لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي المتوفى سنة 420هـ وقيل 421هـ.¹ وقد أشاد الإمام ابن جزي فقال: "وأما ابن الخطيب فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه إشباع في قواعد علم الكلام ونمقه بترتيب المسائل وتدقيق النظر في بعض المواضع وهو على الجملة كتاب كبير الجرم ربما يحتاج إلى تلخيص".²

❖ كُتُبُ السُّنَّة:

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة 256هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ لأبي الحسن مسلم الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261هـ.
- سُنَنُ أَبِي داود لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي، المتوفى سنة 275هـ.
- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل* لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ بن موسى بن الضحّاك، الترمذي، المتوفى سنة 279هـ.
- سُنَنُ النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، المتوفى سنة 303هـ.

❖ كُتُبُ الْعُقَايِد:

- كتاب الإرشاد إلى قواعد الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المعروف بإمام الحرمين، توفي عام 438هـ.

❖ كُتُبُ الْفَقْهِ وَالْأُصُول:

- الموطأ للإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة 179هـ.
- الموازية لمحمد بن إبراهيم بن زياد المالكي المعروف بابن المَوَاز، المتوفى عام 269هـ.

¹ يُنظر: المصدر السابق، ص 2173.

² ابن جزي، التسهيل، ص 14.

* جزم بعض المحققين أن هذا الاسم الصحيح لسنن الترمذي. ينظر: عبد الفتاح أبو غُدة، تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي، ط 1، دار القلم، دمشق-سوريا، 1414هـ-1993م، ص 55.

- أحكام القرآن للإمام أبي الحكم المنذر بن سعيد البلوطي المتوفى سنة 355هـ.
- أحكام القرآن للإمام أبي بكر بن العربي المالكي المتوفى سنة 543هـ.
- أحكام القرآن للإمام أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي الأندلسي المالكي المعروف بابن الفرس، المتوفى سنة 597هـ.
- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري المعروف بالقراقي، المتوفى سنة 684هـ.

❖ كُتِبَ اللُّغَةُ:

- الكتاب للإمام أبي بشر الفارسي عُمر بن عُثمان بن قنبر، المعروف بسبيويه، توفي سنة 180هـ.¹
 - معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي الفراء، المتوفى سنة 207هـ.²
 - المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري المعروف بالمبرد وتصحُّ قراءتها بفتح الراء وكسرهما، المتوفى سنة 285هـ، وقيل 286هـ.³
 - غريب القرآن والحديث لأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي، المتوفى سنة 276هـ، وقيل 270هـ، وقيل 271هـ، والأول أصح الأقوال.⁴
 - معاني القرآن لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بالزجاج، المتوفى سنة 311هـ، وقيل 310هـ، وقيل 316هـ.⁵
- هذه المصادر التي أشرت إليها قد عدّد بعض أسمائها ابن جُزي في مقدّمة كتابه التسهيل وأدرج أسماء البقية في محتوى كتابه، والجدير بالتنبيه أنّ هناك مصادر أخرى استفاد منها ابن جُزي إلا أنه لم يحدّد أسماء مصنفاتها وإنما اكتفى بالإشارة إليها إجمالاً ككتب السير وغيرها.⁶

¹ يُنظر: وليد بن أحمد وآخرون، الموسوعة الميسرة، ص1787.

² يُنظر: المصدر نفسه، ص2888.

³ يُنظر: المصدر نفسه، ص2488.

⁴ يُنظر: المصدر نفسه، ص1414.

⁵ يُنظر: المصدر نفسه، ص80.

⁶ يُنظر: علي الزبيدي، ابن جُزي ومنهجه في التفسير، ج1، ص311.

المبحث الثالث: مفهوم التعقبات وصيغها عند الإمام ابن جزي الغرناطي

لأئمة التفسير وبخاصة الأندلسيين منهم اشتغال كبير واهتمام بالغ وعناية فائقة بعلم الاستدراك والتعقب، وهذا يُبرزُ المؤهلات العلمية والقوة الشخصية التي يمتلكها أولئك فيها تخلصوا من شبك وقيود التقليد الذي شعاره الاكتفاء بالنقل عن الأئمة السابقين، كالطبري والزمخشري وابن عطية وغيرهم فحسب.

والإمام ابن جزي على نحو سلفه جرى فكان من أبرز ما ميّز كتابه كثرت تعقباته على شيوخ التفسير وأربابه، وهذا واضح جلي عند تعرضه لكشف معاني السور والآيات.

وقبل أن نشرع في سرد تعقباته التي تتبعناها واستخرجتها من خلال قراءتي لكتابه التسهيل، يجدر الوقوف أولاً على مفهوم علم التعقبات ونشأته والغرض منه، وهذا ما سنجليه في هذا المبحث.

المطلب الأول: مفهوم التعقبات ونشأتها

الفرع الأول: مفهوم التعقبات

أولاً: التعقب في اللغة

قال ابن فارس: العين والقاف والباء أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على تأخير شيء وإتيانه بعد غيره، والأصل الآخر يدلّ على ارتفاع وشدة وصعوبة.

فالأول: قال الخليل كل شيء يعقب شيء فهو عقيب كقولك خلق يخلق بمنزلة الليل والنهار إذا مضى أحدهما عقب الآخر ويقال: استعقب فلان من فعله خيراً أو شراً، واستعقب من أمره ندماً وتعقب أيضاً، وتعقب ما صنع فلان أي تتبع أثره.

وأما الأصل الآخر فالعقبة طريق في الجبل وجمعها عقاب، ثم رُدّ إلى هذا كل شيء فيه علو أو شدة.¹ وقال الزبيدي:² وتعقب الخبر: تتبعته، ويقال تعقب الأمر إذا تدبرته، والتعقب: التدبر والنظر ثانية، وتعقب عن الخبر إذا شكّ فيه وعاد للسؤال عنه، قال طفيل:

تأويني همّ مع الليل منصب *** وجاء من الأخبار ما لا أكذب

تتابعنا حتى لم تكن لي ريبة *** ولم يك عمّا خبروا متعقب

واستعقبه وتعقبه إذا طلب عورته أو عثرته، وأصل التعقب التتبع.³

¹ ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة: عقب، ص 575، 578.

² هو أبو السيّد محمد مرتضى بن محمد ابن القطب، أبي عبد الله محمد ابن الولي الصالح أبي الضياء محمد بن عبد الرزاق الحسيني العلوي العراقي أصلاً، حافظ وأغوي ونسابة، حنفي المذهب نقشبدي سلوكاً، أصيب بالطاعون في شعبان ومات على إثره سنة 1205هـ، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج 7، ص 64.

³ ينظر: تاج العروس، مادة: عقب، تح: نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط 1، 2011م، ج 7، ص 389.

وقال الأزهري والتعقيب: أن يعمل عملاً من صلاة أو غيرها ثم يعود فيه من يومه، يُقال: عَقَّبَ بصلاة بعد صلاة وغزوة بعد غزوة قال: وسمعت ابن الأعرابي يقول: هو الذي يفعل الشيء ثم يعود إليه ثانية يقال صَلَّى من الليل ثم عَقَّبَ، أي عاد في تلك الصلاة، ويُقال عَقَّبَتِ الأُمُّ إذا تدبَّرتَه، قال: والتعقب التدبُّر والنظر ثانية، قال طفيل الغنوي:

فلن يجد الأقوام فينا مسبةً * إذا استدبرت أيماننا بالتعقب**

واستعقبت الرجل وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته.¹

وقال صاحب القاموس المنجد: "وعَقَّبَ فلان تعقيباً، تتبَّع حَقَّهُ ليستردَّه وتعَقَّبَ في الأمر تردّد في طلبه مُجَدّاً، وتُعَقَّبَ على فلان: نَدَّدَ عليه وبَيَّنَ عيوبه وأغلاطه".²

وبين الإمام النسفي* معنى المعقب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ﴾ [سورة الرعد الآية 42]، فقال: "أي لا رد لحكمه، والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله، وحقيقة الذي يعقبه أي: يقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقضي غريمه بالاقتضاء والطلب".³

وبعد عرض لكلام أئمة اللغة يمكن القول أن أصل التعقب تتبع كلام الغير والنظر فيه ومناقشتها مع إبداء الرأي فيه⁴ قصد بيان عيوبه وأغلاطه.

ثانياً: التعقب في الاصطلاح

لم أقف في حدود علمي على من وضع مفهوماً وحدّ تعريفاً لمعنى التعقبات في دواوين وكتب العلماء المتقدّمين، وإن كان صنيعهم وممارساتهم تقرّر هذا وتقرره، ومن ذلك قول الآلوسي: "وتعقب هذا القول الحلبي بأنه خارق للإجماع"⁵، ولعلّ السبب في عدم وضع العلماء مفهومًا للتعقبات يرجع لأمرين:

أحدهما: فرارهم من إطالة الكتب من غير كبير فائدة وهذا متجّه فدواوين السنة لم يؤلّوا عناية بتعريف الطهارة والصلاة في تبويباتهم وغيرها.

والثاني: أنّ مفهومه واضحٌ جليّ فأروا أنه لا يحتاج إلى ذلك، خاصة وقد اشتهر في الوسط العلمي أن من أعظم البليّات توضيح الجليّات.⁶

¹ ينظر: تهذيب اللغة، مادة: عَقَّبَ، ج 1، ص 185.

² ينظر: أبو عمر شهاب الدين، القاموس المنجد، مادة: عَقَّبَ، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط 1، 1425هـ-2004م، ص 750.

* هو عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، فقيه وأصولي ومفسّر يكتنّى بأبي البركات، حنفي المذهب، ومن أشهر شيوخه: شمس الدين الكردي، توفي سنة 710هـ، وقد ورث للأمة جملة من المصنّفات أبرزها تفسيره المسمّى بمدارك التنزيل.

³ مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دط، دت، ج 2، ص 549.

⁴ ينظر: ناصر بن سيف العزري، (تعقبات الكشميري في كتابه فيض الباري على الحافظ ابن حجر)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2008م، ص 118.

⁵ روح المعاني، تح: ماهر حبوش، ط 3، دار الرسالة، دمشق، 1436هـ، ج 7، ص 480.

⁶ عبد الكريم الخضير، شرح موطأ الإمام مالك، مادة صوتية، الدرس الأول.

لكن مع هذا كله اجتهد بعض الباحثين فحاولوا إعطاء تعاريف للتعقبات بحسب ما يُناسب مجالات تخصصاتهم، نعرضها كالآتي:

1- تعريفه عند الأصوليين: هو رفع التوهم الناشئ من الكلام السابق بأحد أدوات الاستدراك وهي: بل، ولكن، وعلى، وأدوات الاستثناء. أو مخالفة حكم ما بعده لما قبله. مثل: ما جاءني زيد لكن عمرؤ إذا توهم المخاطب عدم مجيء عمرؤ أيضا بناء على مخالطة وملابسة بينهما.

2- تعريفه عند الفقهاء: هو إصلاح ما حصل في القول أو العمل من خلل أو قصور أو فوات مثل: استدراك نقص الصلاة بسجود السهو، واستدراك الصلاة المنسية بقضائها، والاستدراك بإبطاء خطأ القول وإثبات صوابه، فهو يختص عندهم بالتدراك بمعنى فعل الشيء المتروك بعد محله، سواء كان المتروك عمداً أو سهواً.

وقد عرّفه أيضا صاحب معجم لغة الفقهاء بقوله: "هو التبع لإظهار الخطأ أو الخلل".¹

3- تعريفه عند المحدثين: للتعقّب والاستدراك عند المحدثين عدة معاني منها ما يلي:

أ- استدراك إمام على إمام أحاديث لم يخرجها وهي موافقة لشرطه أو العكس.

ب- استدراك محدث على آخر في الإسناد، مثل استدراكه عليه في روايته عن راوي لا ينبغي الرواية عنه، أو الرواية عمّن عَنَّنَ ولم يصرح.

ت- الاستدراك على رفع موقوف أو وقف مرفوع.

ومن استدراكات المحدثين ما يكون في الحكم على الأحاديث من تضعيف راوٍ ليس بضعيف، أو توثيق راوٍ ضعيف ونحوها، وكتب الجرح والتعديل مليئة بذلك.

4- تعريفه عند المفسرين: وهو أن يتعقّب مفسّر متأخر مفسّراً متقدماً في بعض آرائه المتعلقة بالتفسير ويتبع ذلك التعقّب غالباً بالتصحيح والترجيح بما يراه المتأخر، وقد يرّد المتعقّب على المتعقّب عليه قوله وقد لا يرّد. وعرّفه بعضهم كذلك بأنه اتباع المفسّر قولاً يذكره في بيان معنى في القرآن بقول آخر، يصلح خطؤه أو يكمل نقصه أو يبيّن لبسه.²

ومن أجود التعاريف التي لقيت إقراراً واستحساناً من قبل أعضاء لجنة المناقشة نظر لإيجازها ودقتها ما قاله منصور نصار: "نظر العالم استقلال في كلام غيره، أو كلامه المتقدم تخطئة أو استدراكاً".³

¹ ينظر: إيمان بنت سالم قبوس (الاستدراك الأصولي)، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ، ص51.

² ينظر: أحمد السيد، (تعقبات ابن كثير على المفسرين) أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 2010م، ص96. وينظر: الاستدراك الأصولي، ص49.

³ رائد بن طلال، (تعقبات أبي حاتم الرازي في كتابه الجرح والتعديل)، مقال نشر 2016، ص70.

الفرع الثاني: ألفاظ لها صلة بالتعقبات

يعبر الأئمة والنقاد عن التعقب بمصطلحات والألفاظ أخرى تقوم مقامه وتؤدي غرضه من تخطئة القول

واستبعاده بعد تتبع وتفحص لمجانبته وجه الحق والصواب، نبينها على النحو الآتي:

1- الاستدراك: ومفهومه في اللغة: طلب تدارك السامع، وأما في الاصطلاح فعزّاه الجرجاني* بقوله: "هو رفع توهم تولّد من كلام سابق"،¹ وقال الكفوي**": "هو دفع توهم يُتولّد من الكلام المتقدم دفعا شبيها بالاستثناء"². ومن الأمثلة التي يطلق العلماء عليها استدراكا ويقصدون بها التعقب، ما ذكره النووي رحمه الله حيث قال: "قد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلّ بشرطهما فيها، ونزل عن درجة ما التزمها، وقد سبقت الإشارة إلى هذا، وقد ألّف الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عُمر الدارقطني في بيان ذلك كتابه المسمى بالإلزامات والتتبع"³.

2- الرد: ومن الصيغ التي يعبر بها العلماء عن التعقب، قولهم: ردّ عليه فلان، وقد بيّن معناه الكفوي، بقوله: "وردّ عليه الشيء، لم يقبله أو خطّاه"⁴، ومثاله ما قال السمين الحلبي عند تفسيره لمطلع سورة آل عمران منتقدا لكلام الفراء "وقد رد بعضهم على الفراء بأن وضع هذه الحروف على الوقف، لا يوجب قطع ألف الوصل وإثباتها في المواضع التي تسقط فيها"⁵.

1- الانتقاد: يعبر العلماء والنقاد على التعقب والاستدراك بقولهم: "أنتقد عليه كذا"، وهو ظاهر من حيث الاستخدام اللغوي لمعنى التعقب وكذا الاصطلاح كما سبق، ومن أمثلة ذلك قول السيوطي: "انتقد الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح أحاديث وزعم أنها موضوعة، وردّ عليها الحافظ العلائي في كراسة ثم أبو الفضل بن الحجر"⁶.

* هو علي بن محمد بن علي الحنفي، المعروف بالشريف الجرجاني، فقيه ولغوي وفيلسوف، أخذ عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي، وروى عنه علي بن أبي زيد الفصيح، توفي سنة 816هـ، له مصنفات عديدة بلغت نحواً من خمسين مصنفاً، من أشهرها كتاب التعريفات. الزركلي، الأعلام، ج5، ص204.

¹ الجرجاني، معجم التعاريف، تح: محمد صديق المنشاوي، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة، ص21.

** هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، يُلقب بأبي البقاء من أعلام الفقه واللغة، بل يُعد من قضاء المذهب الحنفي، توفي بإسطنبول سنة 1093هـ، من أشهر مصنّفاته، الكليات. ينظر: الأعلام للزركلي، ج2، ص83.

² الكفوي، الكليات، تح: عدنان بن درويش، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1419هـ، ص115.

³ ينظر: محمد حفيان، (تعقبات ابن حجر)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، 1439هـ، ص26.

⁴ الكليات، ص446.

⁵ الدر المصون، تح: أحمد محمد الخراط، د.ط، دار القلم، دمشق، دت، ج3، ص6.

⁶ المرجع نفسه، ص17.

2- الاعتراض: هو من جملة الألفاظ التي يطلقها العلماء ويعنون بها التعقب والتخطئة لقول الآخر، ومثاله ما ذكره الآلوسي عند بيانه لمعنى الفرقان في قوله عز وجل، وأنزل الفرقان فقال: "وقيل المراد به الزبور، واعترض بأن الزبور مواعظ، فليس فيها ما يفرق بين الحق والباطل"¹.

الفرع الثالث: نشأة التعقبات

مما لا شك فيه أن التعقبات والاستدراكات ليست وليدة هذا العصر اتفاقاً، وإن كان للباحثين المعاصرين فضل كبير وإسهام عظيم لا يمكن تجاهله أو جحده في تأطير هذا العلم وترتيبه وتبويبه واستقلاله، ولا يكاد يخلو فنٌّ من فنون العلم الشرعي إلا وللتعقبات والاستدراكات فيها مجال، فصار بذلك أسلوباً شائعاً عند الكتاب، يُحتكم إليه في رد الأقوال وقبولها.

وأما عن مراحل نشأته وتدرجه فأول ظهور نواته مرتبط بعهد خاتم الوحي والرسالة المكلف ببيان وحي القرآن وتوجيهاته، مصداقاً لقوله جلّ وعلا: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل الآية 44]، فيكون النبي عليه الصلاة والسلام أول من اتخذ التعقبات طريقة واعتمدها أسلوباً لإيضاح ما قصرت فهم الصحابة عن إدراك حقيقته من معاني القرآن، والوقائع التي تؤكد ما أشرت إليه في هذا الصدد كثيرة لا يمكن حصرها من ذلك ما روي في دواوين السنة عن عبد الله قال: لما نزل قول الله جلّ وعلا: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام الآية 83] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: وأينا لم يظلم نفسه؟ فقال: ﷺ «إنه ليس الذي تعنون! ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) إنما هو الشرك»².

ثم تأسى بالنبي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فسلكوا منهجه فكانوا خير خلف لخير سلف فتوسعت دائرة تعقبات بعضهم على بعض والأمثلة التي نقلت إلينا عديدة أذكر منها: قول عمر لقدامة إني حادك فقال: لو شربت كما تقولون ما كان لكم أن تحذوني فقال عمر لماذا: قال قدامة الآية وهي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِمَّا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَأَحْسَنُوا﴾ [سورة المائدة الآية 95]، قال عمر: أخطأت التأويل أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تتعقب المكثرين في رواية الحديث كأبي هريرة وابن عمر وغيرهما وقد جمع ذلك الإمام الزركشي في كتاب وسمه بالإجابات لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة وقام الزركشي بدراسة هذه

¹ روح المعاني، ج 4، ص 16.

² صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، رقم: 4629.

النماذج وبين رأيه فيها ثم لخصه وزاد عليه السيوطي في كتابه: عين الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة¹، ثم حذا حذو الصحابة أقرب الناس بزمانهم وهم التابعون فمن بعدهم ففشت بذلك التعقبات وصارت بضاعة رائجة وسلعة مطلوبة في مناقشاتهم وحواراتهم العلمية، ولم يقصر التابعون مجال التعقبات على أنفسهم أو في ما بينهم بل تعقبوا الصحابة أيضا ويشهد لهذا ما رواه الإمام البخاري في صحيحه حيث قال: كَانَ مَرَوَانُ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةُ فَخَطَبَ، فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ لِكَيْ يُبَايَعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا، فَقَالَ: خُذُوهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرَوَانُ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ، ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَى لَكُمْ مَا تُبَدِّلُونَ﴾ [سورة الأحقاف الآية 16]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي².

ثم استفاضت شهرة التعقبات بعد ذلك كله لما ظهرت تصانيف الأئمة التي طارت في الآفاق شرقا وغربا تحمل في طياتها هذا الأسلوب، وانكب على قراءتها والاستفادة منها طلاب العلم والعلماء وظلت المؤلفات تنحوا هذا المنحى وتسير على هذا النسق إلى زماننا، وأبرز من طبق هذا الأمر حرفيا في حاضرنا المعاصر الإمام محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان وقد أعدت حوله رسالة علمية وسمت بـ "تعقبات الشنقيطي على المفسرين"³.

الفرع الرابع: فوائد التعقبات

مما يرغب النفوس ويشرح القلوب لتعلم العلوم والوقوف على حقيقتها وإدراك ماهيتها معرفة الثمرة المرجوة من وراء تحصيلها، فإن النفس البشرية سرعان ما تفتّر قليلا ما تصبر لأنها مجبولة عن بغض كل ما يشق عليها ويخالف هواها وهذا يعاينه كل من سلك طريق العلم وخاض غمار الطلب ومن ثم أصبح من البديهيات والمسلمات عند من رام طلب أي فن من فنون المعرفة قبل طرق بابها وركوب موجه والغوص في أعماقه قصد استخراج درره وفرائده معرفة مبادئه كالحمد، والموضوع، والثمرة، وعلم التعقبات كغيره من العلوم المستقلة له فوائد جمة وثمرات عظيمة أذكر منها:

- أنه يعزز ملكة النقد لدى المنشغلين بالعلم والمطالعين للفكر، لأن السابر لأغوار التعقبات يجد نفسه متأثرا بها، مدندنا لها مكتسبا لثقافتها وقد أوجز الإمام ابن عاشور بعد أن وصف موقف الناس من أخبار السابقين وبين وجه

¹ أمانة عبد الناصر، تعقبات ابن كثير على الطبري في المسائل الحديثية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، 2014م، ص54.

² صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَى لَكُمْ مَا تُبَدِّلُونَ﴾، رقم: 4550.

³ الغامدي سعيد بن هندي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة بجامعة القصيم، نوقشت سنة 1426هـ.

الصواب والطريقة المثلى في التعامل مع كلامهم وآرائهم فقال: "ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين رجل معتكف في ما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي تلك الحالتين ضرر كثير، وهناك حالة أخرى ينحدر بها الجناح الكسير، وهي أن نعلم إلى ما شاده الأقدمون، فنهذه به ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علما أن غمط فضلهم كفران للنعمة وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة".¹

- أن دراسة التعقبات هي التطبيق الفعلي لما اشتهر جريانه على ألسنة علماء الأمة كمالك وغيره وهي أن كل إنسان يؤخذ من قوله ويرد، وعليه فالأليق بالعالم قبل أن ينقل كلام السابقين وإن كانوا ممن بلغوا درجة الاجتهاد أن ينظر فيه ويمحصه حتى يتفادى تكرار وإعادة الوهم والخطأ الذي وقعوا فيه ولهذا تظل أقوال المجتهدين مع جلاله قدرهم يعتريها الخلل والزلل وفي هذا الصدد يقول ابن الوزير* رحمه الله: "فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كلام الله الحكيم، وكلام من شهد بعصمته القرآن الكريم، وكل كلام بعد ذلك فله خطأ وصواب وقشر ولباب ولو أن العلماء تركوا الذب عن الحق خوفا من كلام الخلق لكانوا قد أضعوا كثيرا، وخافوا حقيرا".²

- أن دراسة التعقبات تؤيد صدق ما اشتهر ترداده على ألسنة العلماء أنه بالحق يعرف الرجال لا بالرجال يعرف الحق فمن احتكم إلى مجرد أقوال الرجال في طلب الحق وإدراك الصواب فقد خرج عن جادة الصحابة والتابعين، يقول الإمام الشاطبي: "ولقد زل بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين، واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل".³

- أن دراسة التعقبات تخلص المنشغلين بالعلم من شباك ومصائد التقليد لأن الأليق بالعلماء ترك التقليد والبعد عنه فقد يكون سبب في مجانبة الحق والصواب وفي هذا الصدد يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "وبتقليد أغفل من أغفل منهم والله يغفر لنا ولهم".⁴

¹ علي حافظ سليمان، التعقبات العلمية دلالتها وآفاقها، شبكة الألوكة، نشر بتاريخ: 25-03-1439.

* هو محمد بن إبراهيم الوزير اليماني اليزيدي، يتصل نسبه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقيه ومجتهد تلقى العلوم على كبار شيوخ صنعاء وصعدة باليمن، تلقى العلم عن أخيه الهادي بن إبراهيم والعلامة علي بن محمد بن أبي القاسم توفي سنة 840هـ، له مؤلفات كثيرة منها العواصم والقواصم، والروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم. ينظر: الشوكاني البدر الطالع، ج2، ص92.

² الروض الباسم للذب عن سنة أبي القاسم، تح: علي بن محمد العمران، ط1، دار عالم الفوائد، دت، ج1، ص17.

³ الاعتصام، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص534.

⁴ أمانة عبد الناصر، تعقبات ابن كثير في المسائل الحديثية، ص55.

- أن التأليف في مجال التعقبات يساهم في إثراء مباحث علم التفسير وتصويب بعض الأخطاء التي شاع إيراد المفسرين لها بل تناقلها أئمة هذا الفن في مصنفاتهم كابرا عن كابر كنقل الإسرائيليات المعارضة لصريح النصوص فإذا اطلع عليها القارئ ظن أن المفسرين يقرونها.
- أن المؤلف في مجال التعقبات يساهم بشكل كبير في الخروج من ظاهرة ما يسمى بتضخيم التراث، بالإضافة إلى هذا أن المتعقب على غيره هو سالك لإحدى طرق التصنيف، ولا يخلو التصنيف عن تأليف أو تصحيح خطأ، أو إكمال نقص، أو اختصار مطول، أو شرح مشكل، أو جمع مفترق.¹
- أن دراسة التعقبات تعين على الموازنة والمقارنة بين أقوال المفسرين قصد بيان الرجح والأولى بالقبول.
- أن دراسة التعقبات تكسب الباحث ملكة التريث والتثبت وترك العجلة في إصدار الحكم على الأقوال تخطأً وتصويباً، لأنه علم يرتكز أساساً على التتبع والفحص وإعادة النظر مرة بعد مرة.
- تُسهم التعقبات في جعل العلم بمجموعه أقرب إلى الصواب بشكل أكبر، لأن كل عالم يتعقب غيره بتصويب ما بدر من سابقه من أخطاء، فيقل الخطاء ويكثر الصواب فيصبح العلم صافياً نقياً من الكدر.²
- أن دراسة التعقبات تفند ما روج له بعض المغرضين بأن المفسرين المتأخرين لم يأتوا بجديد يذكر، بل أقصى ما فعلوا إعادة نسخ ما سطره الأولون كالطبري وغيره، وهذا القول أقل ما يقال عنه أنه بعيد عن الإنصاف وفيه إجحاف وهضم لحق المتأخرين.
- أن دراسة التعقبات تكشف مكانة العلماء العلمية وجهودهم التفسيرية والقدر الذي عليه ذلك العالم الناقد الذي قل الخطأ في أقواله ومؤلفاته، مما يعطي الباحث الثقة في كثير من أقواله التي لم يتبين له وجه الصواب فيها.
- أن دراسة التعقبات تتضمن دعوة التجرد للحق ومجانبة سواه وإن صدر من أرباب علم التفسير ورموزه وهذا ليس تقللاً من شأنهم ولا تنقصاً من قدرهم لأن التعقب مبني على قواعد، وضوابط قرروها هم أنفسهم كدلالة السياق وغيرها، وهذا هو حقيقة العلم الصحيح الذي تنال به الهداية.

¹ محمد إبراهيم الحفناوي، الفتح المبين في حل رموز ومصطلحات الفقهاء والأصوليين، ص 181.

² طلال رائد أشعث، تعقبات أبي حاتم الرازي على البخاري، (مقال)، ص 4.

المطلب الثاني: صيغ التعقبات عند ابن جزري ومنهجه في ذلك

يكتسي هذا المطلب أهمية كبيرة لتعلقه الشديد وصلته الوثيقة بالجانب التطبيقي إذ أن محور الكلام فيه يقتصر على أمرين: أولهما: هو بيان منهج الإمام ابن جزري في تعقباته على غيره من المفسرين. والثاني: ذكر الصيغ التي استخدمها الإمام في تعقباته لأقوال غيره.

الفرع الأول: منهج ابن جزري في تعقباته

من المناسب ذكره في هذا المقام وقبل أن نشرع في بيان منهج وطريقة هذا الإمام، أنه جرى على سنن وعادة كل مصنف ومؤلف بحيث رجع إلى أعظم الدواوين المعتبرة في مجال التفسير كجامع البيان لشيخ المفسرين الطبري، والكشاف للإمام الزمخشري، والمحرر للإمام ابن عطية وغيرهم إلا أن تعويله على تفسيري ابن عطية والزمخشري كان له الحظ الأوفر من الاستفادة، وهذا ظاهر لا يخفى على كل من راجع الكتاب واطلع عليه، بالإضافة على اعتماده على كتب أخرى كمصنفات السنة المشهورة وغيرها، فأورد ما دونه أولئك من آراء واختيارات إلا أن المميز في منهجه أنه لم يضمن لكتابه أي قول إلا بعد وضعه في ميزان النقد، فليس كل قول نقله عن أولئك العلماء أجراه وسلم له بل يصح وصفه بأنه كان ناقد بصيرا، فما ظهر له من تلك الأقوال صوابه أثنى عليه وأقره وما كان يحتاج إلا إزالة اللبس عنه وضحه وأجلاه وما تبين ضعفه أنكره وقد يستشهد بالأدلة والبراهين أحيانا التي تؤيد وتعضد وجه إبطاله وردّه.

ومما يلفت النظر في منهج تعقباته على المفسرين أيضا، أنه مع سعة اطلاعه، وغزاة علمه، وحدة فهمه وهذا ما شهدت به كتب التراجم له، كان يتحلى بأدب ونزاهة وحسن خلق في نقده بعيدا عن لمز ورمي الذوات والأشخاص بالألفاظ الجارحة والمستهجنة.

وإن المتأمل لتعقبات ابن جزري على المفسرين يدرك أنه لم يول اهتماما كبيرا بذكر اسم المتعقب عليه في الغالب، وقد يصرح باسمه أحيانا ولعل السبب في ذلك مراعاته لشرطه في التأليف وهو أن يلزم مسلك الاختصار. ويمكن تلخيص معالم منهجه في تعقباته على غيره في الأمور التالية:

- تعويله على الدليل الصحيح وردّه للأقوال التي ليس لها مستند صحيح ويتجلى هذا الأمر بوضوح عند تناوله لتفسيره آيات القصص والأمثلة في هذا الصدد كثيرة منها: ما قاله عند بيانه لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سورة المائدة الآية 114]، "في قصة المائدة قصص كثيرة غير صحيحة".¹

¹ التسهيل، ج 1، ص 260.

- وذكر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِيّ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام الآية 76]، فقال: "قيل إنه فرج له الله السموات والأرض حتى رأى بصره الملك الأعلى والأسفل وهذا يحتاج إلى صحة نقل".¹
- و قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [سورة الأعراف الآية 112]،: "واختلف في عدد السحرة اختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل".²
- إعماله لدلالة السياق في تعقبه للأقوال ومثاله ما قاله عند تفسيره قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [سورة ق الآية 22]: "وقيل هو خطاب لسيدنا محمد ﷺ أي: كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف لأنه خروج عن سياق الكلام".³
- وقد يكون السياق مسوغا لتأييد القول وترجيحه على غيره ومثاله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اخْذِينَ مَا آتَيْنَهُمْ رَبُّهُنَّ إِنَّهُنَّ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [سورة الذاريات الآية 16]، قال: "ياخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم، وقيل: المعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه".⁴
- الجمع بين الأقوال وحمل الآية على العموم: ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة لقمان الآية 5]، قال: "هو الغناء، وقيل نزلت في قرشي اشترى جارية مغنية تغني بهجاء رسول الله، فالشراء على هذا حقيقة، وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان قد تعلم أخبار فارس، فذلك هو لهو الحديث، وشراء لهو الحديث استحبابه وسماعه، فالشراء على هذا مجاز وقيل لهو الحديث هو الطبل وقيل الشرك ولفظ الحديث يعم ذلك كله".⁵
- قد يبين سبب إبطاله ورده للأقوال أحيانا ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهَدَى﴾ [سورة الأنعام الآية 71]، قال: "قيل نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر، حين كان أبوه يدعو إلى الإسلام ويطلب هذا قول عائشة ما نزل في آل أبي بكر شيء إلا براءتي".⁶

¹ التسهيل، ج 1، ص 276.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 312.

³ المصدر السابق، ج 2، ص 365.

⁴ المصدر السابق، ج 2، ص 370.

⁵ المصدر السابق، ج 2، ص 172.

⁶ المصدر السابق، ج 2، ص 275.

الفرع الثاني: صيغ تعقبات ابن جزري على المفسرين

بعد تتبعي لتعقبات ابن جزري على المفسرين التي أودعها في كتابه التسهيل، يتبين أن الإمام ابن جزري رحمه الله قد استخدم عدة صيغ يمكن تقسيمها إلى نوعين: صيغ صريحة واضحة كوصف القول بالبعد أو الضعف أو الخطأ أو البطلان أو الفساد، ومنها صيغ غير صريحة، تفهم من سياق كلامه كوصف القول بأن فيه فك للنظم أو مخالف لسياق أو فيه تكلف وغير ذلك، وإليك تفصيلها بعد ذكرها مجملة وهي على النحو التالي:

أولاً: الصيغ الصريحة

❖ التصريح بضعف القول المتعقب عليه، والأمثلة على هذه الشاكلة كثيرة منها:

- تعقبه لقول من قال بأن لفظ الألوف في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أَثْلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [سورة البقرة الآية 241]، ترجع إلى الألفة حيث قال: "هي جمع ألف قيل ثمانون ألفاً، وقيل ثلاثون ألفاً؛ وقيل من الألفة وهو ضعيف".¹
- ولما ذكر قول الزمخشري الذي يقتضي نفي النسب بين نوح وابنه وأن زوجته خاتنته وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [سورة هود الآية 46]، قال معقبا عليه: "وهذا ضعيف لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساءهم ولقوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ [سورة هود الآية 45]".²

❖ التصريح ببطلان القول المتعقب عليه، والأمثلة على هذا النسق كثيرة أذكر منها:

- تعقبه لقول من أدخل ولد ابن آدم الذي سن القتل في عموم هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَضَلَّنَا﴾ [سورة فصلت الآية 28]، فقال: "ومعنى كل من أغوانا من الجن والإنس، وقيل المراد ولد آدم الذي سن القتل وإبليس الذي أمر بالكفر والعصيان وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصي وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر".³
- يقول ابن جزري رحمه الله منتقدا لمن زعم أن موسى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبِيئِهِ﴾ [سورة الكهف الآية 59]، "ليس هو موسى بني إسرائيل: وذلك باطل رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث على بطلانه".⁴

❖ التصريح بتنحطت القول المتعقب عليه، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا بِالْيَمِينِ يَدِيهِ﴾ [سورة سبأ الآية 31]: "يعني الكتب المتقدمة كالنوراة والإنجيل وقيل الذي بين يديه يوم القيامة وهذا خطأ، وعكس لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه".⁵

¹ التسهيل، ج 1، ص 117.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 398.

³ المصدر السابق، ج 2، ص 292.

⁴ المصدر السابق، ج 1، ص 513.

⁵ المصدر السابق، ج 2، ص 207.

❖ التصريح ببعد القول المتعقب عليه، ومثال ذلك:

- قال متعقبا لقول السهيلي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَسُّلِ الَّذِينَ يَفْرُغُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [سورة يونس الآية 94]: "وهذا بعيد لأن الآية مكية وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة فحمل الآية على الإطلاق أولى".¹
- وبعد أن أورد الإمام ابن جزي قول من حمل لفظ الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [سورة الإسراء الآية 11]، أنها تعني آدم قال: "الإنسان هنا وفي الذي قبله اسم جنس وقيل يعني هنا آدم وهذا بعيد".²

❖ التصريح بنفي صحة قول المتعقب عليه، ومثاله:

- ولما ساق كلام من قال بأن وصف الأولى في قوله تعالى: ﴿عَادًا الْأُولَى﴾ [سورة النجم الآية 49]، يقتضي بأن هناك عادا أخرى متأخرة ففند من تأول هذا المعنى بقوله: "وقيل سميت أولى لأن ثم عاد أخرى متأخرة وهذا لا يصح".³

❖ التصريح بتصحيح قول دون غيره من الأقوال المذكورة، ومن الأدلة على ذلك:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُوَ إِبْرَاهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء الآية 60]: " قيل أن إعراب إبراهيم منادى، وقيل خبر ابتداء مضمر، والصحيح أنه مفعول لما لم يسم فاعله لأن المراد الاسم لا المسمى وهذا اختيار ابن عطية والزحخشري".⁴

❖ التصريح بفساد قول المتعقب عليه، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية 21]: " الذي مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون، وقيل الذي نعت للذين آتيناهم الكتاب، وهو فاسد لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار".⁵

❖ التصريح برد قول المتعقب عليه، ومثال ذلك:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا بِتَدَلٍّ﴾ [سورة النجم الآية 08]: "وقيل إنها لله تعالى يقصد الضمائر، وهذا يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنوا والتدلي وغير ذلك".⁶

¹ التسهيل، ج 1، ص 388.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 483.

³ المصدر السابق، ج 2، ص 385.

⁴ المصدر السابق، ج 2، ص 39.

⁵ المصدر السابق، ج 1، ص 265.

⁶ المصدر السابق، ج 2، ص 381.

ثانيا: الصيغ غير الصريحة

❖ أن يتبع الرأي المتعقب بقوله فيه نظر، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [سورة المنافقون الآية 06]: "روي أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة، قال رسول الله ﷺ «لَا زِيْدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ»، فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفي هذا نظر لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة.¹"

- قال الإمام ابن جزى متعقبا لقول من قال بأن الأرض بسيطة مستندا على قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [سورة نوح الآية 19]، "وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل وفي ذلك نظر".²

❖ أن يتبع الرأي المتعقب بقوله يفتقر إلى نقل صحيح أو يحتاج إلى سند يوثقه، ومثاله:

- أورد الإمام ابن جزى قول من قال أن المقصود بالأبكار في قوله تعالى: ﴿ثِيَابُكَ وَأَبْكَارٌ﴾ [سورة التحريم الآية 05]، هي مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون فإن الله يزوج النبي إياهما في الجنة فتعقب هذا بقوله: "وهذا يفتقر إلى نقل صحيح".³

- وكذلك قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ [سورة يوسف الآية 93]، "روي أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة ثم صار لإسحاق ثم ليعقوب ثم دفعه يعقوب ليوسف وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد".⁴

❖ أن يتبع الرأي المتعقب بقوله فيه تكلف، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان الآية 02]: "وقبل إن نبتليه مؤخر في المعنى أي جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، وهذا تكلف بعيد".⁵

¹ التسهيل، ج2، ص450.

² المصدر نفسه، ج2، ص492.

³ المصدر نفسه، ج2، ص464.

⁴ المصدر السابق، ج1، ص426.

⁵ المصدر السابق، ج2، ص518.

❖ أن يتبع الرأي المتعقب بقوله فيه فك وفساد لنظم، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [سورة الشمس الآية 05]: "قيل أن ما في قوله وما بناها، وما طحاها، وما سواها، موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى، وقيل أنها مصدرية كأنه قال والسماء وبنياها، وضعف ذلك الزمخشري بقوله فألهمها فإن المراد الله باتفاق وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم".¹

❖ التعبير بأن الأظهر خلافه ما أورده من كلام غيره، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة إبراهيم الآية 23]، "من الأولى للبيان، والثانية للتبعيض، ويجوز أن تكونا للتبعيض معا قاله الزمخشري والأظهر أن الأولى للبيان والثانية زائدة".²

❖ أن يتبع الرأي المتعقب بقوله هذا لا تقتضيه اللغة أو لا يحتمله السياق، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ [سورة النجم الآية 47]: "وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره وقيل معنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة".³

❖ أن يتبع الرأي المتعقب بقوله فيه تخصيص من غير دليل، ومثاله:

- قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة المؤمنون الآية 18]: "يعني المطر الذي ينزل من السماء فتكون منه العيون والأنهار في الأرض وقيل يعني أربعة أنهار وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان ولا دليل على هذا التخصيص".⁴

- ولما ذكر الإمام ابن جزى كلام بعض المفسرين عند تفسيره لقوله تعالى قوله: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [سورة النور الآية 35]، والمراد بالكوكب الدرّي أحد الكواكب المضيئة: كالمشتري، والزهرة، وسهيل، ونحوها، وقيل أراد الزهرة، قال معقبا: "ولا دليل على هذا التخصيص".⁵

¹ التسهيل، ج2، ص577.

² المصدر نفسه، ج1، ص444.

³ المصدر السابق، ج2، ص385.

⁴ المصدر السابق، ج2، ص69.

⁵ المصدر السابق، ج2، ص93.

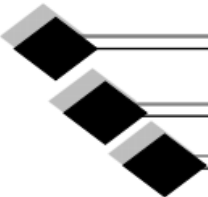


الفصل الثاني:

التعقبات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن

المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالتفسير

المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بعلوم القرآن



تمهيد:

ساق الامام ابن جزري في كتابه "التسهيل"، كثيرا من أقوال الصحابة والتابعين وأرباب علماء التفسير وعلوم القرآن عند تناوله لبيان معاني الآيات والسور، ولا غرابة في ذلك، فهذا مسلك مرضي جرى عليه واستحسنه حذاق كبار أئمة التفسير بالمأثور كالطبري، والحافظ ابن كثير، والبغوي، وابن عطية، وغيرهم، وصنيعهم لا يخفى على من تأمل وطالع دواوينهم ومصنفاته المحررة في هذا المجال، وهذا في الحقيقة يفهم منه فضل ومنزلة ومكانة علم السلف عند أولئك الجهابذة الفحول، وعليه فالإمام ابن جزري على نحو من سبقه جرى وبهم تأثر واقتفى، فحكى أقوالهم، واعتمد آرائهم، لكن ليس على سبيل التقليد والتسليم، بل كان يعترض ويناقش وينتقد، ونظرا لكثرة تلك الاعتراضات وما ينطوي تحتها من فوائد وفرائد سنتطرق في هذا الفصل لدراستها بعد تتبعها واستقراءها من الكتاب بهدف الوصول إلى خلاصة القول فيها.

المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالتفسير

بما أن محتوى موضوع "كتاب التسهيل" هو التفسير، ولهذا كان للتعقبات التفسيرية الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ولا غضاضة في ذلك، وفي هذا المبحث سنتناول دراسة تلك التعقبات مسألة، مسألة، مراعيًا في سوقها، وعرضها، وإيرادها ترتيب الآيات والسور في المصحف الشريف، زاده الله تعالى تعظيما وتشريفا، وقد ظهر لي بعد استقراء المسائل ولملمتها تقسيمها إلى مطلبين: الأول جعلته لعرض المسائل المتعلقة بمعاني ألفاظ، والآخر رصدت فيه ما يتعلق بتوجيه الخطاب ومن غني به، وسبب النزول إلى غير ذلك.

المطلب الأول: التعقبات المتعلقة بمعاني ألفاظ القرآن

تعد التعقبات المتعلقة بمعاني ألفاظ القرآن هي الأكثر ورودا في كتاب التسهيل للإمام ابن جزى، وهذا يُجَلِّي مُكنة الإمام وإتقانه لعلم التفسير، كما يُظهر إحاطته بالأقوال وبأدلتها، وبأسماء أصحابها ووجه نقدها وغير ذلك، وهذا المقام الذي بلغه الإمام يدلُّ دلالة واضحة على علوِّ كعبه الذي حوَّله بأن لا يكتف بالنقل، بل بالتمحيص والاستدراك، وهذه خاصية تميّز بها علماء أهل الأندلس عموماً.

المسألة الأولى (01):

المراد بالشياطين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَفَوْا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 13].

القول المعقب عليه:

المراد بالشياطين في الآية: شياطين الجن، وهذا القول محكي عن الكلبي وغيره.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا: "وهو بعيد".²

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالشياطين في الآية على أربعة أقوال وهي:

¹ ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1420هـ، ج1، ص96.

² التسهيل، ج1، ص53.

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالشیاطین هم رؤساء الکفر وهذا القول مروى عن ابن عباس، وابن مسعود، والسدي، وأبو العالية، وقتادة، ومجاهد،¹ واختاره الإمام البغوي،² والسعدي،³ وأبي المظفر السمعاني،⁴ ومستندهم في اختيار هذا الرأي أقوال الصحابة والتابعين.

القول الثاني: روي عن ابن عباس أن المراد بالشیاطین هم اليهود الذين كانوا يأمرؤهم بالكذب.⁵

القول الثالث: روي عن الضحاك أن المراد بالشیاطین "كهنتهم"، وكان في عهد رسول الله من الكهنة جماعة منهم: كعب بن الأشرف في بني قريضة، وأبو بردة في بني سليم، وعبد الدار في جهينة، وعوف بن عامر في بني أسد، وابن السوداء في الشام وكانت العرب يعتقدون فيهم الاطلاع على علم الغيب، ويعرفون الأسرار، ويداوون المرضى⁶، وهذا القول ذهب إليه جماعة من المفسرين كما نص على ذلك الإمامين القرطبي⁷ وابن عطية⁸.

القول الرابع: حكى عن الكلبي، وغيره، أن المراد بالشیاطین شیاطن الجن⁹، وقال الآلوسی: "وحمله على شیاطین الجن كما قاله الكلبي مما لا يختلج بقلبي"¹⁰.

القول الخامس: يرى الإمام ابن عطية، والقرطبي أن لفظ الشیاطین في الآية يعم كل ما ذكر.

¹ ابن جرير، جامع البيان، تح: عبد الله التركي، ط1، دار هجر، القاهرة، 1422هـ، ج1، ص307. تفسير أبي حاتم، تح: أحمد بن عبد الله الزهراني، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1439هـ، ج1، ص61.

² ينظر: معالم التنزيل، تح: محمد النمر، وآخرون، ط1، دار طيبة، الرياض، 1423هـ، ج1، ص21.

³ ينظر: تيسير الكريم الرحمان، ط2، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2015م، ص28.

* هو منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر، من أعلام التفسير، تلقى على شيوخ كثير أبرزهم أبو صالح المؤذن وأبو القاسم الزنجاني، كما تتلمذ على يديه عمر بن محمد السرخسي وغيره، توفي سنة 489هـ، من أشهر تصانيفه: تفسير القرآن. ينظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج2، ص339.

⁴ تفسير القرآن، تح: ياسر ابن إبراهيم، ط2، مدار الوطن، 1432هـ، ج1، ص50.

⁵ أبو حيان، البحر المحیط، تح: محمد أنس مصطفى الخن، ط1، دار الرسالة العالمية، سوريا، 1436هـ، ج1، ص194. الطبري، جامع البيان، ج1، ص307.

⁶ أبو حيان، البحر المحیط، ج1، ص194. الطبري، جامع البيان، ج1، ص307.

⁷ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن الحسن التركي، ط1، دار الرسالة العالمية، سوريا، 1433هـ، ج1، ص290.

⁸ ينظر: المحرر الوجيز، ج1، ص96.

⁹ ينظر: أبو حيان، البحر المحیط، ج1، ص194، والطبري، جامع البيان، ج1، ص307.

* هو محمود أفندي بن السيد عبد الله أفندي بن محمود بن درويش بن عاشور الحسيني، يكنى بأبو الثناء، ويلقب بشهاب الدين، توفي سنة 1270هـ، من أشهر تصانيفه: روح المعاني. ينظر: رضا كخالة، معجم المؤلفين، ج12، ص175.

¹⁰ روح المعاني، ج1، ص445.

وبعد تأمل في أقوال المفسرين يتبين أن ما ذهب إليه ابن عطية، والقرطبي من حمل لفظ الشياطين في الآية على كل ما ذكر أولى نظر لما يأتي:

أولاً: أن لفظ الشيطنة الذي معناه البعد عن الإيمان والخير يعم جميع ما ذكره.¹

ثانياً: أن هذا القول تقضي به القاعدة المشهورة في الترجيح عند المفسرين التي مفادها "أنه متى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام يشمل جميع ما قيل هو أولى بتفسير الآية".

ثالثاً: أن هذا القول يؤيده ما روي عن ابن عباس أنه قال عند تفسيره للآية: "والشيطان كل متمرّد من الجن والإنس والدواب".

رابعاً: أن هذا القول يتناسب مع الإطلاق اللغوي عند أهل اللسان، فإن العرب تطلق لقب الشيطان على المفسد ومثير الشر، تقول فلان من الشياطين ومن شياطين العرب، وفي هذا الصدد يقول الخليل: "كل متمرّد عند العرب شيطان"².

المسألة الثانية (02):

هل وصف البقرة بالصفرة يحمل على اللون المعروف في قوله تعالى: ﴿فَالْوَأْدُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿ [سورة البقرة الآية 68].

القول المتعقب عليه:

ذهب بعض السلف إلى أن وصف البقرة بالصفرة في الآية لا يحمل على اللون المعروف لذا فسروا قوله

تعالى: ﴿صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ فقالوا سوداء شديدة السواد وهذا قول الحسن البصري وأبي عبيدة.³

وقيد بعضهم وصف الصفرة بالقرن والظلف فقط وهذا القول مروى عن سعيد بن جبير، والحسن بن أبي الحسن.⁴

التعقيب:

بعد أن حكى الإمام ابن جزري قول من فسر الصفرة بالسواد، ومن خصصها بالقرن والظلف قال معقبا: وهو "بعيد".⁵

الدراسة:

اختلف العلماء في المراد بالصفرة على ثلاثة أقوال وهي:

¹ أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص178.

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج1، ص290. ابن الجوزي، زاد المسير، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1436هـ، ج1، ص42.

³ الطبري، جامع البيان ج2، ص93. أبي حيان، البحر المحيط، ج2، ص180. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص163. الألويسي، روح المعاني، ج2، ص232.

⁴ الطبري، جامع البيان، ج2، ص94. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص163. أبي حيان، البحر المحيط، ج2، ص180. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله تركي، ط1، دار الرسالة، بيروت، 1427هـ، ج2، ص175.

⁵ التسهيل، ج1، ص67.

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن لون الصفرة يشمل جميع أجزاء البقرة بما في ذلك القرن والظلف لذا قال في تفسيره للآية "والظاهر صفراء كلها" وهو مذهب جمهور المفسرين وصححه ابن كثير¹ والقرطبي² ورجحه السمين الحلبي* حيث قال: وبهذا يظهر أن صفراء على بابها، لا سوداء كما قال بعضهم فإن الفقوع من صفة الأصفر خاصة، ولا يستعمل ذلك إلا في الإبل لقرب سوادها من الصفرة كقوله: ﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتِ صُفْرًا﴾ [سورة المرسلات الآية 33]².
القول الثاني: يرى الحسن، وأبو عبيدة، أن الصفرة في الآية يراد بها السواد³ واستدلوا بقول الأعشى*:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي *** هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهُمَا كَالزَّيْبِ

ولكن هذا الاستدلال قد ناقشه الإمام الطبري حيث قال: "وإنما قيل ذلك في الإبل لأن سوادها يضرب إلى الصفرة كما في قول الشاعر، وإن وصفت الإبل به فليس مما توصف به البقر، مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصف السواد إذا وصفته بالشدة بالحلوة ونحوه فتقول: هو أسود حالك وحاتك وحلكوك، وأسود غريب ودجوجي، ولا تقول هو أسود فاقع، وإنما تقول هو أصفر فاقع فوصفه إيها بالفقوع من الدليل البين على خلاف التأويل الذي تأول قوله إنها بقرة صفراء فاقع لو أنها المتأول بأن معناه سوداء شديدة السواد".⁴
القول الثالث: وقيد سعيد ابن جبير، وصف الصفرة بالقرن والظلف خاصة.

وبعد نظر وتأمل يتبين، أن الراجح من الأقوال الثلاثة الأول وهو ما ذهب إليه الجمهور أن وصف الصفرة محمول على اللون المعروف، ويشمل جميع جسد البقرة دون استثناء، نظرا لعدة قرائن أذكرها على النحو التالي:
أولا: أن هذا القول ظاهر من السياق ولفظ الفقوع في الآية يؤكد، لأن إطلاق الفقوع يختص بالأصفر خاصة.
ثانيا: أن ما استند إليه أصحاب من فسر الصفرة بالسواد لا يستقيم وقد أجاب عليه الإمام الطبري بأنه خاص بالإبل، فلا ينبغي أن يحمل على غيره.

ثالثا: أن قول من تأول الصفرة بالسواد، أو خصها بالقرن والظلف، قد انتقده غير واحد من أئمة التفسير كالحافظ ابن كثير⁵ والعلامة الشوكاني حيث قال: "وقال الحسن وسعيد ابن جبير أنها كانت صفراء القرن والظلف فقط،

¹ ينظر: الجامع لأحكام القرآن ج2، ص175. أبو حيان البحر المحيط، ج2، ص180.

* هو ميمون بن قيس، يكنى أبو بصير، أحد أشهر شعراء الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، يسمى: صناجة العرب. ينظر: الشعر والشعراء، ج1، ص257.

² الدر المنصور، ج1، ص425.

³ قال ابن كثير: "وهذا غريب". ينظر: تفسير القرآن العظيم، تح: محمد مصطفى الخن، ط1، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1433هـ، ج1، ص171.

* هو إبراهيم بن السري بن سهل، يكنى بأبو إسحاق، أخذ عن أبو العباس المبرد، توفي سنة 311هـ، من أشهر تصانيفه: معاني القرآن. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص411-412.

⁴ جامع البيان ج2، ص95.

⁵ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج1، ص298.

وهو خلاف الظاهر، والمراد بالصفرة هنا الصفرة المعروفة، وروي عن الحسن أن صفراء معناها سوداء، وهذا من بدع التفسير ومنكراته، وليت شعري كيف يصدق على اللون الأسود الذي هو أقبح الألوان أن يسر الناظرين، وكيف يصح وصفه بالفقوع الذي يعلم كل من يعرف لغة العرب أنه لا يجزىء على الأسود بوجه من الوجوه، فإنهم يقولون في وصف الأسود حالك وحلوك، دجوجى وغريب".¹

المسألة الثالثة (03):

من القوم المعنيون في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أَتَمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾ [سورة البقرة الآية 77].

القول المعقب عليه:

القوم المعنيون في الآية هاهنا: هم المجوس وهذا القول مروي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.²

التعقيب:

ولما ذكر ابن جزى قول علي رضي الله عنه قال معقبا: و"هذا غير صحيح، لأن الكلام كله عن اليهود".³

الدراسة:

أورد المفسرون قولان في القوم المعنيين في الآية وهما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن القوم المعنيون في الآية هم قوم من اليهود، وهذا القول مروي عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد⁴ ورجحه العلامة الشوكاني، واختاره الإمام أبي حيان والقرطبي.⁵

القول الثاني: يرى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أن القوم المعنيون في الآية هم المجوس.

وبالتأمل في كلام المفسرين، يتبين أن القول الأول أوجه نظرا للقارئ التالية:

أن دلالة السياق تقضي بذلك وهذا ما بينه أبو حيان في قوله: "والقول الأول هو الأظهر لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود"⁶، ولا شك أن الترجيح بدلالة السياق من القواعد المعتمدة عند أهل الفن كما قرر ذلك صاحب كتاب قواعد الترجيح حيث قال: "إذا تنازع المفسرون في تفسير آية، أو جملة من كتاب الله فمنهم من يحملها على معنى لا يخرج عن سياق الآيات، ومنهم من يحملها على معنى يخرجها عن معاني الآيات قبلها

¹ فتح القدير، تح: عبد الرحمن عميرة، ط1، دار الوفاء، مصر، 1435هـ، ج1، ص210.

² ينظر: القرطبي، جامع الأحكام، ج2، ص217. أبي حيان، البحر المحيط، ج2، ص239. ابن عطية، المخرج، ج1، ص169.

³ التسهيل، ج1، ص72، وقد أورد بعض المفسرين أقولا في المعنيون: قال عكرمة والضحاك هم نصارى العرب، وقيل هم قوم من أهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها، فصاروا أميين. ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج2، ص239.

⁴ ينظر: الطبري، جامع البيان، ج2، ص153.

⁵ ينظر: فتح القدير، ج1، ص219. البحر المحيط، ج2، ص239. الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص217.

⁶ البحر المحيط، ج2، ص239.

وبعدها، ويجعلها معترضة في السياق، فحمل الآية على التفسير الذي يجعلها، داخلة في معاني ما قبلها وما بعدها أولى وأحسن، لأنه أوفق للنظم، وأليق بالسياق، ما لم يرد دليل يمنع من هذا التفسير، أو يصحح غيره¹.

المسألة الرابعة (04):

معنى ألوف قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 241].
القول المعقب عليه:

معنى ألوف في قوله هاهنا أي: مؤتلفة قلوبهم² وهذا القول مروى عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم³.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى بعد أن حكى قول عبد الرحمان ابن زيد ابن أسلم "وهو ضعيف"⁴.

الدراسة:

حكى المفسرون قولان في معنى "ألوف" وهما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أنه يراد بألوف في الآية بيان العدد وهذا القول مروى عن ابن عباس، والسدي، وعطاء، وابن جريج^{*}، والضحاك⁵، وغيرهم، وبه قال جمهور المفسرين كالطبري، والبغوي، والنسفي^{*}، وأبي مظفر السمعاني، والقاضي عبد الجبار⁶.

القول الثاني: قيل أن معنى "الألوف" في الآية هي الألفة وهذا القول مروى عن ابن زيد ولم أقف في حدود اطلاعي على من مال إلى ترجيحه واختياره من المفسرين، وإنما يذكره من باب ذكر الخلاف للأمانة أو قصد تضعيفه.

¹ حسين الحري، قواعد الترجيح، ط1، دار القاسم، الرياض، 1417هـ، ص125.

² أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص246.

^{*} زيد بن أسلم فقيه وتابعي مدي، أخذ عن شيبه بن النضاح، توفي سنة 136هـ، ينظر: الذهبي، طبقات القراء، ج1، ص296.

³ مساعد الطيار، موسوعة التفسير المأثور، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1439هـ، ج4، ص376.

⁴ التسهيل، ج1، ص118.

^{*} هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، يكنى بأبي الوليد، روى عن عطاء بن رباح وغيره، توفي سنة 80هـ، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ، ج6، ص326.

⁵ ينظر: الطبري، جامع البيان، ج4، ص416-418.

^{*} هو عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، يكنى بأبي البركات، أحد أعلام التفسير والفقهاء الحنفي، تتلمذ على شيوخ كثيرين من أمثال الوجيه الرازي، وشمس الأئمة الكردي، والسراج الثقفي، والزين البدواني، كما أخذ عنه الصغناقي، توفي سنة 710هـ، من أشهر تصانيفه: مدارك التأويل. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، ص68.

⁶ معالم التنزيل، ج1، ص250. تفسير النسفي، ج1، ص126. تفسير القرآن، ج1، ص246. أبي حيان، البحر المحيط، ج4، ص391.

وبعد النظر في كلا القولين، يتبين أن القول الراجح هو الأول وأن معنى الألف في الآية يراد به العدد لأمرين:
الأمر الأول: أن هذا المعنى هو مذهب الجمهور، بل هو المروي عن السلف كما تقدم، ومعلوم من قواعد الترجيح
"أن تفسير جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ".¹

والثاني أن مذهب الجمهور تشهد لصوابه أقوال المفسرين التالية:

قال ابن جرير: "وأولى الأقوال من تأويل قوله وهم ألف بالصواب: قول من قال: عني بالألف: كثرة العدد، دون
قول من قال: عني به الائتلاف، بمعنى ائتلاف قلوبهم، وأنهم خرجوا من ديارهم من غير افتراق كان منهم،
ولا تباغض، ولكن فرارا إما من الجهاد، وإما من الطاعون. لإجماع الحجة أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارض بالقول
الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين".²

وقال البغوي: "الألف جمع ألف، وقيل مؤتلفة قلوبهم، جمع ألف، مثل قاعد وقعود، والصحيح أن المراد منه العدد".³
وقال الشوكاني: "والألف من جموع الكثرة، فدل على أنها ألف كثيرة".⁴

وقال القاضي عبد الجبار: "كونه جمع ألف من العدد أولى لأنه ورد الموت عليهم، وهم كثرة عظيمة يفيد مزيد اعتبار بحالهم".⁵
وقال أبو مظفر السمعاني: "والصحيح به العدد كما بينا".⁶

المسألة الخامسة (05):

المراد بالفرقان في قوله عز وجل: ﴿مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١﴾ [سورة آل عمران الآية 03-04].
القول المعقب عليه:

المراد بالفرقان في الآية هو: "الزبور" وهذا القول حكاه الرازي في تفسيره، ولم ينسبه لقائل.⁷

التعقيب:

قال ابن جزي معقبا على هذا القول "وهو بعيد".⁸

¹ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص 288.

² جامع البيان، ج 4، ص 423.

³ معالم التنزيل، ج 1، ص 251.

⁴ فتح القدير، ج 1، ص 449.

⁵ أبي حيان، البحر المحيط، ج 4، ص 391.

⁶ تفسير القرآن، ج 1، ص 246.

⁷ ينظر: مفاتيح الغيب، ج 7، ص 174.

⁸ التسهيل، ج 1، ص 137.

الدراسة:

حكى المفسرون في بيان معنى الفرقان قولان:

القول الأول: ذهب الإمام ابن جزى إلى أن المراد بالفرقان في الآية هو القرآن، وهذا القول مروى عن قتادة والربيع بن أنس*، واختاره كبار حذاق المفسرين من المتقدمين والمتأخرين كالحافظ ابن كثير، وابن عطية، والثعالبي، والشوكاني، وابن عاشور.¹

القول الثاني: وقيل إن المراد بالفرقان في الآية "الزبور"، حكى ذلك الإمام الفخر الرازي في تفسيره ولم ينسبه.

وبعد تأمل في كلا القولين يتبين أن القول الأول أرجح لأن تفسير السلف مقدم على كل تفسير شاذ، ثم إن المحققين اختاروه هذا الرأي وجنحوا إليه أمثال الإمام ابن عطية وابن كثير وغيرهما ممن تقدم ذكرهم قريبا، وأما القول الثاني فهو ضعيف لجهالة قائله من جهة، ولبعد معناه من جهة أخرى وفي هذا الصدد يقول الرازي -رحمه الله-:

"وأما حمله على الزبور فهو بعيد لأن الزبور، ليس فيه شيء من الشرائع والأحكام، بل ليس فيه إلا الوعظ".²

المسألة السادسة (06):

معنى يحاربون الله في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَأُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنَبَّأُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة الآية 35].

القول المعقب عليه:

قال الزمخشري عند بيانه لقوله تعالى: "﴿إِنَّمَا جَزَأُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾" ومحاربة المسلمين في حكم محاربهته يعني أن المقصود أن يخبر بأنهم يحاربون رسول الله، وإنما ذكر اسم الله تبارك وتعالى تعظيما وتفخيما لمن يحاربه".³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الزمخشري: "وقال بعضهم تقديره يحاربون رسول الله وذلك ضعيف لأن الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر بعد ذلك".⁴

* الربيع بن أنس بن زياد البكري الخرساني، توفي سنة 139هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص169.

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، ج5، ص183. المحرر، ج1، ص399. فتح القدير، ج1، ص524. التحرير والتنوير، ج2، ص150. الجواهر الحسان، تح: عبد الفتاح أبو سنة، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1418هـ، ج1، ص8.

² مفاتيح الغيب، ج7، ص174.

³ السمين الحلي، الدر المصون، ج4، ص250.

⁴ التسهيل، ج1، ص235.

الدراسة:

أورد المفسرون أقوال في بيان معنى "يخاربون الله" وهي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزري أن المراد بقوله "يخاربون الله" أي يخاربون أولياء الله، على تقدير حذف المضاف وقال بهذا الإمام الجصاص (370هـ) ونسبه السمين الحلبي إلى الجمهور¹، واستدل من ذهب إلى هذا بما يلي:

أولاً: نظائر القرآن وفي هذا الصدد يقول ابن العربي*: "وقال جماعة من المفسرين وجب حمل الآية على المجاز، معناه يخاربون أولياء الله، وعبر عن نفسه العزيزة سبحانه عن أوليائه إكباراً لإذابتهم، كما عبر بنفسه عن الفقراء في قوله تعالى: ﴿مَسَّ ذَا الْأَيْدِ يُفْرِضُ اللَّهُ فَرَضاً حَسَنًا بَيَضُوعَهُ لَهُ وَأَضْعَاباً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 243]، لطفاً بهم ورحمة لهم وكشفاً للغطاء عنه بقوله في الحديث الصحيح: «عَبْدِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، وَجُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، وَعَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي، فَيَقُولُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: مَرَضَ عَبْدِي فَلَانَ، وَلَوْ غَدَتُهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»².

ثانياً: قالوا هذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾ [سورة الأحزاب الآية 57].

ويدل على ذلك أنهم لو حاربوا رسول الله لكانوا مرتدين بإظهار محاربتهم ومخالفتهم عليه الصلاة والسلام.³

ثالثاً: قالوا إن معنى المحاربة لله بينها النبي ﷺ في قوله تبارك وتعالى: «مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، مَا تَرَدَّدْتُ فِي قَبْضِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بَدَّ لَهُ مِنْهُ، مَا تَقَرَّبَ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّى أَحِبُّهُ وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَيدًا ومؤيدًا، دعاني فأجبتُهُ وسألني فأعطيته ونصح لي فنصحتُ له، وإنَّ من عبادي لمن يريدُ البابَ منَ العبادةِ فأكفَّهُ عنه لا يدخلُهُ العجبُ فيفسدُهُ ذلكَ، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يُصلِحُ إيمانهُ إلَّا الفقرُ ولو أغنيتهُ لأفسدَهُ ذلكَ، وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يُصلِحُ إيمانهُ إلَّا الصَّحَّةُ ولو أسقمتهُ لأفسدَهُ ذلكَ وإنَّ من عبادي المؤمنين لمن لا يُصلِحُ إيمانهُ إلَّا السَّقَمُ ولو أصحَّحتهُ لأفسدَهُ ذلكَ، إِنِّي أدبُرتُ عبادي بعلمي بقلوبهم إِنِّي عليمٌ خبيرٌ»⁴.

¹ ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج7، ص160. الدر المنصور، ج4، ص250.

* هو محمد بن عبد الله القاضي، من أئمة المالكية، تتلمذ على يد أبو حامد الغزالي، وأبو بكر الطرطوشي، كما أخذ عنه ابن لبال الشريشي، وابن وكيل الأقليسي، وابن الفخار الأنصاري، توفي سنة 543هـ، من أشهر تصانيفه: أحكام القرآن. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص106.

² صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب عيادة المريض، رقم 2569.

³ الآلوسي، روح المعاني، ج7، ص160. نقله عن الجصاص.

⁴ الألباني، السلسلة الضعيفة، رقم 1775، ج4، ص256. وقال: ضعيف جداً.

القول الثاني: ما ذهب إليه الزمخشري من أن المراد بقوله: ﴿يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي يحاربون رسول الله، وإنما ذكر الله تعظيماً وتفخيماً لمن يحاربه كقوله: ﴿لَنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ بَوَاقُ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَوَلَّىٰ نَفْسَهُ وَمَنْ أُوْبِيَٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَنْ تَوَلَّىٰ﴾ [سورة الفتح الآية 10].

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الذي تسعفه الأدلة وتشهد له نظائر القرآن، وتقضي بصحته معناه أخبار النبي عليه الصلاة والسلام هو الأول، وأما ما ذهب إليه الزمخشري من تفسيره لمعنى يحاربون الله بيحاربون رسول الله فهذا يردده السياق كما قال الإمام ابن جزى لأن الرسول ذكر بعده.

المسألة السابعة (07):

معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة الآية 111].

القول المعقب عليه:

قال مجاهد والحسن والسدي في بيان معنى الآية: أنهم يذهلون من هول ذلك اليوم ويفزعون عن الجواب، ثم يجئون بعدما تثوب إليهم عقولهم فيقولون ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾¹.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول الحسن ومجاهد والسدي: "وذلك بعيد لأن الأنبياء في ذلك اليوم آمنون".²

الدراسة:

ذكر أهل التأويل في المعنى المراد بقول الرسل ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ستة أقوال وهي:

القول الأول: قال جمع من المفسرين إن للقيامة زلازل وأحوال بحيث تزول القلوب عن مواضعها عند مشاهدتها، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند مشاهدة تلك الأحوال ينسون أكثر الأمور، فهناك يقولون لا علم لنا وهذا القول رواه أبو الضحى عن ابن عباس، وبه قال الحسن ومجاهد والسدي³، واستدل له بما يلي:

أولاً: بما رواه أبو معاوية، عن، الأعمش، عن، المنهال، عن، شهر بن حوشب، عن، كعب، قال: «تَزْفِرُ جَهَنَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً، فَلَا يَبْقَىٰ مَلَكٌ مُّقْرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ إِلَّا وَقَعَ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي»⁴.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 8 ص 280.

² التسهيل، ج 1، ص 256.

³ ابن الجوزي، زاد المسير، 417. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 130.

⁴ ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب الجنة، باب ما ذكر فيها أعداء أهل النار وشدة، رقم: 35118. وقال ابن رجب: إسناده ضعيف جداً.

ثانيا: بما روي عن النبي أنه قال عليه السلام «خَوَّفَنِي جَبْرِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى أَبْكَانِي فَقُلْتُ يَا جَبْرِيلُ أَلَمْ يُغْفَرْ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ لَتَشْهَدَنَّ مِنْ هَؤُلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَا يُنْسِيكَ الْمَغْفِرَةُ»¹.

القول الثاني: أن المعنى في قوله ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ إلا علم أنت أعلم به منا، وهذا القول رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أن المراد بقوله: ﴿مَاذَا أَجِبْتُمْ﴾ [سورة المائدة الآية 111] ماذا عملوا بعدكم، وأحدثوا فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾، قاله ابن جريج.

والرابع: أن المعنى ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ مع علمك لأنك تعلم الغيب، ذكره الزجاج*.

والخامس: أن المعنى ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ كعلمك، إذ كنت تعلم ما أظهر القوم وما أضمروا، ولا نعلم ما أضمروا، فعلمك فيهم أنفذ من علمنا، وهذا اختيار ابن الأنباري.

والسادس: لا علم لنا بجميع أفعالهم إذا كنا نعلم بعضها وقت حياتنا، ولا نعلم ما كان بعد وفاتنا، وإنما يستحق الجزء بما تقع به الخاتمة.²

وبالتأمل في كلام المفسرين يتبين أن القول الرابع في المراد بقول الرسل: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنه، وهو الذي صوبه وصححه المحققين، وإليك نص كلامهم مبينا كالاتي:

قال الثعالبي: "وقول ابن عباس حسن، وهو أصوب هذه المناحي، لأنه يتخرج على التسليم لله تعالى ورد الأمر إليه، إذ هو العالم بجميع ذلك، على التفصيل والكمال، فأروا التسليم والخضوع لعلمه المحيط سبحانه".³

وقال الرازي بعد أن أورد قول ابن عباس: "وهو الأصح وهو قول ابن عباس إنهم إنما قالوا ﴿لَا عِلْمَ لَنَا﴾ لأنك تعلم ما أظهروا، وما أضمروا، ونحن لا نعلم إلا ما أظهروا، فعلمك فيهم، أنفذ من علمنا، فلهذا المعنى نفوا العلم

عن أنفسهم لأن علمهم عند الله كلا علم".⁴

وقال ابن عطية: "وقول ابن عباس أصوب".⁵

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص280.

* هو إبراهيم بن السري بن سهل، يكتب بأبو إسحاق، أخذ عن أبو العباس المبرد، توفي سنة 311هـ، من أشهر تصانيفه: معاني القرآن. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص411-412.

² ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص418. الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص132.

³ الجواهر الحسان، ج2، ص436.

⁴ مفاتيح الغيب، ج12، ص132.

⁵ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص463.

وقال ابن كثير: "ولا شك أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الرب جلّ جلاله، أي: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا أجبنًا وعرفنا أجابنا، لكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، ف ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾¹. وأما قول مجاهد والحسن والسدي من أن الأنبياء يذهلون فينسبون أمورًا لشدة خطب ذلك اليوم فيبقى مجرد رأي يحتاج إلى أدلة صحيحة صريحة تعضده، وهو في الحقيقة وإن كان منقولًا عن السلف إلا أنه ينبغي أن ينزه ويصان عنه مقام النبوة، ثم إن هذا القول قد يعترض عليه بظاهر الآية وهي قوله عز وجل: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْبَزْءُ الْأَكْبَرُ﴾ [سورة الأنبياء الآية 102].

المسألة الثامنة (08):

معنى بلغ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام الآية 20].

القول المعقب عليه:

قالت فرقة: معنى ﴿بَلَغَ﴾ في الآية أي بلغ الحلم.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهو بعيد".³

الدراسة:

ذكر المفسرون قولين في معنى "بلغ" هنا وإليك بيانه كالآتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْفُرْقَانُ﴾ [سورة الأنعام الآية 20] ومن بلغ أي: وأنذر به كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة، وهذا القول مروى عن ابن عباس ومقاتل، وهو قول الجمهور، وبه قال جمع من المفسرين كالبعوي والزخشي والبيضاوي^{*}، والحازن^{*} والآلوسي، والنسفي، والشوكاني.⁴

¹ تفسير القرآن العظيم، ج2، ص169.

² ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص276.

³ التسهيل، ج1، ص265.

^{*} هو عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن البيضاوي، ويكنى بأبي الخير، تتلمذ على يد والده الإمام أبو القاسم عمر بن محمد بن علي البيضاوي، وأخذ عنه الشيخ روح الدين بن الشيخ جلال الدين الطيار، توفي سنة 685هـ، من أشهر تصانيفه: أنوار التنزيل. ينظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص248.

^{*} هو علي بن محمد بن إبراهيم بن علاء الدين، يُكنى بأبي الحسن، توفي سنة 741هـ، من أشهر تصانيفه: لباب التأويل في معاني التنزيل. ينظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص426.

⁴ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج9، ص71. ابن عطية، المحرر، ج2، ص276. معالم التنزيل، ج3، ص132. الكشاف، ص322. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: عبد الرحمان المرعشي، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت، ج2، ص157. لباب التأويل، ج2، ص104. مدارك التأويل، ص310. فتح القدير، ج2، ص105.

القول الثاني: ما نقله بعض المفسرين كالإمام ابن عطية والقرطبي، والثعالبي ولم ينسبوه لقائل، أن معنى "بلغ" أي بلغ الحلم.¹ وبعد تأمل ونظر يتبين أن أرجح القولين في بيان معنى "بلغ" الأول وذلك لأنه مروي عن السلف، وإليه ذهب الجمهور وهو المختار عند المحققين كالزحاشري، والبيضاوي، والبغوي، والشوكاني، وغيرهم، وظاهر السياق يدل عليه والله أعلم.

المسألة التاسعة (09):

معنى² قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْفَاعِلُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ بَوْفِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [سورة الأنعام الآية 66].
القول المعقب عليه:

روي عن ابن عباس ومجاهد أن معنى قوله: ﴿مِّنْ بَوْفِكُمْ﴾، يعني الأمراء الظلمة، ﴿مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ والسفلة وعبيد السوء.³
التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول ابن عباس ومجاهد: "وهذا بعيد".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى الآية "الذي من فوق إمطار الحجارة، ومن تحت الخسف" وهذا القول مروي عن ابن عباس والسدي ومقاتل، ومجاهد وسعيد ابن جبير⁵ واختاره شيخ المفسرين الطبري كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير عنه.⁶
القول الثاني: ما روي عن ابن عباس، ومجاهد أن معنى ﴿مِّنْ بَوْفِكُمْ﴾: أمراءكم، ﴿مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ عبيدكم وسفلكم.⁷
وبمراجعة كتب التفسير يتبين أن كلا القولين يشملهما عموم اللفظ⁸، وعليه فماروي عن ابن عباس وغيره في بيان معنى الآية حكم المفسرون أنه من باب التمثيل الذي لا يقصد به بيان المعنى، وإنما يراد به التمثيل والتقريب كما استنبط ذلك الإمام ابن عطية - رحمه الله - .

¹ ينظر: الجواهر الحسان، ج2، ص451. أحكام القرآن، ج6، ص399.

² قال ابن الجوزي فيها قولان: أحدهما: أن الذي فوقهم العذاب النازل من السماء، كما حصب قوم لوط، وأصحاب الفيل، والذي من تحت أرجلكم: كما خسف بقارون، قله ابن عباس والسدي، وقال غيرهم ومنهم الطوفان والريح، والصيحة، والرجفة. زاد المسير، ص444.

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص414.

⁴ التسهيل، ج1، ص273.

⁵ ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص115.

⁶ تفسير القرآن العظيم، ج2، ص210.

⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص210.

⁸ ابن عطية، المحرر، ج2، ص303.

المسألة العاشرة (10):

هل آزر اسم صنم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ﴾ [سورة الأنعام الآية 75] ؟

القول المعقب عليه:

قال مجاهد والسدي "آزر في قوله تعالى ﴿عَازَرَ﴾ اسم صنم".¹

التعقيب:

"قال الإمام ابن جزري معقبا على هذا القول: "وقيل إنه اسم صنم، لأنه ثبت أن اسم أبي إبراهيم تارح، فعلى هذا يحتمل، أن يكون لقب به لملازمته له، أو أوريد عابد آزر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف به مقامه وذلك بعيد".²

الدراسة:

حكى المفسرون في المراد بـ "آزر" في قوله تعالى ﴿عَازَرَ﴾ أقوالا وهي:

القول الأول: أن آزر اسم أبي إبراهيم، وهذا مروى عن ابن عباس، والحسن والسدي، والضحاك والكلبي وابن إسحاق³، واختاره الطبري، وأبو حيان، وابن جزري.⁴

القول الثاني: أن آزر اسم صنم، وأن اسم أبي إبراهيم "تارح"، وهذا قول مجاهد، ونقل اتفاق النسابين عليه وفي هذا الصدد يقول أبو بكر بن محمد بن محمد بالحسن الجويني: "وليس بين الناس، اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارح".⁵

القول الثالث: وقال مقاتل آزر في قوله تعالى ﴿عَازَرَ﴾ لقب، وتارح اسم، ويجوز أن يكون على العكس.⁶

القول الرابع: أن آزر ليس باسم، إنما هو سب بعيب، وفي معناه قولان: أحدهما: أنه المعوج، والثاني: أنه المخطىء.⁷

وبعد نظر وتأمل في هذه الأقوال، يتبين أن القول الأول أصوب ويؤيده السياق ويشهد له قول المحقق أحمد شاکر في هذا الصدد: "أما أن اسم والد إبراهيم آزر، فإنه عندنا أمر قطعي الثبوت بصريح القرآن في هذه الآية بدلالة الألفاظ على المعاني، وأما التأويل والتلاعب بالألفاظ، فما هو إلا إنكار مقنع لمضمون الكلام ومعناه، وسواء أكان اسمه في قول أهل النسب نقلا عن الكتب السابقة "تارح" أو لم يكن، فلا أثر له في وجوب الإيمان

¹ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص448. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص219.

² التسهيل، ج1، ص276.

³ ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص33. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص219.

⁴ البحر المحيط، ج9، ص246. تفسير القرآن العظيم، ج2، ص219.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص432..

⁶ المرجع نفسه، ج8، ص433.

⁷ ابن الجوزي، زاد المسير، ص449.

بصدق ما نص عليه القراء، وبدلالة لفظ "لأبيه" على معناه الوضعي في اللغة والقراء هو المهيمن على ما قبله¹، وكلام الشيخ أحمد شاكراً فيه همس لما ادعاه أهل النسب من حكاية الإجماع وهو أن "تارح" اسم والد إبراهيم لذا قال القرطبي: "وما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق"².

المسألة الحادي عشر (11):

معنى ملكوت السموات والأرض في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [سورة الأنعام الآية 76].

القول المعقب عليه:

معنى ملكوت السموات والأرض قيل: تفرجت له السموات والأرضون، وهذه الرؤية رؤية بصر، وروي في ذلك أن الله عز وجل فرج لإبراهيم عليه السلام السموات والأرض، حتى رأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل³، وهذا قول سلمان الفارسي رضي الله عنه، وروي عن ابن جبير، ومجاهد⁴.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول سلمان، وابن جبير، ومجاهد: "وهذا يحتاج إلى صحة نقل"⁵.

الدراسة:

ذكر المفسرون في بيانهم معنى الرؤية في الآية ثلاثة أقوال⁶ وهي:

القول الأول: أنها رؤية البصر، وروي في ذلك: أن الله عز وجل فرج لإبراهيم السموات والأرضين، حتى رأى ببصره الملكوت الأعلى والملكوت الأسفل، وهذا قول سلمان ومجاهد، وابن جبير.

القول الثاني: هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت، وقع له معها من الاعتبار ورؤية القلب، ما لم يقع لأحد من أهل زمنه الذين بعث إليهم وهذا قول ابن عباس، واختاره ابن جزى.

القول الثالث: هي رؤية قلب، رأى بها ملكوت السماوات والأرض، بفكرته ونظره، وذلك ولا بد متركب على ما تقدم من رؤيته ببصره وإدراكه في الجملة بحواسه، وهذا القول ذكره ابن عطية ولم ينسبه لقائل.

¹ عمدة التفسير، ط2، دار الوفاء، المنصورة، 1426هـ، ج1، ص789.

² الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص433.

³ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج2، ص484.

⁴ أبي حيان، البحر المحيط، ج9، ص251.

⁵ التسهيل، ج1، ص276.

⁶ مساعد الطيار، موسوعة التفسير بالمأثور، ج8، ص437. المخرر، ج3، ص339.

وبعد نظر وتأمل في هذه الأقوال يتبين أن القول الثاني والثالث يناسبان الآية لأن الغاية التي نصبت له إنما هي أن يؤمن ويكون من جملة الموقنين كثرة، والإشارة لا محالة إلى من قبله من الأنبياء والمؤمنين بعده، واليقين يقع له ولغيره بالرؤية في ظاهر الملكوت والإستدلال به على الصانع والخالق لا إله إلا هو¹، وأما القول الأول، فقد حكاه ابن جرير عن مجاهد، وسعيد ابن جبير، ويقيى اعتباره عند المحققين من أئمة التفسير مقيد، ومشروط بثبوت وصحة سنده.²

المسألة الثاني عشر (12):

معنى الحق في قوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [سورة الأنعام الآية 142].

القول المعقب عليه:

يراد بالحق هاهنا "الزكاة المفروضة"³، وهذا قول أنس ابن مالك وابن عباس، وطاووس، والحسن، وقتادة، وابن زيد، وابن الحنفية، والضحاك وسعيد ابن المسيب.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على هذا القول: "قيل وحقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين: أحدهما أن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، والآخر أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر".⁵

الدراسة:

اختلف العلماء في تفسير الحق هاهنا على أقوال وهي:

القول الأول: أن الحق في الآية هو الزكاة المفروضة، وهذا قول أنس وابن عباس، وجماعة كما سبق، وصححه الرازي⁶، واستدل له بما يلي:

أولا: أن النبي ﷺ قال: «ليس في المال حق سوى الزكاة»⁷، فوجب أن يكون المراد بهذا حق الزكاة.

ثانيا: قالوا لا نسلم أن الزكاة ما كانت واجبة في مكة، بل لا نزاع أن الآية المدنية وردت بإيجابها.⁸

¹ ابن عطية، المخرر، ج3، ص399.

² ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص339. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص221.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص53.

⁴ ينظر: الطبري، جامع البيان، ج9، ص595-600.

⁵ التسهيل، ج1، ص288.

⁶ مفاتيح الغيب، ج13، ص221.

⁷ ابن ماجه، السنن، كتاب الزكاة، باب ما أدي زكاته ليس بكنز، ص141.

⁸ المرجع نفسه، ج13، ص221.

ثالثا: حكى الزجاج قولاً أن هذه الآية نزلت بالمدينة.¹

القول الثاني: أن هذا حق في المال سوى الزكاة وهذا قول ابن عمر، وأبو الدرداء، ومجاهد وعطاء، ورجحه البيضاوي وأبو المظفر السمعاني، واختاره ابن عاشور² واستدل له بما يلي:

أولاً: أن هذه الآية مكية، والزكاة فرضت من بعد بالمدينة.

القول الثالث: أن هذا كان قبل وجوب الزكاة، فلما فرضت الزكاة نسخ هذا، وهذا قول السدي، والحسن في إحدى الروايتين عنه، ورجحه الطبري.³

وبعد نظر في هذه الأقوال، يتبين أن القول الأول هو أول بتفسير الآية، ويؤيده السياق، وبه قال ابن عباس وأنس، وجمع من التابعين كثير.⁴

المسألة الثالث عشر (13):

عدد السحرة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ بِرُءُوسِهِمْ﴾ [سورة الأعراف الآية 112].

القول المعقب عليه:

"قال ابن عبد الحكم: كانوا اثني عشر نقيبا، مع كل نقيب عشرون عريفا، تحت يدي كل عريف ألف ساحر، وكان رئيسهم شمعون في قول مقاتل ابن سليمان، وقال ابن جريج، كانوا تسع مئة من العريش، والفيوم والإسكندرية، أثلاثا، وقال ابن إسحاق: كانوا خمسة عشر ألف ساحر، وروي عن وهب وقيل: كانوا اثني عشر ألفا، وقال ابن المنكدر: ثمانين ألفا، وقيل أربعة عشر ألفا، وقيل كانوا ثلاث مئة ألف ساحر من الريف، وثلاث مئة ألف من الصعيد، وثلاث مئة ألف ساحر من الفيوم وما والاها، وقيل: كانوا سبعين رجلا، وقيل ثلاثة وسبعين".⁵

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا بعد تلخيصه لمن حدد عدد السحرة: "واختلف في عدد السحرة اختلافا متباينا، من سبعينا رجلا إلى سبعين ألفا، وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل".⁶

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 53.

² ينظر: البغوي، معالم التنزيل، مج 8، ص 81. تفسير القرآن، ج 1، ص 150. التحرير والتنوير، مج 4، ص 122.

³ ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 611.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج 4، ص 122.

⁵ الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 295.

⁶ التسهيل، ج 1، ص 312.

الدراسة:

اختلف المفسرون في عدد السحرة الذين أوتي بهم إلى فرعون على ثلاثة عشر قولاً¹، والمعروف أنهم كانوا سبعين ألفاً²، بينما يرى الإمام ابن جزى أن كل ما قيل من أقوال فيها تحديد لعدد السحرة، لا أصل لها في صحة النقل ويشهد لوجهة هذا الرأي أمران:

الأول: اضطراب الناقلون للأخبار في عددهم اضطراباً متناقضاً يعجب العاقل من تسطيره في الكتب، فمن قائل: تسعة مئة ألف ساحر، وقائل سبعين ساحر، فما بينهما من الأعداد المعينة المتناقضة.³

الثاني: ذكر ابن عطية بعض الأقوال في تحديد العدد، ثم علق عليها جميعاً بقوله: "وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده".⁴

المسألة الرابع عشر (14):

معنى نفس واحدة في قوله تعالى: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [سورة الأعراف الآية 189].

القول المعقب عليه:

قيل إن المراد بقوله سبحانه: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هاهنا قصي ابن كلاب وزوجته، وجعلا له شركاً سمو أولادهما عبد العزى وعبد الدار، وعبد مناف "وهذا القول حكاه الرازي في تفسيره ولم ينسبه لقائل".⁵

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا القول بعيد لوجهين: أحدهما: أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها فإن هذا يصح في حواء لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي".⁶

¹ ابن الجوزي، زاد المسير، ص 511.

² أبي المظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج 1، ص 203.

³ أبو حيان، البحر المحيط، ج 10، ص 237.

⁴ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 9، ص 271.

⁵ مفاتيح الغيب، ج 15، ص 91.

⁶ التسهيل، ج 1، ص 332.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الخطاب في الآية بخلقكم عام والمراد بقوله من نفس واحدة هو آدم وهذا القول مروى عن مجاهد، الضحاك، وقتادة، ومقاتل¹، وذهب إليه جمهور المفسرين²، وبه قال الطبري، والبغوي، والشوكاني، وأبي مظفر السمعاني³.

القول الثاني: وقيل الخطاب في الآية خاص أيضا وهو موجه لقريش المعاصرين للرسول ﷺ، ونفس واحدة هو قصي، منها أي من جنسها زوجة عربية قرشية، وسموا أولادها الأربعة: عبد مناف، وعبد العزى، وعبد الدار، وعبد قصي⁴، وهذا القول أورده الرازي في تفسيره، ولم ينسبه لقائل.

وبعد تأمل في كلا القولين يتبين، أن القول الذي ذهب إليه ابن جزى أرجح نظرا لما يلي:

أولا: أن هذا القول عليه جمهور المفسرين، وبه فسّر حذاق أئمة الفن الآية، كالقرطبي، والشوكاني وغيرهما. **ثانيا:** أن القول الثاني فيه تخصيص للخطاب، ودعوى التخصيص تحتاج حتى تثبت إلى دليل صحيح صريح، وهذا منتفى بعد مراجعتي لكتب التفسير، فيوردون هذا القول بصيغة التمريض، ولم ينقلوا دليل يعضده ويؤيده، فيبقى التخصيص مجرد دعوة عارية عن الدليل، ومن ثم يكون حمل الآية على العموم أولى، وهو مذهب الجمهور.

المسألة الخامسة عشر (15):

من المعنيون في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة الأنفال الآية 61].

القول المعقب عليه:

قال السُّهيلي* عند تفسيره لهذه الآية: "ولا ينبغي أن يقال فيهم شيء لأن الله تعالى سبحانه قال ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ فكيف يدعي أحد علما بهم".⁵

¹ ينظر: مساعد الطيار، الموسوعة، ج9، ص535-536.

² ينظر: أبي حيان، البحر المحیط، ج10، ص437. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص409.

³ ينظر: الطبري، ج10، ص617، البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص179. فتح القدير، ج2، ص392. تفسير القرآن، ج1، ص238.

⁴ أبي حيان، البحر المحیط، ج10، ص439.

* هو عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حُبَيْش، أخذ عن ابن العربي وأبي طاهر، وأخذ عنه أبو الحجاج البلوي، وعبد الله بن الحسن القرطبي، توفي سنة 581هـ، من أشهر تصانيفه: التَّوَضُّعُ الْأَنْفُ فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ، التعريف والإعلام بيما في القرآن من الأسماء والأعلام. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص81.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص61.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على كلام السهيلي: "وهذا لا يلزم لأن معنى قوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾: لا تعرفونهم، أي لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يعرف صنفهم من الناس ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين".¹

الدراسة:

اختلف العلماء في من المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ [سورة الأنفال الآية 61] على خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الجن، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «هم الجن»²....، وهذا قول ابن عباس ورجحه الطبري.³

والثاني: أنهم بنوا قريضة، وهذا القول مروي عن مجاهد.

والثالث: أهل فارس وهذا القول مروي عن السدي.

والرابع: أنهم المنافقون، وهذا قول ابن زيد ومال إليه ابن جزى، واختاره أبي حيان، ورجحه ابن كثير.⁴

والخامس: اليهود وهذا القول مروي عن مقاتل.⁵

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أحسن ما قيل في تفسير الآية ما ذكره ابن عطية معلقا على هذا الاختلاف حيث قال: "وهذا الخلاف ينبغي أن يترتب على ما يتوجه من المعنى في قوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾، فإذا حملنا قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ على عمومهم، ونفيينا علم المؤمنين بهذه الفرقة المشار إليها جملة واحدة، وكان العلم بمعنى المعرفة لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد، لم يثبت من الخلاف في قوله: ﴿وَعَاخِرِينَ﴾ إلا قول من قال: الإشارة إلى المنافقين، وقول من قال الإشارة إلى الجن، وإذا جعلنا قوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ محارين أو نحو هذا مما تفيد به نفي العلم عنهم حسنت الأقوال، وكان العلم متعديا إلى مفعولين".⁶

المسألة السادسة عشر (16):

المراد بأئمة الكفر في قوله تعالى: ﴿بَقَلِيلًا أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾ [سورة التوبة الآية 12].

¹ التسهيل، ج1، ص347.

² قال الحافظ ابن كثير: "وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه". ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص473.

³ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج10، ص147.

⁴ ينظر: البحر المحيط، ج11، ص149. تفسير القرآن العظيم، ج2، ص473.

⁵ ينظر: زاد المسير، ص560.

⁶ مساعد الطيار، موسوعة التفسير بالمأثور، ج10، ص149.

القول المعقب عليه:

المراد بأئمة الكفر هاهنا: "أبي سفيان بن حرب، وأبي جهل، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش يومئذ الذين نقضوا العهد"، وهذا القول مروى عن ابن عباس، وقتادة.¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول ابن عباس وقتادة: "وحكى ذلك الطبري وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كانوا قد ماتوا قبل نزول هذه السورة، والأحسن أنها على العموم".²

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بأئمة الكفر في الآية على قولين وهما:

القول الأول: قيل أن المراد بأئمة الكفر أبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب ونظرائهم، وهذا القول مروى عن ابن عباس وقتادة، واختاره أبي مظفر السمعاني، والقرطبي، والآلوسي.³

القول الثاني: أن الآية حكمها عام وإن كان سبب نزولها في مشركي قريش، وهذا القول إختاره ابن كثير، وابن عطية واستحسنه ابن جزى.⁴

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الثاني أقرب للصواب نظر لما يلي:

أولاً: أن هذا القول تشهد لوجهاته القاعدة المعروفة عند العلماء التي مفادها أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثانياً: أن من خصص نزول الآية بأشخاص معينين كأبو جهل، والحارث ابن هشام وغيرهما، فهذا يحمل على أن قتلهم أهم، لا لأنه لا يقتل غيرهم⁵، وهذا فيه تأييد لقول من حمل معنى الآية على العموم.

ثالثاً: أن هذا الرأي تؤيده أقوال العلماء التالية:

قال ابن كثير: "والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش، فهي عامة لهم ولغيرهم".⁶

وقال ابن عطية: "وأصوب ما في هذا أن يقال، إنه لا يعنى بها معين، وإنما وقع الأمر بقتال أئمة الناكثين بالعهود من الكفرة إلى يوم القيامة دون تعين، واقتضت حال كفار العرب ومحاربي رسول الله ﷺ أن تكون الإشارة

¹ ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص254. أبي حيان، البحر المحيط، ج11، ص207.

² التسهيل، ج1، ص352.

³ ينظر: تفسير القرآن، ج1، ص292. الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص126. روح المعاني، ج10، ص243.

⁴ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص498. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج10، ص276.

⁵ ينظر: روح المعاني، ج10، ص243.

⁶ تفسير القرآن العظيم، ج2، ص498.

إليهم أولاً بقوله: ﴿أَيُّمَةُ الْكُفْرِ﴾، وهم حصلوا حينئذ تحت اللفظة، إذا من يتولى قتال النبي ﷺ والدفع في صدر شريعته هو إمام من يكفر بذلك الشرع إلى يوم القيامة، ثم تأتي في كل جيل من الكفار أئمة خاصة بجيل جيل¹.

المسألة السابع عشر (17):

معنى الضعفاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفَعُونَ﴾ [سورة التوبة الآية 92].

القول المعقب عليه:

الضعفاء هاهنا "هم الصبيان، وقيل: هم النسوان"² وهذين القولين أوردهما الإمام البغوي في تفسيره ولم ينسبهما لقائل.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذين القولين بعد أن حكاهما: "وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد"³.

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالضعفاء في الآية على أقوال وهي:

القول الأول: قيل إن المراد بالضعفاء هاهنا: الزمنى والمشايخ الكبار، وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومقاتل واختاره البيضاوي والفخر الرازي والشوكاني وابن عطية، وابن جزى، وأبي حيان وصححه ابن الجوزي⁴.

القول الثاني: قال بعضهم إن المراد بالضعفاء هم النسوان.

القول الثالث: وقال بعضهم إن المراد بالضعفاء هم الصبيان.

القول الرابع: وقال بعضهم إن المراد بالضعفاء هم المجانين والضعف: نقصان عقولهم⁵.

¹ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج10، ص278.

² معالم التنزيل، ج2، ص315.

³ التسهيل، ج1، ص367.

* هو عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله، أحد أئمة التفسير، حنبلي المذهب، تتلمذ على يد الجواليقي، وأخذ عنه ابن باطيش، توفي سنة 597هـ، من أشهر تصانيفه: زاد المسير في التفسير، تلبس إبليس، ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين، ج1، ص275.

⁴ ينظر: أنوار التنزيل، ج3، ص93. مفاتيح الغيب، ج16، ص163. فتح القدير، ج2، ص555. المحرر، ج3، ص69. البحر المحيط، ج11، ص391. زاد المسير، ص600.

⁵ ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص336.

وبعد نظر يتبين أن أرحح الأقوال في بيان معنى الضعفاء في الآية هو الأول، لأن تفسير السلف وفهمهم للنصوص مقدم على كل تفسير شاذ.¹

المسألة الثامن عشر (18):

من المسؤول منه في قوله: ﴿بَسَّلَ الَّذِينَ يَفْرَوْنَ الْكِتَابَ﴾ [سورة يونس الآية 94].

القول المعقب عليه:

المسؤل منه هاهنا: "هم الذين آمنوا من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وعبد الله بن سوريا، وقيم الداري، وكعب الأحبار"، وهذا القول مروي عن ابن عباس، وجاهد، ومقاتل بن سليمان، والضحاك، وابن زيد، والإمام السهيلي. وبه جزم المحققون كما ذكر الرازي.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد لأن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل الآية على الإطلاق أولى".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المسؤول منه في الآية هم أهل الكتاب سواء كانوا من المسلمين، أو من الكفار، لذا قال فحمل الآية على الإطلاق أولى، وهذا القول نصره الشوكاني، وابن القيم.⁴

القول الثاني: وقيل إن المسؤول منه في الآية من آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وأصحابه وهذا القول مروي عن عبد الله بن عباس، ومقاتل، والضحاك، والإمام السهيلي واختاره الثعالبي، وبه قال المحققون كابن جرير وابن عطية.⁵

وبعد تأمل ونظر لكلا القولين يتبين أن ما ذهب إليه ابن جزى من حمل الآية على الإطلاق أولى، وإن كان القول الثاني فيه حسن وله إعتباره من عدة جوانب ككونه مروي عن السلف، واختياره من قبل أئمة التفسير، لكن انتقد من جهتين:

إحدهما: أن فيه مخالفة لظاهر السياق وفي هذا الصدد يقول الشوكاني: "يعني مسلمي أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأمثاله، وقد كان عبدة الأوثان يعترفون لليهود بالعلم، ويقرون بأنهم أعلم منهم، فأمر الله سبحانه نبيه

¹ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص288.

² ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص378. الماوردي، النكت والعيون، تح: عبد المقصود بن عبد الرحيم، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج2، ص450. مفاتيح الغيب، ج17، ص169.

³ التسهيل، ج1، ص388.

⁴ ينظر: فتح القدير، ج2، ص661. السيد محمد، بدائع التفسير، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ، ج2، ص92.

⁵ ينظر: الجواهر الحسان، ج3، ص267. مساعد الطيار، الموسوعة، ج11، ص94.

أن يرشد الشاكين في ما أنزله الله إليه من القرآن أن يسألوا أهل الكتاب الذين قد أسلموا، فإنهم سيخبرونهم بأنه كتاب الله حقاً، وأن هذا رسوله، وأن التوراة شاهدة بذلك ناطقة به، وفي هذا الوجه مع حسنه مخالفة ظاهرة".¹

والثاني: أن الآية مكية، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة وفي هذا الصدد يقول ابن القيم: "ولم يقع هؤلاء ولا هؤلاء على معنى الآية ومقصودها، وأين كان عبد الله بن سلام، وقت نزول هذه الآية، فإن السورة مكية، وابن سلام إذ ذاك على دين قومه، وكيف يؤمر رسول الله أن يستشهد على منكري نبوته باتباعه".²

المسألة التاسع عشر (19):

هل المراد بالبُنية الصليبية في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [سورة هود الآية 46].

القول المعقب عليه:

قال الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية: "لم يكن ابنه ولكن خاتته أمه، وكان لغير رشدة".³

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزى كلام الزمخشري بقوله: "وهذا ضعيف لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله

من أن تزني نسائهم، ولقوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [سورة هود الآية 42].⁴

الدراسة:

حكى المفسرون في بيان معنى الآية ثلاثة أقول وإليك بيانها كالاتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أنه ليس في الآية ما ينفي البنية الصليبية بين نوح وولده، وتأول قوله سبحانه:

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنحائهم، وهذا الكلام يتضمن إثبات نسب البنية

الحقيقية بين نوح وولده، وهذا القول مروى عن ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وجماعة

من السلف، وصححه جماعة من المفسرين كالطبري، وابن كثير، والرازي، والثعالبي، والثعلبي*، وأبو حيان

والقرطبي، وأبي مظفر السمعاني، وابن الجوزي⁵، واستدل له بما يلي:

¹ فتح القدير، ج2، ص661.

² بدائع التفسير، ج2، ص43.

³ ابن جزى، التسهيل، ج1، ص398.

⁴ التسهيل، ج1، ص398.

* هو أحمد بن محمد بن إبراهيم، يكتفى بأبي إسحاق، تلمذ على يد ابن شهاب الزهري، وأخذ عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج، توفي سنة 427هـ، من أشهر تصانيفه: مختصر ابن هشام. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، ج1، ص79.

⁵ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص652. مفاتيح الغيب، ج17، ص240. الجواهر الحسان، ج3، ص287. أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج9، ص160. البحر المحيط، ص272. الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص135. تفسير القرآن، ج1، ص431. زاد المسير، ص656.

- 1- أن ظاهر سياق القرآن يقضي بذلك يقول الرازي: "أنه تعالى نص عليه فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، ونوح أيضا نص عليه فقال: ﴿يَبْنِي﴾" وصرف هذا اللفظ إلى أنه ربه، فأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف للكلام عن حقيقته إلى المجاز من غير ضرورة، وأنه لا يجوز، والذين خالفوا هذا الظاهر لأنهم استبعدوا أن يكون ولد الرسول المعصوم كافرا، وهذا بعيد، فإنه ثبت أن والد رسولنا ﷺ كان كافرا، ووالد إبراهيم كان كافرا بنص القرآن فكذلك هاهنا¹، وقال ابن الجوزي مؤكدا لما ذهب إليه الرازي بعد سوقه لأقوال العلماء: "والأول أصح لموافقة ظاهر القرآن".²
- 2- أنه أثر عن ابن عباس، وغير واحد من السلف أنهم قالوا: "ما زنت امرأة نبي قط" قال ابن كثير بعد أن أورد هذا الأثر: "وقول ابن عباس هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغير من أن يمكن امرأة نبي من الفاحشة".³
- 3- أن القول بإثبات البنوة الصلبية بين نوح وابنه فيه صيانة لمقام ومنصب النبوة، وهو اللائق، وعليه السواد الأعظم من السلف، وأئمة التفسير.

القول الثاني: وذهب الحسن، ومجاهد إلى القول بأنه ابن امرأته، واستدلا بقوله سبحانه: ﴿بَلَا تَسْأَلِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [سورة هود الآية 46]، قالوا: كان يظن أنه ابنه، ولم يكن ابنه⁴، ويؤيد هذا القول أيضا: قراءة عروة ابن الزبير فقد قرأ قوله عز وجل: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾⁵، وروي عن علي رضي الله عنه، أنه قرأ الآية، على وفق قراءة عروة⁶، لكن قد أجاب القرطبي عن هذه القراءة بقوله: "وفي تفسير القراءة المتقدمة عنه وعن علي، وهي حجة للحسن ومجاهد، إلا أنها قراءة شاذة فلا نترك المتفق عليه لها".⁷

القول الثالث: وقال الحسن ومجاهد لم يكن ابنه، وكان لغير رشدة، واختار هذا القول من المفسرين الزمخشري، واستدل له بما يلي:

- 1- ظاهر الآية وهي قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.
- 2- بقوله سبحانه: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَهُمَا﴾ [سورة التحريم الآية 10]، قال ابن جريج: "ناداه وهو يحسب أنه ابنه، وكان ولد على فراشه، وكانت امرأته خاتنته فيه".⁸

¹ مفاتيح الغيب، ج 17، ص 241.

² زاد المسير، ص 656.

³ تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 652.

⁴ ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج 1، ص 431.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 137.

⁶ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 17، ص 240.

⁷ الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 137.

⁸ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 135.

وهذا القول قد رده كثير من المفسرين¹ وانتقدوه من جهة النسبة والدليل وفي هذا الصدد يقول الألوسي: "نسبة هذا القول إلى الحسن ومجاهد كذب صريح. وقال إن الله قد طهر الأنبياء عليهم السلام عما دون ذلك من النقص بمراحل، فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بأصابع الطعن، وإنما المراد بالخيانة الخيانة في الدين".² وبعد نظر في هذه الأقوال يتبين أن القول الأول هو الذي تشهد له الأدلة وتؤيده سياق النصوص وتقضي به القاعدة الترجيحية الناطقة "بأن قول جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ"³، وأما قول الزمخشري الذي يفهم منه نفى النبوة الصلبية، فهو مروي عن مجاهد والحسن، ولم يثبت عنهما بل حكم الألوسي في نسبته إليهما بالكذب الصريح، بالإضافة إلى أنه يعارض السياق وفيه لمز لمنصب ومقام النبوة.

المسألة العشرون (20):

المراد بالضحك في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ [سورة هود الآية 70].

القول المعقب عليه:

"روي عن مجاهد وعكرمة أن المراد هو الحيض".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول مجاهد وعكرمة: "وهو ضعيف".⁵

الدراسة:

اختلف المفسرون في بيان المراد بالضحك في الآية على قولين وهما:

القول الأول: قال الجمهور إن معنى الضحك هاهنا يراد به الضحك المعروف⁶، ومال إلى هذا القول الإمام الرازي، وابن جزى، والعلامة الألوسي، والشوكاني، واستحسنه النحاس⁷.

¹ قال ابن كثير: "وقد نص غير واحد من الأئمة على تحطئة من ذهب في تفسير هذا إلى أنه ليس بابنه، وإنما كان ابن زينة". تفسير القرآن، ج2، ص652.

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص135.

³ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص288.

⁴ ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج1، ص443.

⁵ التسهيل، ج1، ص401.

⁶ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج12، ص15. الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص71. أبي حيان، البحر المحيط، ج12، ص308.

* هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، يكتب بأبو جعفر، أخذ عن المبرد والأخفش، توفي سنة 338هـ، من أشهر تصانيفه: إعراب القرآن، ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص362.

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص165.

القول الثاني: وقال بعضهم إن معنى ضحكت في الآية أي حاضت وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومجاهد، عكرمة¹ واستدل له بما يلي²:

أولاً: بقول الشاعر:

وإنني لآتي العرس عند ظهورها *** وأهجرها يوماً إذا تك ضاحكا

وبقول الآخر:

وضحك الأرناب فوق الصفا *** كمثل دم الجوف يوم اللقا

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن من فسّر الضحك بالحيض، مستند إلى ما أنشده بعض اللغويين من أشعار، قد استبعده³ واستنكره بعض فطاحلة أئمة اللغة كأبي عبيدة والفراء^{*}، بل جزم الفراء بأنه لم يسمعه من ثقة⁴، وبناء على ذلك يترجح لي وجاهة القول الأول لكونه موافق لسياق، وعليه الأكثر والله أعلم

المسألة الواحد والعشرون (21):

معنى الهم في قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ [سورة يوسف الآية 24].

القول المعقب عليه:

معنى هم بها في الآية: "أنه هم بها ليضربها ويدفعها عن نفسه"⁵ وهذا القول أورده القرطبي، وابن كثير⁶، وابن الجوزي ولم ينسبوه لقائل.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على هذا القول: "وهو بعيد، يردده قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَّبًّا بُرْهَنَ رَبِّيَّ﴾ [سورة يوسف الآية 24]، واختلاف سياق الكلام"⁷.

¹ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص657.

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص163.

³ قال أبو السعود: "وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة إذ سال سمغها وهو بعيد". إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، د. ط، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص225.

^{*} هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الدليمي، يكنى بأبي زكريا، أحد أئمة العربية، وإمام مدرسة الكوفي، أخذ عن الكسائي، توفي 207هـ، من أشهر تصانيفه: معاني القرآن، ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص333.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص164.

⁵ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص691.

⁶ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص312. تفسير القرآن العظيم، ج2، ص693.

⁷ التسهيل، ج1، ص413.

الدراسة:

أورد المفسرون في بيان معنى "الهم" أقوالاً:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الصواب في تأويل الآية أنها همت به من حيث مرادها، وهم بها كذلك، لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذكره من حل التكة، وغيره، بل كان همه خطرة خطرة على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، لكنه بادر إلى التوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاهها من قلبه لما رأى برهان ربه، وهذا القول روي عن الحسن، وسعيد بن جبير، والضحاك والسدي، وهو قول عامة المفسرين المتقدمين، واختاره من المتأخرين جماعة منهم ابن جرير، وابن الأنباري.¹

القول الثاني: قال بعض المفسرين إن معنى "هم" يوسف عليه السلام أي: هم ليضربها ويدفعها عن نفسه، وقد ذكر هذا القول الحافظ ابن كثير، والقرطبي وغيرهما، ولم ينسبها لقائل.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين، يتبين بعد القول الثاني، لأنه خلاف ظاهر السياق، كما قال ابن جزى، وأيده الشنقيطي في ذلك حيث قال: "وتأويل الهم بأنه هم بضربها، أو هم بدفعها عن نفسه، فكل ذلك غير ظاهر، بل بعيد من الظاهر، ولا دليل عليه"، وأما القول الأول فمع جلالة قدر القائلين به فقد رده الرازي وشنع على من قال به، وعذره في ذلك إعتقاده أنه لم يثبت عن السلف، وأحسن ما قيل في بيان معنى الهم ما اختاره أبو حيان حيث قال: "والذي اختاره أن يوسف عليه السلام، لم يقع منه هم بها ألبتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله" ومال إلى قول أبي حيان العلامة الشنقيطي لما فيه من صون لمنصب ومقام المقطوع لهم بالعصمة، والمشهود لهم بالوحي والرسالة.²

المسألة الثاني والعشرون (22):

معنى أكبره في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [سورة يوسف الآية 31].

القول المعقب عليه:

معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ في الآية هاهنا: "أي حزن من الدهش" وهذا القول مروى عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، والسدي.³

¹ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص 679.

² الشنقيطي، أضواء البيان، ط 3، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 1433هـ، ج 3، ص 70-73.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 333. ولم أفد على من نسب القول إلى هؤلاء غيره في كتب التفسير بالمأثور، كالطبري، وأبي حاتم، فلعله وهم غفر الله لنا وله.

التعقيب:

يقول الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد جدا".¹

الدراسة:

اختلف المفسرون في معنى أكبره في الآية على قولين وهما:

القول الأول: قيل إن معنى أكبره أي أعظمه، وهبته، وهذا القول مروى عن ابن عباس، والسدي، ومقاتل، وقتادة، ومجاهد، وزيد بن أسلم، واختاره الحافظ ابن كثير، وابن أبي زمنين، والبغوي، والشوكاني، وابن عاشور.²

القول الثاني: وقيل إن معنى أكبره حزن، وهذا القول نسبته القرطبي إلى مقاتل، والسدي، وقتادة، وهو مروى عن ابن عباس، وبه قال عبد الصمد بن علي الهاشمي، ويشهد له قول الشاعر:

يَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا *** يَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارًا³

وبعد تأمل ونظر يتبين أن البيت الذي استدلل به أصحاب القول الثاني أنكره أبو عبيدة والزجاج وقالوا: "ليس ذلك في كلام العرب"⁴، بل وصفه ابن عطية بأنه مختلق مصنوع حيث قال: "وهذا قول ضعيف - يعني الثاني، ومعناه منكور، والبيت مصنوع مختلق"، وبين الإمام الطبري أن البيت المروي في تفسير الإكبار بمعنى الحيز لا أصل له، لأنه ليس بالمعروف عند الرواة⁵، وعليه فنقول إن القول الأول هو الراجح (أن معنى "أكبره" أي أعظمه) نظرا لرواية السلف له، واختيار عامة المحققين له كالإمام ابن كثير، والبغوي، والشوكاني، وابن عاشور.

المسألة الثالث والعشرون (23):

تعيين القميص في قوله تعالى: ﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِهِ هَذَا بَالْفُؤَةِ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَاتِ بَصِيرًا وَاثْنِي بِأَهْلِكُمْ تَأْجَمِعِينَ﴾ [سورة يوسف الآية 93].

القول المتعقب عليه:

"روي أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرجه من النار، وكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، وكساه يعقوب يوسف" وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.⁶

¹ التسهيل، ج1، ص415.

² ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج11، ص587-589. تفسير القرآن العظيم، ج2، ص695. مختصر تفسير يحيى بن سلام، ج1، ص373. معالم التنزيل، ج2، ص458. فتح القدير، ج3، ص32. التحرير والتنوير، مج5، ص262.

³ ينظر: أبي حيان، البحر المحیط، ج12، ص464. أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن العظيم، ج9، ص417.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص332.

⁵ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج11، ص588.

⁶ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص72. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج11، ص761-762.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن ساقه: "وهذا يحتاج إلى سند يوثق به".¹

الدراسة:

ملخص ما ذكره المفسرون في بيان المراد بالقميص قولان وهما كالآتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن قميص يوسف في الآية هو بمنزلة قميص كل أحد، وهذا قول ابن عطية، والرازي، وأبو حيان، والآلوسي.²

القول الثاني: قيل إن القميص في الآية كساه الله لإبراهيم حين ألقى في النار، وكان من قصص الجنة وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومجاهد والضحاك، ورجحه الشوكاني وصححه القرطبي³، واستدل لهذا القول بما رواه الواحدي* بإسناده عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: أما قوله: ﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِهِ هَذَا بَلْفُؤُهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾، فإن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم في النار نزل عليه جبريل عليه السلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه، فكسا إبراهيم عليه السلام ذلك القميص إسحاق وكساه إسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقى في الحب القميص في عنقه فذلك قوله: ﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِهِ هَذَا﴾.⁴

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الراجح هو الأول، وأما القول الثاني فلم يثبت فيه خبر صحيح صريح، وأما حديث أنس رضي الله عنه ففي سنده "عباد ابن كثير" تكلم فيه البخاري فقال: "تركوه"، وقال النسائي متروك، فالإسناد ضعيف.⁵

المسألة الرابع والعشرون (24):

معنى وراءه في قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسَفَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم الآية 19].

¹ التسهيل، ج 1، ص 426.

² ينظر: المحرر، ج 5، ص 147. مفاتيح الغيب، ج 18، ص 192. البحر المحيط، ج 12، ص 557. روح المعاني، ج 12، ص 486.

³ فتح القدير، ج 3، ص 76. الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 447.

* هو أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، يكتفى بأبي الحسن، تلقى العلم على يد أبو إسحاق الثعلبي، وأخذ عنه عبد الغافر الفارسي، توفي سنة 468هـ، من أشهر تصانيفه: أسباب النزول، البسيط في التفسير. ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين، ج 1، ص 394.

⁴ الشوكاني، فتح القدير، ج 3، ص 76. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 447.

⁵ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 11، ص 761.

القول المعقب عليه:

معنى ورائه هاهنا أي أمامه وهذا القول مروى عن ابن عباس، وبه قال الطبري، وابن كثير، والبغوي، والزحشري، وأبي مظفر السمعاني، والنحاس، وأبي عبيدة، وأبي علي قطرب¹.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن ساقه: "والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل معناه هنا أمامه وهو بعيد"².

الدراسة:

اختلف في المراد "بالوراء" في الآية فذكر المفسرون فيه قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى الوراء في الآية ما يستقبل من الزمان، وهذا قول ابن عطية، وبه قال الثعالبي³.

القول الثاني: يرى أكثر المفسرين أن الوراء في الآية معناه أمامه وهو المروي عن ابن عباس، واستدل له بما يلي:

أولاً: أن لهذا القول نظائر في القرآن من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَمِيْنَةٍ غَضْبًا﴾ [سورة الكهف الآية 78]، وكان ابن عباس يقرؤها: "وكان أمامهم ملك"⁴.

ثانياً: قال الشاعر:

وَمِنْ وَرَائِكَ يَوْمٌ أَنْتَ بِالْغُهِ *** لَا حَاضِرٌ مُّعْجِزٌ عَنْهُ وَلَا بَادِي⁵

وقال الشاعر لبید⁶:

أَلَيْسَ وَرَائِي، إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي *** لُزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ⁷

* هو محمد ابن المستنير، يكنى بأبي علي، أحد تلامذه سيبويه، من تصانيفه: إعراب القرآن، ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1384هـ/1964م، ج1، ص242.

¹ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج3، ص377. تفسير القرآن العظيم، ج2، ص771. معالم التنزيل، ج2، ص551. البحر المحيط، ج13، ص147. تفسير القرآن، ج2، ص109. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص120.

² التسهيل: ج1، ص444.

³ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج12، ص204. الجواهر الحسان، ج3، ص377.

⁴ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص771.

⁵ الماوردي، النكت والعيون، ج3، ص127.

⁶ هو أبو عقيل لبید بن ربيعة بن مالك العامري، توفي سنة 41هـ. ينظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، متاح على الرابط: <https://ar.wikipedia.org/wiki/لُبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ> بتاريخ 2022/04/30، على الساعة: 13:45.

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص120.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الثاني أظهر لعدة قرائن وهي:

- 1- أن هذا القول ذهب إليه كثير من أئمة فن التفسير وأربابه كالطبري، وابن كثير، والزحاشري، وهو المروي عن ترجمان وحبر القرآن ابن عباس رضي الله عنه.
 - 2- أن هذا القول يشهد لصحة كلام أهل اللسان وقد تقدم ذكر بعض من أشعارهم في هذا الصدد.
 - 3- أن هذا القول تشهد لصحته نظائر القرآن، كآية الكهف، وقراءة ابن عباس.
- وأما القول الأول، وهو الذي ذهب إليه ابن جزى مقلد لإمام ابن عطية، من أن الوراثة يعني به ما يستقبل من الزمان فهذا تفسير مجازي، والأصل في الكلام حمله على الحقيقة والظاهر.¹

المسألة الخامسة والعشرون (25):

معنى التبديل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [سورة إبراهيم الآية 50].

القول المعقب عليه:

معنى التبديل هاهنا: "تبدل أرض من فضة، وسما من ذهب" وهذا القول مروي عن علي ابن أبي طالب، وابن مسعود رضي الله عنهما.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن أورده "وهذا ضعيف".³

الدراسة:

ذكر المفسرون في معنى التبديل عند بيانهم للآية قولان وهما:

القول الأول: قيل إن التبديل يتعلق بالصفة فتغير الأرض، والسموات من هيئة إلى هيئة وهذا القول مروي عن ابن عباس، وهو قول الأكثر بل هو المعروف كما نقل الشوكاني، والإمام أبي مظفر السمعاني، ووبه قال ابن جزى، واختاره بعض المعاصرين، كابن السعدي، والشيخ أحمد شاكر⁴ واستدل له بما يلي:

أولاً: أن العرب قد تعني بالتبديل تغير الهيئة من ذلك ما أنشده ابن عباس رضي الله عنه:

فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ *** وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ⁵

¹ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج13، ص248.

² البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص570. أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص125.

³ التسهيل، ج1، ص448.

⁴ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج7، ص129. فتح القدير، ج3، ص161. تفسير القرآن، ج2، ص125. تيسير الرحمن، ص446.

⁵ الدر المصون، ج7، ص129.

ثانياً: أن العرب قد تطلق التبديل على ما تغير شكله نحو قولك "بدلت الحلقة خاتماً"، ومنه قوله تعالى:

﴿بِأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [سورة الفرقان الآية 70].¹

ثالثاً: ما ثبت عن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ»²، وروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، فَيَبْسُطُهَا وَيَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا، ثُمَّ يَرْجُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ رَجْرَةً، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمُبْدَلَةِ»³.

القول الثاني: وقيل إن التبديل في الآية يتعلق بالذات واختلّفوا في معنى التبديل بناء على هذا فقيل: تبدل الأرض من فضة، والسماء من ذهب، وقيل غير ذلك⁴ وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود رضي الله عنهما واستدل له بأنه قد يكون التبديل في الذات كما في قول بعضهم: بدلت الدراهم بالدنانير، ومنه قوله عز وجل: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [سورة النساء الآية 55].⁵

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن كلا القولين يحتملهما اللفظ، فقد يتعلق التبديل بالذات، كما قد يتعلق بالصفة، وهذا وجه يجمع القولين وقد ذهب إليه وصوبه بعض جهابذة علم التفسير كالإمام الطبري، والبيضاوي، وأبي السعود.⁶

المسألة السادسة والعشرون (26):

معنى مسنون في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر الآية 26].

القول المعقب عليه:

"المسنون هاهنا معناه: من أسن الماء إذا تغير"، وهذا القول أورده السمين الحلبي، ونسبه القرطبي لمجاهد وقتادة.⁷

¹ ينظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص60.

² صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، رقم6521.

³ رواه ابن كثير في تفسيره، وقال: "هذا حديث مشهور وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة". ينظر: تفسير القرآن، ج2، ص219.

⁴ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص752.

⁵ ينظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص60.

⁶ ينظر: أنوار التنزيل، ج3، ص203. إرشاد العقل السليم، ج5، ص60.

⁷ الدر المصون، ج7، ص157. الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص204.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على هذا القول: "والتصريف يرد هذا القول".¹

الدراسة:

ذكر المفسرون في بيان معنى المسنون عدة أقوال² وهي:

القول الأول: قيل إن معنى المسنون هو المتغير المنتن، وهذا القول رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومعمّر، والسدي، والضحاك، ومقاتل³، وقالوا إن المسنون من تسنى الشيء: إذا أنتن ومنه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [سورة البقرة الآية 258].⁴

القول الثاني: قيل إن معنى المسنون هو المصبوب، ومن ذلك قول العرب: سننت الماء أي صببته وهذا قول أبو عبيدة، وأبو عمرو بن العلاء.⁵

القول الثالث: قيل إن معنى المسنون هو المصور، وهو مأخوذ من سنة الوجه وهي صورته، ومن ذلك قول ذي الرملة:

تريك سُنَّةَ وجهٍ غيرَ مقرفَةٍ *** ملَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ⁶

ويشهد لهذا الرأي ما ذكر أن نافع ابن الأزرق سأل ابن عباس فقال له عن قول الله تعالى: ﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [سورة الحجر الآية 26]، قال الحمأ: السوداء، وهي الثأط أيضا، والمسنون المصور. قال: وهل تعرف العرب ذلك، قال: نعم، أما سمعت قول حمزة بن عبد المطلب وهو يمدح رسول الله ﷺ ويقول:

أغرّك كأن البدر مسنة وجهه *** جلا الغيم عنه ضوءه فتبددا⁷

وهذا القول مروى عن ابن عباس، وبه قال سبويه.⁸

القول الرابع: قيل إن معنى المسنون هو المنصوب القائم، ومن ذلك قول بعضهم، وجه مسنون إذا كان فيه طول وهذا القول محكي عن الأخفش.⁹

القول الخامس: قيل إن معنى المسنون هو المحكوك، وأصله من قولهم سننت الحجر على الحجر: إذا حككته به وهذا القول محكي عن الفراء.¹⁰

القول السادس: قيل إن المسنون معناه الطين الرطب وهذا القول رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.¹¹

¹ التسهيل، ج1، ص452.

² عدد منها الإمام الماوردي في تفسيره سبعة أقوال. ينظر: النكت والعيون، ج3، ص158.

³ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص760. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج12، ص357-358. الجواهر الحسان، ج3، ص399.

⁴ ابن الجوزي، زاد المسير، ص760.

⁵ ينظر: البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص584. زاد المسير، ص760.

⁶ الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص178.

⁷ السيوطي، الإتقان، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1، الرسالة، سوريا، 1432هـ، ص263، ومساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج12، ص357.

⁸ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص206.

⁹ المرجع نفسه، ج12، ص206.

¹⁰ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص760. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص205.

¹¹ ينظر: المرجع نفسه، ص760.

القول السابع: قيل إن معنى المسنون هو من أسن الماء إذا تغير وهذا القول أورده السمين الحلبي في تفسيره ولم يعزه لقائل، ونسبه القرطبي لمجاهد، وقتادة.¹

وبعد تأمل ونظر يتبين أن المفسرون اختلفوا في بيان معنى المسنون على أقوال، والظاهر أن الإمام ابن جزري يميل إلى القول الأول، وهو أن معنى المسنون المتغير المنتن وهو قول أكثر مفسري السلف، وأما ما ذهب إليه مجاهد وقتادة أن المسنون هو من أسن الماء فهذا القول قد انتقده ابن عطية، وتبعه ابن جزري، ووافقهم السمين الحلبي فخطأه وفي هذا الصدد يقول: "وقيل هو من أسن الماء إذا تغير، وهو غلط لاختلاف المادتين".²

المسألة السابع والعشرون (27):

المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [سورة الإسراء الآية 11].

القول المعقب عليه:

المراد بالإنسان في الآية هاهنا هو آدم وهذا القول مروى عن مقاتل، وقتادة وغيرهما.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا عليه: "وهو بعيد".⁴

الدراسة:

حكى المفسرون في المراد بالإنسان في الآية قولان وإليك بيانهما كما يلي:

القول الأول: يرى جماعة من المفسرين أن المراد بالإنسان في الآية الجنس وهذا القول مروى عن مجاهد واختاره أبو حيان، وابن جزري، والزجاج وجلال الدين المحلي والآلوسي، والشوكاني وابن عاشور.⁵

القول الثاني: قيل إن المراد بالإنسان في الآية هو آدم عليه الصلاة والسلام وهذا القول محكي عن مقاتل بن سليمان، وقتادة، وذكره ابن الأنباري.⁶

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول وهو أن الإنسان في الآية يراد به الجنس أولى لإختيار الأكثر له ومناسبة للسياق ولذلك قال الشوكاني رحمه الله مرجحا لهذا القول: "والمناسب للسياق هو الأول".⁷

¹ ينظر: الدر المصون، ج7، ص157.

² الدر المصون، ج7، ص157.

³ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج13، ص70. أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج2، ص223.

⁴ التسهيل، ج1، ص483.

⁵ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج3، ص456. البحر المحيط، ج14، ص28. ابن الجوزي، زاد التفسير، ص704. تفسير الجلالين، ط1، مكتبة الصفا، القاهرة، 1425هـ، ص284. روح المعاني، ج14، ص408. فتح القدير، ج3، ص292. التحرير والتنوير، مج6، ص42.

⁶ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج13، ص70. ابن الجوزي، زاد المسير، ص804.

⁷ فتح القدير، ج3، ص292.

المسألة الثامن والعشرون (28):

معنى "مسحور" في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [سورة الإسراء الآية 47].

القول المعقب عليه:

قال أبو عبيدة مسحورا معناه: "أن له سحرا، أي رئة، فهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم وليس بملك".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على ما ذهب إليه أبو عبيدة بعد أن ساقه: "وقيل هو من السحر بفتح السين وهي الرئة: أي أبشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد".²

الدراسة:

اختلف المفسرون في بيان معنى مسحورا في الآية على أقوال وهي:

القول الأول: قيل إن معنى مسحورا هو الذي سحر فذهب بعقله وهذا القول مروى عن ابن عباس.³

القول الثاني: وقال مجاهد مفسرا لمعنى مسحورا أي مخدوعا مغرورا⁴ ويؤيد هذا القول ما يلي:

أولا: نظائر القرآن كقوله تعالى: ﴿بِأَنبِئِ تَسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون الآية 90]، أي من أين تخدعون.⁵

ثانيا: بقول امرؤ القيس:

أَرَانَا مَوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ *** وَنُسْحَرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ⁶

القول الثالث: قال أبو عبيدة مبينا لمعنى مسحورا أي أن له سحرا، أي رئة، فهو لا يستغني عن الطعام والشراب،

فهو مثلكم وليس بملك، ويؤيد هذا ما يلي:

أولا: بقول العرب للجبان: قد انتفخ سحره.

ثانيا: بقول لبيد:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا كَيْفَ نَحْنُ فَإِنَّنَا *** عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ⁷

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص96.

² التسهيل، ج1، ص489.

³ ابن الجوزي، زاد المسير، ص815.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص97.

⁵ المرجع نفسه، ج13، ص97.

⁶ المرجع نفسه.

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص97.

وبعد تأمل ونظر يتبين أنه قد اختلف العلماء في بيان معنى مسحورا، فاختار الإمام أبو حيان القول الأول، ورجح ابن قتيبة* القول الثاني وانتقد القول الأخير فقال: "لا أدري ما الذي حمل أبا عبيدة على هذا التفسير المستكره، مع أن السلف فسروه بالوجوه الواضحة".¹

المسألة التاسع والعشرون (29):

ما اسم الغلامين وأبيهما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [سورة الكهف الآية 81].

القول المعقب عليه:

قال مقاتل بن سليمان: اسم الأب كاشح، واسم أحد الغلامين أضرم والآخر صريم.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا: "وهذا يحتاج إلى صحة نقل".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزري أن اسم الغلامين وأبيهما في قوله: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾، من جملة الأسماء المبهمة التي وردت في القرآن، ولم ينقل سند صحيح عن المعصوم عليه السلام يتضمن التصريح بذكر أسمائهم. **القول الثاني:** ما ورد عن مقاتل من أن اسم الأب كاشح، واسم أحد الغلامين أضرم والآخر صريم، فهذا القول حكاة جمع من أئمة التفسير كالزحاشي، والقرطبي، والبيضاوي، والخازن، وأبي السعود⁴، بصيغة التمریض مجردا عن الإسناد، ولا يعزى لقائل، وقد تعقبه الإمام ابن جزري بأنه يحتاج إلى صحة نقل.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن ما ذهب إليه الإمام ابن جزري من إبقاء الأسماء مبهمة من غير تكلف في معرفتها بعينها هو الأرجح، لأن لم يثبت خبر عن النبي صلى عليه وسلم يصرح بأسمائهم، ومن المقرر في القواعد "أنه إذ ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"⁵، بالإضافة أن من صرح بأسمائهم من المفسرين قد ساق ذلك دون أسانيد وبصيغة التمریض، ولم يعزوه لقائل، ولعل هذا الصنيع يفهم منه أنهم

* هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، يكتفى بأبي محمد الكاتب، تتلمذ على يد إسحاق بن راهويه وغيره، وأخذ عنه ابنه القاضي أبو جعفر أحمد بن قتيبة، توفي سنة 276هـ، من أشهر تصانيفه: غريب القرآن، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج13، ص296.

¹ البحر المحیط، ج14، ص94.

² ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج13، ص641.

³ التسهيل، ج1، ص517.

⁴ ينظر: الكشف، ص629. الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص354. أنوار التنزيل، ج3، ص191. لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1425هـ، ج3، ص174. إرشاد العقل السليم، ج5، ص238.

⁵ حسين الحربي، قواعد الترجيح، ص191.

لم يروى عندهم بسند وإلا لما تأخروا في ذكره، خاصة وأن عادت بعضهم يسوق الخبر ولو بإسناد واهي وهذا من باب من أسندك فقد أحالك، فلا ينبغي أن يقدح في مصنفاتهم من هذا الجانب والله أعلم.

المسألة الثلاثون (30):

ما المراد بموسى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبْتِيهِ﴾ [سورة الكهف الآية 59].

القول المعقب عليه:

قالت فرقة منهم نوفل البكالي¹: "إنه ليس ابن عمران، وإنما هو موسى بن منشأ بن يوسف بن يعقوب، وكان نبيا قبل موسى بن عمران".²

التعقيب:

قال ابن جزى معقباً على هذا القول: "وقال قوم هو موسى آخر، وذلك باطل رده ابن عباس وغيره، ويدل الحديث على بطلانه".³

الدراسة:

ذكر المفسرون في المراد بموسى في الآية قولان:

القول الأول: يرى ابن جزى أن موسى في الآية يعنى به موسى بن عمران، وهذا قول جمهور العلماء، ورجحه ابن عطية، وأبو حيان، وصححه الألوسي⁴ ويؤيده ما يلي:

أولاً: ما رواه الشيخان والترمذي والنسائي من طريق سعيد ابن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: إن نوفل البكالي ابن فضالة يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل. فقال كذب عدو الله، ثم ذكر حديث طويلاً فيه الإخبار عن رسول الله بما هو نص في أنه موسى بني إسرائيل.⁵

ثانياً: نقل الإمام الشوكاني اتفاق العلماء على أن موسى المذكور في الآية هو موسى بني إسرائيل وفي هذا الصدد يقول: "وقد اتفق أهل العلم على أن موسى المذكور هو موسى ابن عمران النبي المرسل إلى فرعون".⁶

¹ قال النووي: "البكالي ضبطه الجمهور بكسر الباء الموحدة، وتخفيف الكاف، ورواه بعضهم بفتحها وتشديد الكاف، وصوب القاضي القول الأول. ينظر: روح المعاني، ج15، ص413.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص315.

³ التسهيل، ج1، ص513.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص315. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج13، ص574. البحر المحيط، ج14، ص317. روح المعاني، ج15، ص412.

⁵ الألوسي، روح المعاني، ج15، ص413.

⁶ فتح القدير، ج3، ص410.

القول الثاني: يرى فرقة منهم نوفل البكالي أن موسى المذكور في الآية ليس ابن عمران، وإنما هو موسى بن ميثي بن يوسف بن يعقوب، وكان نبيا قبل موسى ابن عمران.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أصح القولين الأول وهو أن موسى المذكور في الآية هو موسى بن إسرائيل المرسل إلى فرعون وهو الذي تقضي به القاعدة المقررة عند العلماء: أنه إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره¹، وتشهد لوجهة هذا القول أيضا كلام المحققين وإليك نصه كالاتي:

قال الإمام ابن عطية: "وموسى هو موسى بن عمران، بمقتضى الأحاديث، والتواريخ، وبظاهر القرآن إذ ليس في القرآن موسى غير واحد، وهو ابن عمران، ولو كان في هذه الآية غيره لبينه"².

وقال أبو حيان: "موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران عليه السلام، ولم يذكر الله في كتابه موسى غيره، ومن ذهب إلى أن غيره موسى بن ميثا بن يوسف، أو موسى بن إفرائيم بن يوسف، فقول لا يصح، بل الثابت في الحديث الصحيح، وفي التواريخ أنه موسى بن عمران نبي بني إسرائيل"³.

قال الرازي: "أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران، صاحب المعجزات الظاهرة، وصاحب التوراة"⁴.

المسألة الواحد والثلاثون (31):

معنى تقيّا في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [سورة مريم الآية 17].

القول المعقب عليه:

التقي في الآية: "هو اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت" وهذا القول محكي عن ابن عباس، ووهب ابن منبه⁵.

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن جزي معقبا: "وهذا ضعيف وبعيد"⁶.

الدراسة:

اختلف المفسرون في بيان معنى التقي فذكروا قولان:

¹ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص 191.

² المحرر الوجيز، ج 5، ص 628.

³ البحر المحيط، ج 14، ص 317.

⁴ مفاتيح الغيب، ج 21، ص 143.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، ص 429. ابن الجوزي، زاد المسير، ص 880. الماوردي، النكت والعيون، ج 3، ص 363.

⁶ التسهيل، ج 2، ص 6.

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى التقي في قوله: ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ أي يتقي الله ويخافه وهذا قول ابن عطية، والثعالبي، والبغوي، والبيضاوي، وأبي السعود، والحاازن، ورجحه الإمام الرازي والعلامة الشوكاني وصححه ابن عادل¹، واختاره الشوكاني، وتشهد لوجهه قراءة علي وابن مسعود وأبو رجاء رضي الله عنهم: "إلا أن تكون تقيا".²

القول الثاني: ما روي عن ابن عباس ووهب ابن منبه أن التقي في الآية هو اسم رجل فاجر معروف بالشر في ذلك الوقت وهذا القول ضعفه الإمام ابن جزى، وانتقده أيضا جماعة من المفسرين وإليك أقوالهم كما يلي:

قال القرطبي: "وهو ضعيف ذاهب مع التخرص".³

وقال الإمام ابن عطية: "وقال وهب ابن منبه: تقي رجل فاجر كان في ذلك الزمان في قومها فلما رآته مستورا عليها ظنته إياه فستعازت بالرحمان منه حكى هذا مكّي* وغيره وهو ضعيف ذاهب مع التخرص".⁴

وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه: "وما يقول بعض الجهال فهو نوع من الهذيان وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله إلا جاهل".⁵

وقال العلامة الآلوسي: "وأنا كان فالتقي وصف من التقوى، وقول من قال إنه اسم رجل صالح أو طالح ليس بسديد".⁶

وبهذا يتبين أن أصوب القولين الأول وإليه ذهب كثير من المفسرين، ويؤيده السياق وتشهد له قراءة عبد الله بن عباس وابن مسعود، وأما القول الثاني فلا يشك أحد في بعده لأنه قد رده كثير من المحققين ووصفوا قائله بالجهل والتخرص وعدم السداد في الرأي كما تقدم قريبا نص كلامهم والله أعلم.

المسألة الثاني والثلاثون (32):

بيان معنى ومكان المعيشة الضنكة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [سورة طه الآية 122].

¹ ينظر: المحرر، ج4، ص09. الجواهر الحسان، ج4، ص11. معالم التنزيل، ج5، ص233. أنوار التنزيل، ج4، ص8. إرشاد العقل السليم، ج5، ص261. لباب التأويل، ج3، ص184. مفاتيح الغيب، ج21، ص198. فتح القدير، ج3، ص328. الباب في علوم الكتاب، تح: أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، 1419هـ، ج13، ص34.

² ينظر: فتح القدير، ج3، ص452. ابن الجوزي، زاد المسير، ص880.

³ الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص429.

* هو مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار، يكتب بأبي محمد القيسي، أخذ عن الطيّب بن غلبون، وأخذ عنه عبد الملك بن سراج، توفي سنة 437هـ، من أشهر تصانيفه: الهداية في التفسير، ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص298.

⁴ المحرر، ج4، ص11.

⁵ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج14، ص59.

⁶ روح المعاني، ج16، ص77.

القول المعقب عليه:

قيل إن معنى المعيشة الضنكة أي الطعام الضريع، والزقوم في جهنم وهذا القول مروي عن الحسن، وقتادة، وابن زيد، والكلبي.¹

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزى هذا بقوله: "وقيل في جهنم يأكل الزقوم، وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة".²

الدراسة:

أورد المفسرون في بيان المعيشة الضنكة أربع تأويلات:

أحدها: العمل السيء والكسب الخبيث وهذا القول مروي عن الضحاك، وعكرمة، ومالك بن دينار.³

ثانيا: أنه عني بها عذاب القبر وهذا القول مروي عن أبي سعيد الخدري، وابن مسعود ويستدل لهذا بما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «﴿إِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ قال: عذاب القبر».⁴

ثالثا: أن يكون عيشه منغصا بأن ينفق من لا يوقن بالخلف وهذا القول مروي عن ابن عباس.⁵

رابعا: أنه الطعام الضريع والزقوم في جهنم وهذا القول مروي عن الحسن وقتادة، وابن زيد، والكلبي.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن جميع هذه التأويلات التي أوردتها المفسرون يحتملها لفظ الآية، ولا مانع من حمل معناها على كل ما قيل وذكر، وإلى هذا جنح الثعالبي حيث قال: "فإن صح هذا الحديث⁶ فلا نظر لأحد معه، وإن لم يصح، فالصواب حمل الآية على عمومها".⁷

المسألة الثالث والثلاثون (33):

معنى اللهو في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾ [سورة الأنبياء الآية 17].

¹ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج3، ص431. الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص131.

² التسهيل، ج2، ص28.

³ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج3، ص246.

⁴ رواه ابن كثير في تفسيره، وقال: إسناده جيد. ينظر: تفسير القرآن، ج3، ص247.

⁵ الماوردي، النكت والعيون، ج3، ص431.

⁶ ويقصد الثعالبي حديث أبي هريرة الذي رواه عن النبي حين سأل أصحابه أتدرون ما المعيشة الضنكة قال ابن كثير: ورفع منكرها جدا. ينظر: تفسيره، ج3، ص247.

⁷ الجواهر الحسان، ج3، ص72.

القول المعقب عليه:

نقل المفسرون في بيان اللهو هاهنا معنيان:

أحدهما: المرأة بلغة اليمن وهذا القول مروى عن قتادة والحسن.¹

والثاني: أنه يعنى به عن الولد وهذا القول مروى عن ابن عباس، وعكرمة، والسدي، والزجاج² واختار كلا هذين القولين الإمام النسفي.³

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذين القولين: "وفي كلا القولين نظر".⁴

الدراسة:

ذكر المفسرون في بيان معنى أقوالا وهي كالآتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى اللهو في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ حيث قال: "والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب"⁵، وهذا القول مروى عن ابن عباس.⁶

القول الثاني: ونقل أئمة التفسير في بيان اللهو هنا معنيان:

أحدهما: أن اللهو هو المرأة وهذا القول مروى عن، ابن عباس، قتادة والحسن، واختاره البغوي، وابن عطية، وأبو مظفر السمعاني واحتجوا تأييد لما ذهبوا إليه بقول الشاعر:

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي *** كَبُرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُ أَمْثَالِي⁷

والآخر: أن اللهو هو الولد وهذا القول مروى، عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة والسدي، ومال إليه الزجاج.⁸

وبعد تأمل في كل ما قيل يتبين أن العلماء اختلفوا في معنى اللهو المراد في الآية، فمن فسره بالولد، استندا إلى دلالة السياق، فالكلام سياقه في معرض الرد عن النصارى الذين نسبوا الولد إلى الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا، ومن فسّر اللهو بالمرأة قالوا لأنها محل الوطء، وقد يطلق اللهو ويراد به الوطء، وهذا القول من قوَي من الجهة اللغوية و لذلك اختاره بعض المحققين، وإن كان في كل ما قيل في بيان معنى اللهو وجاهة، من جهة السياق وتفسير السلف له،

¹ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص184. ابن كثير، تفسير القرآن، ج3، ص256.

² ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج15، ص192.

³ ينظر: مدارك التنزيل، ج2، ص703.

⁴ التسهيل، ج2، ص33.

⁵ المصدر نفسه، ص33.

⁶ ينظر: أبو حيان، البحر، ج15، ص192.

⁷ ينظر: تفسير، القرآن، ج2، ص372. البغوي، ج3، ص154. المحرر الوجيز، ج4، ص77.

⁸ ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن، ج3، ص256. البحر المحيط، ج15، ص192.

إلا أنه كذلك فيه حصر وتضييق لمعناه من جهة أخرى، ولذلك فأولى أن تحمل تفسيرات السلف أنها من باب التمثيل والتقريب للمراد، ولهذا قال البيضاوي، وأبي السعود، والشوكاني اللّهُ: "كل ما يتلّهُ به ويلعب".¹

المسألة الرابع والثلاثون (34):

صفة الفلك في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة الأنبياء الآية 33].

القول المعقب عليه:

صفة الفلك هاهنا: "موج مكفوف ومجرى الشمس والقمر فيه" وهذا القول ذكره البغوي والقرطبي، وغيرهما ولم ينسباه لقائل.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين، إنه من موج وذلك بعيد".³

الدراسة:

أورد المفسرون في صفة الفلك المذكور في الآية قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن صفة الفلك في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، جسم مستدير، وهذا قول أكثر العلماء، واختاره الإمام أبو حيان، والرازي.⁴

القول الثاني: يرى بعض المفسرين أن الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر، وهذا القول أورده بعض المفسرين ولم ينسبوه لقائل وجوزه الإمام الطبري وفي هذا الصدد يقول: "وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد: كحديد الرّحى، وكما ذكر عن الحسن: كطاحونة الرّحى، وجائز أن يكون موجا مكفوفاً، وأن يكون قطب السماء".⁵

وبعد تأمل ونظر يتبين أنه قد تعددت أقوال السلف في بيان صفة الفلك، وجوز شيخ المفسرين كل ما ذكره، غير أن المحققين وأكثر العلماء اختاروا ما ذهب إليه ابن جزى من أن صفة الفلك جسم مستدير

¹ ينظر: أنوار التنزيل، ج4، ص47. إرشاد العقل السليم، ج6، ص59. فتح القدير، ج3، ص549.

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص201. معالم التنزيل، ج3، ص158.

³ التسهيل، ج2، ص36.

⁴ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص167. البحر المحيط، ج15، ص213.

⁵ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج14، ص525.

وهو الأقرب إلى ظاهر القرآن¹، ويؤيد هذا قول الإمام ابن عطية بعد أن حكى أقوال العلماء في صفة الفلك قال: "غير أنا نعرف أن الفلك جسم مستدير"².

المسألة الخامسة والثلاثون (35):

المراد بالسجل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [سورة الأنبياء الآية 103].

القول المعقب عليه:

المراد بالسجل في الآية اسم رجل كاتب للنبي ﷺ وهذا القول مروى عن ابن عباس، وابن إسحاق³. وقيل إن المراد بالسجل هاهنا ملك من الملائكة ترفع إليه الأعمال وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب، وابن عمر، والسدي⁴.

التعقيب:

أورد الإمام ابن جزى هذين القولين عند بيانه لمعنى السجل ثم قال معقبا: "السجل: الصحيفة، وقيل السجل رجل كاتب وهذا ضعيف، وقيل هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال وهذا أيضا ضعيف"⁵.

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالسجل في الآية وملخص كلامهم كما يلي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالسجل في الآية هو الصحيفة وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وبه قال الفراء وابن قتيبة، واختاره الإمام ابن جرير، وصححه أبي مظفر السمعاني⁶.

القول الثاني: هو ما روي عن ابن عباس، أن السجل اسم كاتب للنبي، وقيل ملك ترفع عليه الأعمال وهذا مروى عن علي وابن عمر والسدي.

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص167.

² مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج14، ص525.

³ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص944. أبو مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج2، ص412.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن، ج3، ص293.

⁵ التسهيل، ج2، ص46.

⁶ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص296. ابن الجوزي، زاد المسير، ص944. الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص590. تفسير القرآن، ج2، ص412.

وبعد تأمل يتبين أن أرحح القولين هو الأول نظرا لعدة قرائن أوردها على النحو الآتي:

- 1- أن هذا القول هو الصحيح عن ابن عباس لذلك قال الشوكاني: "والصحيح عن ابن عباس أن السجل هو الصحيفة".¹
- 2- أن مروي عن ابن عباس في بيان أن المراد بالسجل اسم كاتب للنبي قد استنكرها الإمام ابن كثير عقب سوقه لها فقد قال: "وهذا منكر جدا، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه".²
- 3- أن تفسير السجل بالصحيفة تشهد له اللغة والأولى التعويل على المعنى اللغوي والمصير إليه.³

المسألة السادسة والثلاثون (36):

هل لفظ الكوكب ينصرف لمعين في قوله تعالى: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [سورة النور الآية 35].

القول المعقب عليه:

قال الضحاك: "الكوكب الدرّي الزهرة".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزّي معقبا على قول الضحاك: "وقيل أراد الزهرة ولا دليل على هذا التخصيص".⁵

الدراسة:

حكى المفسرون في المراد بالكوكب الدرّي قولان:

أحدهما: أنه الزهرة خاصة وهذا القول مروي عن الضحاك.

والثاني: أنه أحد الكواكب المضيئة من غير تعيين وهذا قول الأكثرين ورجحه ابن جزّي.⁶

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الثاني وهو أن المراد بالكوكب في الآية أحد الكواكب المضيئة من غير تعيين

أولى لعدة أمور وهي:

- 1- أن هذا القول ذهب إليه أكثر المفسرين كما نص على ذلك الماوردي.
- 2- أن العرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري⁷، وعليه يكون في تعيين اسم الكوكب مخالفة للإطلاق العربي الفصيح.

¹ فتح القدير، ج3، ص590.

² تفسير القرآن العظيم، ج3، ص293.

³ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص590.

⁴ الماوردي، النكت والعيون، ج4، ص103.

⁵ التسهيل، ج2، ص94.

⁶ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج4، ص103.

⁷ ابن كثير، تفسير القرآن، ج3، ص427.

3- أن تخصيص اسم الكوكب بالزهرة أو غيرها يفتقد إلى دليل صحيح صريح، وما نقل عن الضحاك في تخصيص الكوكب بالزهرة فقد روي مسندا إليه إلا أن في إسناده ضعف.¹

المسألة السابع والثلاثون (37):

المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَبَاتِحَهُ﴾ [سورة النور الآية 59].

القول المعقب عليه:

يعني ما اخترتكم وصار في قبضتكم، وعظم ذلك ما ملكه الرجل في بيته، وتحت غلقه وهذا تأويل الضحاك وقتادة، ومجاهد.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا ضعيف".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بقوله تعالى: "﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَبَاتِحَهُ﴾" يعني الوكلاء والأجراء والعبيد الذين يمسكون مفاتيح مخازن أموال ساداتهم فأباح لهم الأكل منها" وهذا قول ابن عباس.⁴

القول الثاني: وهو ما حكي عن الضحاك وقتادة، ومجاهد أن المراد بالآية ما ملك الإنسان من مفاتيح نفسه. وبعد تأمل في كلا القولين يتبين أن كلا التأويلين تحتملها الآية ولا مانع من حملها عليهما.

المسألة الثامن والثلاثون (38):

المراد بالعيون في قوله تعالى: ﴿بَاخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّتٍ وَعَيْوٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [سورة الشعراء الآية 57-58].

القول المتعقب عليه:

قال ابن جبير: "المراد عيون الذهب".⁵

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "والعيون الخلعان الخارجة من النيل، وكانت ثم عيون في ذلك الزمان، وقيل يعني الذهب والفضة وذلك بعيد".⁶

¹ ينظر: عبد الرحمن بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج10، ص217.

² القرطبي، الجامع لأحكام، ج15، ص348.

³ التسهيل، ج2، ص100.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص348.

⁵ أبو حيان البحر المحيط، ج16، ص293.

⁶ التسهيل، ج2، ص118.

الدراسة:

ذكر المفسرون في معنى "العيون" قولان وهما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالعيون في الآية الخلجان الخارجة من النيل التي كانت في ذلك الزمان، وهذا قول مروي عن مقاتل وإليه ذهب الجمهور.¹

القول الثاني: يرى ابن جبير أن المراد بالعيون في الآية عيون الذهب

وبعد تأمل ونظر يتبين أن المراد بالعيون في الآية عيون الماء كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء، وأما قول ابن جبير فما أظن أن تصح نسبته إليه لأي تأملت بعض الكتب التي تعنى بالمأثور من تفاسير السلف كجامع البيان، وتفسير ابن أبي حاتم وغيرهما، فلم أقف على من ساقه ولو بسند ضعيف أو موضوع، بل تفرد بذكره الإمام أبو حيان رحمه الله فقط.

المسألة التاسع والثلاثون (39):

معنى فارغا في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ بُرْعًا﴾ [سورة القصص الآية 09].

القول المعقب عليه:

قال أبو عبيدة والأخفش مبينا لمعنى فارغا: "فارغا من الغم والحزن، لعلمها أنه لم يغرق".²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول أبو عبيدة: "وقيل فارغا من الحزن إذ لم يغرق وهذا بعيد لما بعده".³

الدراسة:

للعلماء في بيان معنى فارغا في الآية عدة أقوال وهي:

القول الأول: فارغاً: أي خالياً من كل شيء إلا من ذكر موسى وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن مسعود، وقتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك، وسعيد ابن جبير والحسن البصري، ورجحه الطبري، والشوكاني، وابن كثير.⁴

القول الثاني: فارغاً: أي ناسيا ذاهلاً وهذا قول الكسائي واختاره ابن جزى.⁵

القول الثالث: فارغاً: أي أصبح فؤادها فزعاً وهذا القول رواه الضحاك عن ابن عباس.⁶

¹ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج16، ص277. البحر المحيط، ج16، ص293.

² ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص1058. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص237.

³ التسهيل، ج2، ص140.

⁴ ينظر: الجامع لبيان القرآن، ج18، ص170. فتح القدير، ج4، ص212. تفسير القرآن العظيم، ج3، ص561.

⁵ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص237. التسهيل، ج2، ص140.

⁶ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص1058.

القول الرابع: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق وهذا قول الأخفش وأبو عبيدة¹ وانتقده كثير من العلماء وإليك أقوالهم كالآتي:

قال ابن قتيبة: "وهذا من أعجب التفسير، كيف يكون كذلك والله يقول: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾

[سورة القصص الآية 09]، وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون".

وقال الإمام الطبري: "وقال بعض أهل المعرفة بكلام العرب معنى ذلك: وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً من الحزن، لعلمها بأنه لم يغرق، وهذا قول لا معنى له لخلافه قول جميع أهل التأويل".²

وقال القرطبي: "وقول أبو عبيدة فارغاً من الغم غلط قبيح، لأن بعده: "إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها".³ وبعد تأمل ونظر في كل ماحكي من الأوجه في بيان معنى فارغاً يتبين أن أقربها إلى الصواب القول الأول لأنه ثابت بأسانيد صحيحة عن ابن عباس كما جزم بذلك الإمام الحاكم⁴، واختاره وصححه جمع من أهل التحقيق كالطبري، وابن كثير، والشوكاني، والإمام النحاس، حيث قال بعد سَوِّقِهِ لجميع الأقوال التي تقدّم ذكرها: "وأصحّ هذه الأقوال الأول".⁵

المسألة الأربعون (40):

معنى قضى الأجل في قوله تعالى: ﴿بَلَمَّا فَضَيَّ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [سورة القصص الآية 29].

القول المعقب عليه:

روي عن مجاهد أن موسى قضى عشر سنين، ثم مكث بعد ذلك عشراً أخرى.⁶

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول مجاهد: "فوفى له العشر، وقيل هي العشر وعشراً بعدها، وهذا ضعيف

لقوله: ﴿بَلَمَّا فَضَيَّ مُوسَى الْأَجَلَ﴾.⁷

الدراسة:

ذكر أهل التأويل في بيان المدة التي قضاه موسى عند شعيب عليه السلام قولين:

¹ ابن الجوزي، زاد المسير، ص 1058.

² الجامع البيان، ج 18، ص 170.

³ الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 239.

⁴ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج 20، ص 59.

⁵ الشوكاني، فتح القدير، ج 4، ص 212.

⁶ الطبري، جامع البيان، ج 18، ص 237.

⁷ التسهيل، ج 2، ص 144.

أحدهما: أن موسى قضى أتمهما وأكملهما وهي عشرة حجج، وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومجاهد واختاره ابن جزى، وابن كثير، وأبو حيان¹، وغيرهم.

والثاني: روي عن مجاهد أن موسى قضى عشر سنين، ثم مكث بعد ذلك عشر سنين أخرى، وهذا القول حكاه بعض المفسرين وضعفه الإمام ابن عطية، وأبو حيان، وابن جزى، والقرطبي، وقال ابن كثير مستغنياً له بعد سوقه: "وهذا القول لم أره لغيره"².

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أرجح نظراً لعدة أسباب أوجزها في ما يلي:

أولاً: أن الحافظ ابن كثير أورد طرق كثيرة في تفسيره لهذه الآية مروية عن ابن عباس، ثم خلاص فقال: "فهذه طرق متعاضدة"³. وهذا الحكم من إمام معتبر كلامه عند المفسرين يتضمن ترجيح القول الأول.

ثانياً: أن هذا القول يؤيده ما رواه البخاري عن سعيد ابن جبير: قال «سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قُلْتُ: لَا أَذْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ فَاسْأَلُهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: قَضَى أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبُهُمَا؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ»⁴.

ثالثاً: أن الإمام الشوكاني ساق جملة من الروايات وهي نص في أن موسى قضى أتم الأجلين ثم قال: "وأما روايات أنه قضى أتم الأجلين فلها طرق يقوي بعضها بعضاً"⁵.

رابعاً: أنه ثبت في بعض الروايات التي أوردها الطبري، وإن كانت ضعيفة أن السائل اليهودي لما أحابه سعيد بن جبير قال: "والله صدق"⁶ واليهودي عنده علم بما حكى في التوراة، فلو كانت إجابة سعيد تخالف ما يعرفه لما أقسم على صدق جوابه.

المسألة الواحد والأربعون (41):

المراد بالعلم⁷ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلٰى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [سورة القصص الآية 78].

¹ ينظر: جامع البيان، ج18، ص237. تفسر القرآن العظيم، ج3، ص568. البحر المحيط، ج17، ص40.

² ينظر: المحرر الوجيز، ج4، ص286. البحر المحيط، ج17، ص40. الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص273. تفسير القرآن العظيم، ج3، ص569.

³ تفسير القرآن العظيم، ج3، ص568.

⁴ صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، رقم: 2684.

⁵ فتح القدير، ج4، ص226.

⁶ عبد الرحمن، بن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج12، ص138.

⁷ قيل في معنى العلم أقوالاً وهي: قيل هو علم التوراة وهذا اختاره القرطبي، وقيل: على علم عندي بصناعة الذهب وهذا مروى عن ابن عباس، وقيل: على خير علمه الله عندي، وهذا مروى عن مقاتل، وقيل: على علم عندي بوجوه المكاسب قاله البغوي، وقيل: أنه كان يعاني علم الكيمياء وهو قول وليد بن زروان، وقيل: علمه باستخراج الكنوز والدقائق وهذا قاله عطاء. ينظر: أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج12، ص254.

القول المعقب عليه:

المراد بالعلم هاهنا: "علم التوراة وحفظها" وهذا القول حكاه أبو حيان ولم يسنده لقائل¹، واختاره الثعالبي.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "اختلف في هذا العلم، فقليل حفظ التوراة، وهذا بعيد لأنه كان كافرا".³

الدراسة:

ذكر المفسرون في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أوجه:

أولها: قال مقاتل وقتادة والكلبي: كان قارون أقرأ بني إسرائيل للتوراة، فقال إنما أوتيته لفضل علمي، وهذا قريب من قول الثعالبي، ورجحه البيضاوي والقرطبي.⁴

ثانيها: قال سعيد ابن المسيب والضحاك كان موسى عليه السلام أنزل عليه علم الكيمياء، فعلم قارون ثلث العلم، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضف علمهما إلى علمه وهذا رده وأبطله ابن كثير وكثير من المفسرين.⁵

ثالثها: أراد به علم بوجوه المكاسب والتجارات وهذا قول الإمام البغوي.

رابعها: أن يكون قوله إنما أوتيته على علم عندي أي الله أعطاني ذلك مع كونه عالم بي وبأحوالي، فلو لم يكن ذلك مصلحة لما فعل، وقوله ﴿عِنْدِي﴾ أي عندي أن الأمر كذلك⁶ وهذا القول اختاره ابن جزى⁷، وصححه ابن كثير.⁸ ومحصلة ما ذكر أن المفسرون ذكروا أوجه في تأويلهم للآية، وقد اختار الإمام ابن جزى الوجه الأخير، واستبعد القول الأول معللا وجه استبعاده بأن قارون كان كافرا، ولا مانع من أن يكون قارون قد قرأ التوراة وحفظها، فاغتر بعلمه فكفر⁹ ففي وجه هذا الاستبعاد نظر والله أعلم.

¹ البحر المحيط، ج 17، ص 82.

² الجواهر الحسان، ج 4، ص 281.

³ التسهيل، ج 2، ص 151.

⁴ ينظر: أنوار التنزيل، ج 4، ص 185.

⁵ تفسير القرآن، ج 3، ص 586.

⁶ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 17.

⁷ التسهيل، ج 2، ص 151.

⁸ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 586.

⁹ قال الشوكاني: "وهذا الكلام خرج مخرج التقرير والتوبيخ لقارون، لأنه قد قرأ التوراة وعلم علم القرون الأولى، وإهلاك الله سبحانه لهم". فتح القدير: ج 4، ص 246.

المسألة الثاني والأربعون (42):

معنى الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت الآية 69].

القول المعقب عليه:

قال زيد بن أسلم مبينا لمعنى جاهدوا فينا أي قاتلوا فينا.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وقيل يعني القتال، وذلك ضعيف، لأن القتال لم يكن مأمرا به عند نزول الآية".²

الدراسة: اختلف أهل التأويل في بيان معنى الجهاد فذكرو فيه معنيين:

القول الأول: خصّ الإمام ابن جزى معنى الجهاد في تفسيره للآية بالجهاد الأصغر كمجاهدة النفس، بالصبر على الطاعة، ومجانبة المعصية، والمجرة، باستثناء القتال، وهذا القول مروى عن الضحاك، والحسن، ومال إليه الرازي.³

القول الثاني: ويرى جماعة من المفسرين أن إطلاق لفظ الجهاد يعم جميع أنواعه بما في ذلك قتال أعداء الدين، وهذا القول اختاره الإمام الطبري، والبيضاوي، والزخشري، والبغوي.⁴

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الثاني أرجح لأمرين:

أولا: أن لفظ المجاهدة في الآية قد أطلقت ولم تقيد بمفعول، فالإطلاق يتناول مجاهدة النفس الأمانة بالسوء، وأعداء الدين.⁵

ثانيا: أن هذا القول اختاره جماعة من المفسرين، ورجحوه بناء على أثر زيد بن أسلم.

المسألة الثالث والأربعون (43):

معنى البر والبحر في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الروم الآية 40].

القول المعقب عليه:

قال بعض العباد: في بيان معنى البر والبحر هاهنا: "البر اللسان والبحر القلب".⁶

¹ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 17، ص 392.

² التسهيل، ج 2، ص 163.

³ ينظر: التسهيل، ج 2، ص 163. موسوعة التفسير، ج 17، ص 392. الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 4، ص 304. مفاتيح الغيب، ج 25، ص 95.

⁴ جامع البيان، ج 18، ص 444. أنوار التنزيل، ج 4، ص 304. الكشف، ج 2، ص 824. معالم التنزيل، ج 3، ص 483.

⁵ ينظر: الكشف، ج 2، ص 824.

⁶ ينظر: ابن عطية، المحرر، ج 4، ص 340.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا ضعيف".¹

الدراسة: اختلف العلماء في بيان البر والبحر في الآية فأوردوا قولين وهما كالآتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالبر والبحر في الآية البر والبحر المعروفان، وهذا القول مروي عن ابن

عباس، والحسن بن أبي الحسن، وصححه الإمام ابن عطية واختاره الشوكاني.²

القول الثاني: فسر بعض العباد البر باللسان والبحر بالقلب، وهذا قول المتعمقين في المعاني، وهو بعيد كما قال الإمام الماوردي.³

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول أصوب لدلالة السياق عليه، ورواية السلف له، وهو المعتمد

والصحيح عند المحققين كالإمام ابن عطية والعلامة الشوكاني، وأما القول الثاني فقد ضعفه ابن جزى، واستبعده

الإمام الماوردي والسياق يقضي ببعده كما لا يخفى.

المسألة الرابع والأربعون (44):

المراد بالصخرة في قوله تعالى: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ [سورة لقمان الآية 15].

القول المعقب عليه:

الصخرة في الآية هي التي عليها الأرض وهذا القول مروي عن السدي والكلبي، ويحي بن سلام.⁴

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول السدي، والكلبي، ويحي بن سلام: "قيل المراد الصخرة التي عليها الأرض وهذا ضعيف".⁵

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد بالصخرة في الآية فذكروا في بيان ذلك قولان وهما كالآتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى الكلام في الآية أن مثقال خردة من الأعمال أو الأشياء، ولو كانت

في أخفى موضع كجوف صخرة، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، وكذلك لو كانت في السماوات أو في الأرض،

وقريب من هذا المعنى فسّر ابن عطية، وابن كثير، والبيضاوي، وابن عاشور الآية.⁶

¹ التسهيل، ج2، ص163.

² ينظر: التسهيل، ج2، ص340. المحرر، ج4، ص340. فتح القدير، ج4، ص300.

³ النكت والعيون، ج4، ص317.

⁴ ينظر: ابن عطية المحرر، ج4، ص351. الماوردي، النكت والعيون، ج4، ص337.

⁵ التسهيل، ج2، ص173.

⁶ ينظر: التسهيل، ج2، ص173-174. تفسير القرآن، ج3، ص649. التحرر والتنوير، مج8، ص164.

القول الثاني: حكى عن السدي والكلبي، ويحيى بن سلام أن المراد بالصخرة التي عليها الأرض، وهذا القول قد انتقده الإمام ابن عطية بقوله بعد إيراده: "وهذا كله ضعيف ولا يثبت سند"، وعده الإمام ابن كثير أنه من جملة الأخبار المتلقاة من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.¹

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول أليق بتفسير الآية، وفيه دلالة على قدرة الله وشمول علمه وإحاطته بكل شيء وفي أي مكان، ولو كان خردة مخفية في تضاعيف صخرة، فسبحان المهيمن الأحد، وأما القول الثاني وإن كان مروى عن بعض السلف إلا أنه يحتاج حتى تفسر به معنى الآية إلى سند يوثق به، ولهذا استبعده بعض فحول وجهابذة التحقيق كالإمام ابن عطية، فلعل الإمام ابن جزى قلده في ما ذهب إليه فنص على ضعفه.

المسألة الخامسة والأربعون (45):

معنى العذاب الأدنى في قوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة السجدة الآية 21].

القول المعقب عليه:

العذاب الأدنى في الآية: "هو عذاب القبر" وهذا القول مروى عن مجاهد، والبراء بن عازب وأبو عبيدة.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول مجاهد: "وهذا بعيد لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾".³

الدراسة:

للمفسرين في بيان معنى العذاب الأدنى قولان هما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى العذاب الأدنى في هذه الآية "الجوع ومصائب الدنيا" وهذا القول مروى عن ابن عباس، والحسن، وأبي العالية، والضحاك، وعلقمة، وابن زيد، ومقاتل، وإبراهيم النخعي⁴ واختاره، الشوكاني وصوبه الإمام الطبري.⁵

القول الثاني: روي عن البراء -رضي الله عنه-، ومجاهد، وأبو عبيدة أن المراد بالعذاب الأدنى عذاب القبر وتعقب القرطبي هذا القول بقوله: "وفيه نظر"⁶ لقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

¹ ينظر: المحرر، ج4، ص351. تفسير القرآن، ج3، ص650.

² الطبري، جامع البيان، ج18، ص631. ابن كثير، تفسير القرآن، ج3، ص675.

³ التسهيل، ج2، ص180.

⁴ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج17، ص263.

⁵ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص39. فتح القدير، ج4، ص337. جامع البيان، ج18، ص632.

⁶ الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص40.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أصوب لأنه المروي عن السلف، والمختار عند بعض المحققين كشيخ المفسرين الطبري والعلامة الشوكاني، وأما القول الثاني فمع جلالة من انتقده كالإمام القرطبي، وابن جزري، يبقى فيه وجهة من جهة رواية الصحابة له كالحبر عبد الله ابن عباس، والبراء - رضي الله عنهما ولهذا نصره الإمام ابن القيم حيث قال في هذا الصدد: "وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر، وفي الإحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا مما يخفى عن حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر، فإنه سبحانه أخبر أن له فيه عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْآذِنِ﴾ ولم يقل ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْآذِنِ﴾. فتأمله".¹

المسألة السادسة والأربعون (46):

المراد بالمرض في قوله تعالى: ﴿فَيَظْمَعُ الْذِّئْبُ فِي فَلْيِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب الآية 32].

القول المتعقب عليه:

المرض يراد به في الآية النفاق وهذا القول مروي عن قتادة والسدي.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على قول السدي، وفتادة: "وقيل هو النفاق وهذا بعيد في هذا الموضع".³

الدراسة:

اختلف المفسرون في المراد "بالمرض" في الآية فذكروا تأويلين:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزري أن معنى قوله سبحانه: ﴿فِي فَلْيِهِ مَرَضٌ﴾ أي فجور وميل للنساء، وهذا

القول مروي عن عكرمة، وبه قال الزمخشري، وصوبه ابن عطية والقرطبي.⁴

القول الثاني: فسر قتادة والسدي المرض في هذه الآية بالنفاق، وانتقد ابن عطية من ذهب إلى هذا بأنه ليس

للفنق مدخل في هذه الآية.⁵

¹ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 17، ص 614.

² ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج 2، ص 279. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 137.

³ التسهيل، ج 2، ص 188.

⁴ ينظر: أبو حيان، البحر، ج 17، ص 317. الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 138.

⁵ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 17، ص 749.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن كلا القولين في بيان معنى المرض في الآية روي عن السلف، ويحتملها اللفظ، وعليه فلا مانع من حمل كلا التأولين على معناها خاصة أن النفاق والفجور إذا خالطا بشاشة القلب واستحوذا عليه سقم إن كان سليما، واشتد سقمه إن كان مريضا، ولهذا جمع الإمام الشوكاني بين كلا المعنيين عند تفسيره للآية حيث قال في هذا الصدد: ﴿بَيَظْمَعُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: "فجور وشك ونفاق".¹

المسألة السابع والأربعون (47):

من المراد بأهل البيت في قوله سبحانه: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [سورة الأحزاب الآية 33].

القول المعقب عليه:

المراد بأهل البيت في الآية: "نساء النبي ﷺ خاصة" وهذا رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، وابن السائب، ومقاتل.²

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول ابن عباس: "وقيل هنا أزواجه خاصة، والبيت على هذا المسكن وهذا ضعيف لأن الخطاب بالتذكير".³

الدراسة:

اختلف في المراد بـ "أهل البيت" فحكى عن أهل التفسير في بيان معناه قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن المراد بأهل البيت في الآية: "هم أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي وكل من حرمت عليه الصدقة"، وهذا القول اختاره ابن كثير، والقرطبي، واستحسنه أبو مظفر السمعاني.⁴

القول الثاني: روي عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما أن المراد بأهل البيت نساء النبي عليه الصلاة والسلام خاصة، واختار هذا القول الإمام البغوي.⁵

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول أرجح وهو أن المراد بأهل البيت: "أزواجه وذريته وأقاربه، كالعباس وعلي وكل من حرمت عليه الصدقة لورود الأحاديث الصريحة الصحيحة في هذا المقام من ذلك ما رواه مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَقَالَ لَهُ

¹ ينظر: فتح القدير، ج4، ص364.

² ابن الجوزي، زاد المسير، ص1124.

³ التسهيل، ج2، ص188.

⁴ ينظر: التسهيل، ج2، ص188. تفسير القرآن العظيم، ج3، ص706. الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص146.

⁵ ينظر: معالم التنزيل، ج3، ص562.

حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ يَا زَيْدُ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ¹.

وأما القول الثاني الذي مفاده تخصيص إطلاق لفظ أهل البيت بنساء النبي ﷺ فيصح إن أريد بأن الآيات نزلت في حقهن كما ذكر الحافظ ابن ابن كثير حيث قال في هذا الصدد: "فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح، فإن سياق الكلام معهن، وإن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففيه نظر، فإنه قد وردت أحاديث تدل على أن المراد أعم"².

المسألة الثامن والأربعون (48):

معنى الذي بين يديه في قوله تعالى: ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سورة سبأ الآية 31].

القول المعقب عليه:

قالت فرقة في بيان معنى الذي بين يديه هاهنا: "هي يوم القيامة"³.

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزري هذا بقوله: "وهذا خطأ وعكس، لأن الذي بين يدي الشيء هو ما تقدم عليه"⁴.

الدراسة:

ذكر المفسرون عند بيانهم للآية معنيين هما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزري أن المعنى بقوله سبحانه: ﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب المتقدمة كالتوراة والإنجيل، وهذا القول مروى عن السدي، وقتادة، وابن جريج، واختاره ابن عطية والبغوي، وأبي مظفر السمعاني، والثعالبي⁵.

القول الثاني: قاله فرقة: إن معنى ﴿بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يوم القيامة، وهذا التفسير قاله ابن عيسى وخطأه الإمام ابن عطية، ووافقه أبو حيان والإمام ابن جزري⁶ وهو أحد الوجهين المعبرين في تفسير الآية على رأي الزمخشري، والبيضاوي، والشوكاني وأبي السعود⁷.

¹ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رقم: 2408.

² تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 704.

³ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج17، ص450.

⁴ التسهيل، ج2، ص207.

⁵ الماوردي، النكت والعيون، ج4، ص451. أبو حيان، البحر المحيط، ج17، ص450. معالم التنزيل، ج3، ص607. تفسير القرآن، ج2، ص334.

⁶ ينظر: النكت والعيون، ج4، ص451. المحرر، ج4، ص421. التسهيل، ج2، ص207.

⁷ الكشف، ج2، ص875. أنوار التنزيل، ج4، ص248. فتح القدير، ج3، ص433. إرشاد العقل السليم، ج7، ص134.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن الأول هو المشهور، لرواية السلف له من جهة واختيار المحققين له من جهة آخر، وأما القول الثاني فقد انتقده غير واحد من فحول أئمة التحقيق، بل صرح ابن عطية بتخطأته، ووافقه أبو حيان.

المسألة التاسع والأربعون (49):

معنى الذرية في قوله تعالى: ﴿وَعَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [سورة يس الآية 40].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية: معنى الذرية في الآية النساء وهو محكي عن السدي.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن عطية: "وهذا بعيد".²

الدراسة:

لأهل التأويل في بيان معنى الذرية في هذه الآية ثلاث تأويلات:

أحدها: أن الذرية هم الآباء والأجداد، حملهم الله تعالى في سفينة نوح، وهذا قول أبو عثمان واختاره البغوي.³

والثاني: أن الذرية أولادهم وضعفاءهم حملهم الله تعالى على الفلك وهذا القول صححه الثعالبي، واختاره ابن جزى والشوكاني.⁴

والثالث: وقيل الذرية اسم يقع على النساء لأنهن مزارعها وهذا قول السدي، وابن عطية وهو أحد تفسري الإمام

البيضاوي والزمخشري للآية⁵ وهذا الرأي مع جلالة قدر القائلين به فيه شيء من التمحل في طلب المعنى لذلك

استبعده الإمام ابن جزى واستنكره الإمام الشوكاني حيث قال بعد ذكره له: "وأما الرابع ففي غاية البعد والنعارة".⁶

المسألة الخمسون (50):

الإشارة بمنالك في قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ [سورة ص الآية 10].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية: "قالت فرقة: أشار بمنالك إلى الإرتقاء في الأسباب، أي هؤلاء القوم إن رامو ذلك

جند مهزوم وهذا قوي".⁷

¹ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص19.

² التسهيل، ج2، ص225.

³ معالم التنزيل، ج3، ص642.

⁴ ينظر: الجواهر الحسان، ج5، ص14. فتح القدير، ج4، ص490.

⁵ ينظر: أنوار التنزيل، ج4، ص269. الكشف، ج3، ص825.

⁶ فتح القدير، ج4، ص490.

⁷ المحرر الوجيز، ج4، ص495.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على هذا القول: "وقيل الإشارة إلى الإرتقاء في الأسباب وهذا بعيد".¹

الدراسة:

ذكر المتأولون في الإشارة بمنالك في الآية أقوالا نوجزها على النحو التالي:

القول الأول: الإشارة بمنالك إلى يوم بدر، وهذا مروى عن مجاهد وقتادة واختاره ابن كثير، والقرطبي، والبغوي، وابن الجوزي، وابن عاشور.²

القول الثاني: الإشارة بمنالك إلى حصر عام الخندق بالمدينة³ ولم ينسب لقائل.

القول الثالث: الإشارة بمنالك إلى حماية الأصنام وعضدها، أي هؤلاء القوم جند مهزوم في هذه السبيل، ومال إلى هذا القول الإمام ابن جزري.⁴

القول الرابع: الإشارة بمنالك إلى الإرتقاء في الأسباب، وهذا القول قواه ابن عطية، واستبعده ابن جزري.

ومُلخص الكلام أن المفسرون اختلفوا في الإشارة "بمنالك" في هذه الآية فذكروا أقوالا أرجحها الأول لأنه المروي عن السلف، ولهذا اختاره المحققون كالحافظ ابن كثير والبغوي والقرطبي وابن الجوزي وغيرهم وفي هذا تأيد، وتقوية لما ذهب إليه الإمام ابن جزري من تعقبه لقول الإمام ابن عطية.

المسألة الواحد والخمسون (51):

معنى الإنزال في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [سورة الزمر الآية 07].

القول المتعقب عليه:

معنى أنزل في الآية: "أي أنه أنزل المطر الذي ينبت نبات فتعيش منه هذه الأنعام، فعبر بإنزالها عن إنزال أرزاقها"، وهذا قول الإمام القرطبي.⁵

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على قول القرطبي: "وهذا بعيد".⁶

¹ التسهيل، ج2، ص248.

² ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص73. الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص137. معالم التنزيل، ج3، ص688. زاد المسير، ص1203. التحرير والتنوير، ج8، ص218.

³ أبو حيان، البحر المحيط، ج18، ص237.

⁴ التسهيل، ج2، ص248.

⁵ الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص249. معالم التنزيل، ج4، ص934.

⁶ التسهيل، ج2، ص265.

الدراسة:

ذكر المفسرون في معنى الإنزال ثلاثة أوجه:

أحدها: أن الإنزال بمعنى الخلق، وهذا مروى عن مجاهد والضحاك وقتادة ومقاتل، والحسن، وسعيد بن جبير، واختاره الإمام ابن الجوزي، وابن كثير، والبغوي.¹

والثاني: أن أنزل بمعنى قضى وقسم وهذا القول اختاره البيضاوي، وأبي السعود، والزحشري.²

والثالث: ما ذهب إليه القرطبي من تفسير الإنزال أي إنزال الأمطار الذي هو سبب النبات الذي تبقى به الأنعام. وبعد تأمل ونظر يتبين أن كل هذه الأوجه التي أوردها العلماء لمعنى الإنزال صحيحة، ومحتملة لتفسيرها إما حقيقة أو مجازا كما قرر ذلك العلامة الشوكاني حيث قال في هذا الصدد: "عبر عن الإنزال لما يروى أنه خلقها في الجنة، فيكون الإنزال حقيقة، ويحتمل أن يكون مجازا لأنها لم تعيش إلا بالنبات، والنبات إنما يعيش بالماء، والماء منزل من السماء، كانت الأنعام كأنها منزلة".³

وانطلاقاً من كلام الشوكاني يظهر ضعف استبعاد ابن جزى للقول الأخير لأنه لم يورد دليلاً ولا تعليل يؤول وجه تضعيفه له.

المسألة الثانية والخمسون (52):

معنى الإماتتان في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمِّتْنَا إِنْ تَنْتَبِهِ وَأُخَيِّرْتَنَا إِنْ تَنْتَبِ﴾ [سورة غافر الآية 10].

القول المعقب عليه:

قال السدي: "أميتوا في الدنيا، ثم أحياهم في قبورهم للمسألة، ثم أميتوا، ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا يوم القيامة".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول السدي: "الموتى الأولى الموت المعروف، والموتى الثانية بعد حياة القبر، وهذا قول فاسد".⁵

الدراسة:

اختلف المفسرون في بيان معنى الموتتان في الآية على قولين:

¹ ينظر: مساعد الطيار، ج 19، ص 179. أحكام القرآن للقرطبي، ج 18، ص 249. زاد المسير، ص 1224. تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 96.

² أنوار التنزيل، ج 5، ص 36. إرشاد العقل السليم، ج 7، ص 243. الكشف، ج 3، ص 934.

³ فتح القدير، ج 4، ص 592.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن، ج 4، ص 133.

⁵ التسهيل، ج 2، ص 271.

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن معنى الموتان في الآية: "الأولى في أصلاب آبائكم، والثانية في الدنيا عند انقضاء آجالكم" وهذا القول مروى عن ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة والضحاك، ورجحه ابن عطية وابن كثير وابن تيمية.¹

القول الثاني: ما رُوي عن السدي من أن الموتى الأولى الموت المعروف، والثانية بعد حياة القبر وهذا القول ضعفه الإمام ابن جزى، وابن كثير لمخالفتة السياق وفي هذا الصدد يقول: "وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان، لأنه يلزمهما على ما قلنا ثلاث إحياءات، وإماتات، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما".² وبتأمل يتبين أن أصوب القولين أولهما لعدة أسباب:

- 1- أن ظاهر السياق يدل عليه.
- 2- أنه المروي عن السلف بسند صحيح.³
- 3- أنه تشهد له نظائر القرآن كقوله سبحانه: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة البقرة الآية 27].

المسألة الثالث والخمسون (53):

معنى الزكاة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة فصلت الآية 06].

القول المتعقب عليه:

معنى الزكاة هاهنا التوحيد وهذا مروى عن ابن عباس، وبه قال الجمهور.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى رحمه الله معقبا على قول الجمهور: "هي زكاة المال، وقيل يعنى بالزكاة التوحيد وهذا بعيد".⁵

الدراسة:

حكى المفسرون في بيان معنى "الزكاة" قولان هما:

¹ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج19، ص337. تفسير القرآن العظيم، ج4، ص133.

² تفسير القرآن العظيم، ج4، ص133.

³ ينظر: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج13، ص298.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص126.

⁵ التسهيل، ج2، ص289.

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالزكاة في الآية زكاة المال، وهذا القول مروى عن الحسن، وقتادة والسدي ومجاهد، والربيع، ورجحه الإمام الطبري.¹

القول الثاني: ماروي عن ابن عباس وعكرمة أن المراد بالزكاة التوحيد وهذه تسمى زكاة النفس، وهذا القول رجحه الإمام ابن عطية.²

وبعد تأمل ونظر يتبين أن المفسرين اختلفوا، في المراد بالزكاة، ونظائر القرآن تشهد لكلا القولين وفي هذا الصدد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والآية تتناول كل ما يتزكى به من التوحيد والأعمال الصالحة كقوله سبحانه: ﴿بَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْجَى﴾ [سورة النازعات الآية 18]، وقوله: ﴿فَدَأْبُ الْفَلَحِ مَن تَرْجَى﴾ [سورة الأعلى الآية 14].

المسألة الرابع والخمسون (54):

معنى ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [سورة فصلت الآية 28].

القول المتعقب عليه:

معنى ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ هاهنا: "إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه" وهذا القول مروى عن ابن عباس وابن مسعود.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا باطل لأن ولد آدم مؤمن عاصي، وإنما طلب هؤلاء من أضلهم بالكفر".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن ﴿الَّذِينَ﴾ هنا للجنس ويكون المعنى أي كل من أغوانا من الجن والإنس وهذا القول محكي عن جماعة من المفسرين، واختاره ابن عطية، والثعالبي، والزخشري، والبيضاوي⁵ وهو مقتضى ظاهر اللفظ.

القول الثاني: ما روي عن ابن عباس وابن مسعود وعلي وقتادة والسدي أن ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ يعنى بهما إبليس، وولد آدم الذي سن القتل وهذا القول صححه القرطبي.⁶

¹ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 19، ص 430.

² المحرر الوجيز، ج 5، ص 5.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 414.

⁴ التسهيل، ج 2، ص 292.

⁵ ينظر: المحرر، ج 5، ص 14. الجواهر الحسان، ج 5، ص 134. الكشف، ج 3، ص 969. أنوار التنزيل، ج 5، ص 71.

⁶ الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 414. ابن عطية المحرر، ج 5، ص 14. الماوري، النكت والعيون، ج 5، ص 178.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول هو الذي يقتضيه ظاهر اللفظ، ولهذا حكاه واختاره جماعة من أئمة التفسير، وأما الثاني فقد أبطله الإمام ابن جزى مستندا إلى السياق، وأيده العلامة الآلوسي حيث قال: "والظاهر أن الكفار إنما طلبوا إرادة المضلين بالكفر المؤدي إلى الخلود، وكونهم رؤيس الكفرة ورؤيس أهل الكبائر خلاف الظاهر"¹، وضعفه أيضا الثعالبي حيث قال: "وهذا القول لا يخفى ضعفه"².

المسألة الخامسة والخمسون (55):

معنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَذِرْ مَا يَفْعَلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ﴾ [سورة الأحقاف الآية 08].

القول المعقب عليه:

قال ابن عباس وأنس بن مالك، وقتادة والحسن وعكرمة: معناه في الآخرة، وكان ذلك قبل أن يعلم أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأن المؤمنين لهم فضل كبير وهم في الجنة، وبأن الكافرين في نار جهنم³.
التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد"⁴.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الآية في أمر الدنيا ومعناها لا أدري ما يقضيه الله علي وعليكم، فإن مقادير الله مغيبة وهذا القول مروى عن الحسن البصري وجماعة، ورجحه الإمام الطبري، وصححه القرطبي، واختاره الإمام الشوكاني⁵.

بينما روي عن ابن عباس، وأنس، وقتادة والحسن وعكرمة أن معنى الآية في أمر الآخرة.

والراجح من كلا القولين الأول وهو أن تأويلها في أمر الدنيا ويشهد لوجهته السياق، وفي هذا الصدد يقول الإمام الطبري: "وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية، والخبر خرج من الله عز وجل خطابا للمشركين، وخبر عنهم، وتوبيخا لهم، واحتجا من الله تعالى ذكره لنبيه، فإذا كان ذلك كان كذلك، فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها، في أنها احتج عليهم وتوبيخ لهم،

¹ روح المعاني، ج 24، ص 120

² الجواهر الحسان، ج 5، ص 134.

³ أبو حيان، البحر المحيط، ج 19، ص 196.

⁴ التسهيل، ج 2، ص 333.

⁵ جامع البيان، ج 21، ص 123. الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 187. فتح القدير، ج 5، ص 20.

وإذا كان ذلك كذلك، فمحال أن يقال للنبي ﷺ: قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه إليه متتابعة، بأن المشركين في النار مخلدون، والمؤمنون به في الجنان منعمون، وبذلك يرهبهم مرة، ويرغبهم أخرى¹، وأما ما روي عن ابن عباس وغيره أن معناها في أمر الآخرة فهذا القول ليس بظاهر لأن الله أعلمه سبحانه من أول الرسالة حال الكافر وحال المؤمن.²

المسألة السادسة والخمسون (56):

المراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يبدلوه في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح الآية 15].

القول المعقب عليه:

قال ابن زيد³: "كلام الله هو قوله تعالى: ﴿بِاسْتِذْنَوِكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [سورة التوبة الآية 84].

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن زيد: "وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله من تبوك بعد الحديبية".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد من قوله سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ يريدون أن يبدلوا وعدا الله لأهل الحديبية وهذا قول مجاهد وقتادة وجوير، واختاره الطبري وعليه عامة أهل التأويل.⁵

بينما يرى ابن زيد أن المراد بقوله يريدون أن يبدلوا كلام الله هو قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ والأصوب من القولين الأول وبه قال أكثر أهل التفسير⁶، وأما قول ابن زيد فقد ضعفه الإمام ابن جزى مستندا إلى أحوال النزول، وأنكره الإمام الطبري حيث قال: "وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له، لأن قوله عز وجل: ﴿بِاسْتِذْنَوِكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ إنما نزل على رسول الله منصرفه من تبوك، وعني به الذين تخلفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي

¹ جامع البيان، ج 21، ص 123.

² أبو حيان، البحر، ج 19، ص 196.

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 310.

⁴ التسهيل، ج 2، ص 348.

⁵ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 310.

⁶ ينظر: تفسير ابن عادل، ج 17، ص 491.

رسول الله أن تبوك كانت بعد فتح خيبر، وبعد فتح مكة أيضاً، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنا بقول الله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله - إذ شخص معتمرا يريد البيت، فصدده المشركون عن البيت - الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية، ولا كان أوحى إلى رسول قوله: ﴿بِاسْتِئْذْنِكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾.¹

وضعف قول ابن زيد أيضاً الإمام ابن عطية، ونفى صحته ابن حيان حيث قال: "وقال ابن زيد كلام الله: قوله تعالى: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ وهذا لا يصح، لأن هذه الآية نزلت مرجع رسول الله من تبوك في آخر عمره، وهذه السورة نزلت سنة الحديبية، وأيضاً فقد غزا مزينة وجهينة بعد هذه المدة معه عليه الصلاة والسلام، وفضلهم بعد ذلك على تميم وغطفان وغيرهم من العرب".²

المسألة السابع والخمسون (57):

معنى السيماء في قوله تعالى: ﴿سَيَبَاهُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [سورة الفتح الآية 29].

القول المعقب عليه:

قال ابن عباس، وخالد الحنفي وعطية العوفي: "السيما وعد لهم بأن يجعل لهم نورا يوم القيامة من أثر السجود، كما يجعل غرة من أثر الوضوء".³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد لأن قولهم ﴿تَرْيَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ [سورة الفتح الآية 29] وصف حالهم في الدنيا، وقد كان بوجه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلي بن عبد الله بن عباس، أثر ظاهر من أثر السجود".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن المراد بالسمة هي الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود وهذا القول مروى عن سعيد بن جبير، ومالك، وبه قال بعض المفسرين كالإمام الزمخشري والبيضاوي.⁵ بينما فسّر ابن عباس السيماء هاهنا بأنها نور يجعل للمؤمنين يوم القيامة من أثر السجود.

¹ جامع البيان، ج 21، ص 263.

² البحر المحيط، ج 19، ص 288.

³ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة، ج 20، ص 348. النكت والعيون للماوردي، ج 5، ص 323. المحرر الوجيز، ج 5، ص 141. البحر المحيط، ج 19، ص 311.

⁴ التسهيل: ج 2، ص 354.

⁵ ينظر: التسهيل، ج 2، ص 354. الشوكاني، فتح القدير، ج 5، ص 74. أنوار التنزيل، ج 5، ص 132. أبو حيان، البحر المحيط، ج 19، ص 311.

وكلا القولين مع جلالة قائلها فيها تخصيص لمعنى السيماء بأن تكون علامة في الدنيا أو في الآخرة، والأولى عدم التخصيص وفي هذا الصدد يقول شيخ المفسرين الطبري: "إن الله تعالى ذكره - أخبر أن سيماء هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخص ذلك وقت دون وقت، وإذا كان ذلك كذلك فذلك على كل الأوقات، فكان سيماءهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا آثار الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار عناء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من آثار الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود".¹

المسألة الثامن والخمسون (58):

هل يتصف جميع المطر بالبركة كما في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ [سورة ق الآية 09].

القول المعقب عليه:

قال بعض المفسرين: ليس كل المطر يتصف بذلك، وإنما البركة في ماء مخصوص ينزله الله كل سنة.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وقيل الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة، وليس كل المطر يتصف بالمبارك وهذا ضعيف".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن البركة وصف لجميع ماء المطر، وهذا القول مروى عن ابن عباس، والضحاك، وميمون بن مهران، ومقاتل بن سليمان، وبه قال كثير من المفسرين، كالموردي والبيضاوي وابن الجوزي، والبغوي، وابن عادل والحاازن وغيرهم.⁴ بينما يرى بعض المفسرين أن البركة وصف مخصوص لماء ينزله الله كل سنة.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أصوب لأنه المروي عن السلف وتفسير السلف مقدم على كل تفسير شاذ، وأما القول الثاني فيحتاج حتى يحمل عليه معنى الآية إلا دليل صحيح صريح وهو أن الله ينزل ماء كل سنة مخصوصا بوصف البركة.

¹ جامع البيان، ج21، ص326.

² ينظر: الإمام ابن عطية، المحرر، ج5، ص158.

³ التسهيل، ج2، ص365.

⁴ ينظر: النكت والعيون، ج5، ص342. أنوار التنزيل، ج5، ص132. زاد المسير، ص1339. معالم التنزيل، ج4، ص217.

المسألة التاسع والخمسون (59):

المراد بالإستغفار في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [سورة الذاريات الآية 17].

القول المعقب عليه:

معنى يستغفرون هاهنا أي يصلون وهذا القول مروى عن ابن عمر، ومجاهد والضحاك ومقاتل والكلبي.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "معنى يستغفرون يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، وقيل معنى يستغفرون يصلون وهذا بعيد من اللفظ".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى يستغفرون يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، وهذا القول مروى عن الحسن واختار الإمام الرازي.³

بينما روي عن مجاهد والضحاك والكلبي وغيرهم أن معنى يستغفرون أي يصلون وهذا القول أشهر في كتب التفسير. وبعد تأمل ونظر يتبين أن كلا التفسيرين وردا عن السلف في بياهم لمعنى الآية ويحتملها اللفظ أيضا لأن الاستغفار يكون تارة باللسان كأن يقال: "ربي اغفر لي"، ويكون بالفعل وهو الصلاة.⁴

المسألة الستون (60):

معنى الحق في قوله تعالى: ﴿وَيَجِئْهُمْ أَمْوَالُهُمْ حَقًّا لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [سورة الذاريات الآية 19].

القول المعقب عليه:

قال محمد بن سرين وقتادة ومنذر بن سعيد: "الحق هو الزكاة المفروضة".⁵

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "الحق هنا نوافل الصدقات، وقيل المراد الزكاة المفروضة، وهذا بعيد لأن الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة".⁶

¹ ينظر: الطبري، جامع البيان، ج 21، ص 510. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 358. ابن عادل، اللباب، ج 18، ص 71.

² التسهيل، ج 2، ص 371.

³ ينظر: أبو حيان، البحر، ج 19، ص 397. القاسمي، محاسن التأويل، ط 1، 1376 هـ، ج 15، ص 5527.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، وهو مأخوذ من كلام الرازي.

⁵ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 482. أبو حيان، البحر، ج 19، ص 397.

⁶ التسهيل، ج 2، ص 371.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالحق هاهنا هو نوافل الصدقات وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد، وإبراهيم النخعي وبه قال الإمام أبو حيان، ورجحه الشوكاني.¹

بينما قال ابن سرين وقتادة ومنذر بن سعيد إن المراد بالحق هنا الزكاة المفروضة وهذا القول ضعفه غير واحد من المفسرين يقول ابن كثير: "وهذا يقتضي أن الآية مدنية وليس الأمر كذلك، بل هي مكية شاملة لما بعدها".²

وقال الإمام أبو حيان: "وقال منذر بن سعيد: هذا الحق وهو الزكاة المفروضة وضعف بأن السورة مكية، وفرض الزكاة بالمدينة".³

وعليه فالراجح من كلا القولين الأول وهو أن الحق يراد به غير الزكاة المفروضة لقول ابن عباس عند تفسيره للآية: إنه حق سوى الزكاة، يصل رحماً، أو يقري به ضيفاً، أو يحمل به كلاً، أو يغني به محروماً".⁴

المسألة الواحد والستون (61):

معنى الواقعة في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [سورة الواقعة الآية 01].

القول المتعقب عليه:

قال ابن عطية من معاني الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة.⁵

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول الإمام ابن عطية: "وهذا بعيد".⁶

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة كالطامة والصاخة، وهذا القول مروي عن ابن عباس وبه قال الزمخشري، وابن كثير والبغوي، والبيضاوي، والنسفي، والشوكاني، وأبي السعود.⁷

بينما يرى بعض المفسرين أن الواقعة صخرة بيت المقدس تقع عند القيامة، وهي أحد المعاني التي أقرها ابن عطية.

¹ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 20، ص 568. البحر، ج 19، ص 397. فتح القدير، ج 5، ص 112.

² تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 358.

³ البحر المحيط، ج 19، ص 397.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 482.

⁵ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 21، ص 187.

⁶ التسهيل، ج 2، ص 399.

⁷ ينظر: الكشف، ص 1074. تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 430. معالم التنزيل، ج 4، ص 301. أنوار التنزيل، ج 5، ص 183. مدارك التنزيل، ص 1184. فتح القدير، ج 5، ص 196. إرشاد العقل السليم، ج 8، ص 199.

والراجح من كلا القولين الأول وهو أن الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة وهو المروي عن حبر الأمة وترجمان القرآن، والمختار عند المفسرين كابن كثير والبغوي والبيضاوي وغيرهم، وأما قول ابن عطية فلم أقف على من وافقه وأقره فهو قول شاذ لمخالفته لقول السلف ولذلك استبعده ابن جزى رحمه الله.

المسألة الثانية والستون (62):

المراد بالفرش في قوله تعالى: ﴿وَفُرِشَ مَرْفُوعَةً﴾ [سورة الواقعة الآية 36].

القول المعقب عليه:

قال أبو عبيدة وغيره "الفرش: النساء".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول أبي عبيدة: "الفرش هي الأسرة"،² وقيل هي النساء وهذا بعيد.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالفرش الفرش المعهودة مرفوعة على الأسرة وهذا القول مروي عن علي بن أبي طالب، وصوبه الإمام ابن القيم، واختاره ابن عاشور.³ بينما يرى أبو عبيدة وغيره أن المراد بالفرش هنا النساء.

وبعد تأمل ونظر يتبين أنه قد يراد بالفرش الفرش المعهودة، وقد يراد بها النساء من باب التكنية، لأن العرب تسمي المرأة فراشا ولباسا وإزارا.⁴

المسألة الثالثة والستون (63):

المراد بالسور في قوله تعالى: ﴿بَضْرِبَ بَيْنَهُمِ سُورَ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ [سورة الحديد الآية 13].

القول المعقب عليه:

قال عبد الله بن عمر وكعب الأحبار وعبادة ابن الصامت وابن عباس: "هو الجدار الشرقي في مسجد بيت المقدس".⁵

¹ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص356.

² التسهيل، ج2، ص404.

³ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج21، ص231. التحرير والتنوير، ج11، ص300.

⁴ ينظر: تفسير الخازن، ج4، ص236. الزمخشري، الكشاف، ص1076.

⁵ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص475. الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص262.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد".¹

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن السور هو الذي يضرب بين المؤمنين والمنافقين، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة وبهذا فسر ابن عطية، والرازي والبيضاوي.²

بينما قال عبد الله بن عمر وكعب الأحبار وعبادة ابن الصامت وابن عباس السور هو الجدار الشرقي في مسجد بيت المقدس وهذا القول استبعده الإمام ابن جزى ولم يعلل وجه استبعاده، ولعله قلد ابن عطية، واستبعده أيضا الثعالبي، وانتقد الإمام الشوكاني مستندا إلى السياق وفي هذا الصدد يقول: "ولا يخفاك أن تفسير السورة المذكورة في القرآن في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيه من الإشكال ما لا يدفعه مقال، ولا سيما بعد زيادة قوله باطنه فيه الرحمة المسجد فإن هذا غير ما سيقته له الآية، وغير ما دلت عليه وأين يقع بيت المقدس.... إلى أن قال فإن كان مثل هذا التفسير ثابت عن رسول الله، قبلناه وآمنا به، وإلا لا كرامة ولا قبول".³

وبهذا يتبين صواب استبعاد الإمام ابن جزى لقول عبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهما.

المسألة الرابعة والستون (64):

المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْبُرْ﴾ [سورة الحشر الآية 16].

القول المعقب عليه:

روي عن ابن عباس وابن مسعود أنهم قالوا إن المراد بالإنسان هاهنا إنسان بعينه كان من الرهبان، وكان يسمى برصيصة.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن مسعود وابن عباس: "وقيل المراد بالإنسان هنا برصيصة العابد، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها وهذا ضعيف في النقل".⁵

¹ التسهيل، ج2، ص412.

² ينظر: المحرر الوجيز، ج5، ص262. القاسمي، محاسن التأويل، ص5682. أنوار التنزيل، ج5، ص187.

³ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص262. فتح القدير، ج5، ص171.

⁴ ينظر: الزجاج، إعراب القرآن، ج5، ص148. الأصفهاني، إعراب القرآن، تح: فائزة بنت عمر، د.ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1415هـ، ص1172.

⁵ التسهيل، ج2، ص428.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالإنسان هنا اسم جنس، وهو المروي عن مجاهد وبه قال جمهور المتأولين ورجحه الآلوسي، والشوكاني وابن عاشور.¹

بينما روي عن ابن عباس وابن مسعود أن الإنسان هنا يختص بعابد اسمه برصيصا، وهذا القول ضعفه الإمام ابن جزى، وبعض المفسرين وإليك أقوالهم كالاتي:

قال الثعالبي: "وذهب قوم من رواة القصص إلى أن هذا في شيطان مخصوص مع عابد مخصوص اسمه برصيصا، وهذا يحتاج إلى صحة سند، والتأويل الأول هو وجه الكلام".²

وقال الإمام ابن عاشور: "وقد حكى ابن عباس وغيره من السلف في هذه الآية قصة راهب بحكاية مختلفة جعلت كأنه المراد من الإنسان في هذه الآية ذكره ابن جرير والقرطبي، وضعف ابن عطية أسانيدها".³

وبناء على ما سبق يتبين أن الراجح من كلا القولين الأول وهو أن المراد بالإنسان هاهنا الجنس، وأما ما حكى عن ابن عباس وغيره فلا يثبت من جهة السند حتى قال بعض المفتشين في حال الطرق والروايات "أن الراوي عن ابن عباس عطية العوفي بن سعد العوفي ومن قبله من رجال الإسناد ضعفاء".⁴

المسألة الخامسة والستون (65):

معنى "عمله" في قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم الآية 11].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية: وقال آخرون في كتاب النقاش عمله كناية عن الوطاء والمضاجعة".⁵

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا ضعيف".⁶

¹ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرطبي، ج28، ص109. الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص413. روح المعاني، ج28، ص59. فتح القدير، ج5، ص273. التحرير والتنوير، ج28، ص109.

² الجواهر الحسان، ج5، ص28.

³ التحرير والتنوير، ج28، ص109.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص382.

⁵ ابن عطية، المخر، ج5، ص335.

⁶ التسهيل، ج2، ص465.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بـ ﴿وَعَمَلِهِ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، أي كفره وظلمه، وهذا قول جمهور المفسرين، وبه قال الزمخشري، والنسفي، والخازن، وابن عادل.¹

بينما تأول بعض المفسرين أن المراد بالعمل هنا هو كناية عن الوطاء والمضاجعة وبهذا قال ابن عباس²، وهذا القول قد ضعفه، الإمام ابن جزى من غير أن يبين مستندا لتضعيفه له.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن كلا القولين يصح تفسير الآية بهما، وأما تضعيف الإمام ابن جزى لقول ابن عباس، فلم يذكر مستندا يؤيد وجه تضعيفه له فلعله قلد الإمام ابن عطية في ذلك، ولم أقف على من وافقهما في ما ذهبوا إليه.

المسألة السادسة والستون (66):

المراد بـ "نون" في قوله تعالى: ﴿تَنْ وَالْقَلَمِ﴾ [سورة القلم الآية 01].

القول المعقب عليه:

قال مجاهد وابن عباس: "نون اسم الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع".

وقال ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك: نون اسم للدواة.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا: "وقيل نون يراد بها الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة، وهذا لا يصح على أن نون بمعنى الحوت معروف في اللغة ومنه ذو النون، وقيل إن نون هنا يراد به الدواة، وهذا غير معروف في اللغة، ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن "نون" في مطلع سورة القلم حرف هجاء افتتحت به السورة، وهو كقوله: ﴿صَّ وَالْفُرْعَانِ﴾ [سورة ص الآية 01]، و ﴿يَسِّ﴾ [سورة يس الآية 01]، وهذا قول جمهور المفسرين⁵.

¹ ينظر: ابن عطية، المحرر، ج5، ص335. الكشف، ص1124. مدارك التأويل، ص1240. لباب التأويل، ص317. اللباب، ج18، ص604.

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص203.

³ ينظر: ابن عطية، المحرر، ج5، ص346.

⁴ التسهيل، ج2، ص471.

⁵ المحرر الوجيز، ج5، ص346.

واختاره الإمام أبو حيان والبيضاوي، والعكبري*، والسمين الحلبي، والقاسمي، والقشيري.¹

بينما حكى عن ابن عباس وغيره تأولين في معنى "ن":

أحدهما: أن نون يراد بها الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبعة.

والثاني: أن النون يراد به الدواة، واستدل من ذهب إلى هذا التفسير بما يلي:

أولاً: قال أبو هريرة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ "الثُّنَّ" وَهِيَ:

الدَّوَاةُ. وذلك قوله: ﴿نَّ وَالْقَلَمَ﴾، ثم قال أكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة». ² قال الثعالبي:

"وهذا الحديث هو الذي يعول عليه في تفسير الآية لصحته والله سبحانه أعلم".³

ثانياً: ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ الثُّنَّ وَهِيَ الدَّوَاةُ». ⁴

ولكن هذين الحديثين لا يعول عليهما في تفسير وبيان معنى الآية لأن النقاد قد تكلموا فيهما من جهة الإسناد،

فأما الحديث الأول: فقال الإمام الشوكاني بعد أن أورده: "أخرجه ابن الخطيب في تاريخ بغداد: قال ابن عدي

باطل منكر، وقال في الميزان: صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل".⁵

وأما الخبر الثاني فقد استغربه الحافظ ابن كثير حيث قال في هذا الصدد: "وهذا حديث مرفوع غريب جداً".⁶

وبالإضافة إلى ضعف الخبرين، لا يصح نسبة القولين إلى ابن عباس ومجاهد وفي هذا الصدد يقول أبو حيان: "وما يروى

عن ابن عباس ومجاهد أنه اسم الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وعن ابن عباس وقتادة والضحاك أنه اسم

الدواة، لعله لا يصح شيء من ذلك".⁷

وبعد تأمل ونظر يتبين أن الصحيح من الأقوال الأول وهو أن "نون" من الحروف الهجائية ويؤيد "هذا سكونه

وكتبه بصورة الحرف"⁸، وأما ما يروي عن ابن عباس وغير من بيان المراد بالنون اسم الحوت الأعظم أو الدواة فقد رده

وأبطله الإمام ابن جزي مستنداً إلى تعليقات لغوية أوردها الزمخشري، وأقره عليها الإمام السمين الحلبي.⁹

* هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي، يكتن بأبي البقاء، قرأ على ابن الخشاب والقاضي أبي يعلى، كما تتلمذ على يديه ضياء المقدسي وابن النجار، توفي سنة 616هـ، من أشهر تصانيفه: التبيان في إعراب القرآن، ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين، ج1، ص231.

¹ ينظر: أنوار التنزيل، ج5، ص233. البيان في إعراب القرآن، ص1234. الدر المصون، ج9، ص397. محاسن التأويل، ص5892. ابن عادل، اللباب، ج19، ص263.

² الألباني، السلسلة الضعيفة، ج13، ص676، وقال: حديث منكر.

³ الجواهر الحسان، ج5، ص464.

⁴ الألباني، السلسلة الضعيفة، ج3، ص407، وقال: حديث باطل.

⁵ ينظر: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص479.

⁶ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص58-59.

⁷ البحر المحيط، ج20، ص436.

⁸ البيضاوي، أنوار التنزيل، ج5، ص233.

⁹ ينظر: الدر المصون، ج9، ص397.

المسألة السابعة والستون (67):

المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج الآية 04].

القول المعقب عليه:

قال مجاهد: "الروح هنا ملائكة حفظة على الملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حفظتنا".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول مجاهد: "وهذا ضعيف مفتقر لصحة نقل".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالروح هنا جبريل عليه السلام، وهذا مروي عن ابن عباس وبه قال الجمهور، واختاره جمع من المفسرين كالزمخشري، والقرطبي، والنسفي، والشوكاني، والآلوسي، وأبي السعود، والقاسمي.³ بينما روي عن مجاهد أن الروح في الآية يراد بها ملائكة حفظة على الملائكة، وهذا القول حكم الإمام ابن جزى بضعفه لافتقاره إلى نقل صحيح.

والراجح من كلا القولين الأول وهو أن الروح هنا جبريل عليه السلام، وأفرد بالذكر بعد الملائكة لشرفه، ويؤيد هذا قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [سورة الشعراء الآية 193]، وأما قول مجاهد فمع جلالة قدره -رحمه الله- يبقى مجرد رأي عاري عن الحجة والدليل الذي يشهد له ويؤيده.

المسألة الثامنة والستون (68):

المراد بـ "البيت" في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَتِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ [سورة نوح الآية 30].

القول المعقب عليه:

قال ابن عباس: بيته شريعته ودينه، إستعار لها بيتا كما يقال قبة الإسلام وفسفاط الدين.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن عباس: "وهذا بعيد".⁵

¹ أبو حيان، البحر، ج20، ص512.

² التسهيل، ج2، ص485.

³ ينظر: ابن عادل، الباب، ج19، ص354. روح المعاني، ج29، ص57. الكشاف، ص1139. أحكام القرآن، ج21، ص233. مدارك التأويل، ص1258. فتح القدير، ج5، ص382. إرشاد العقل السليم، ج9، ص30. محاسن التأويل، ص5925.

⁴ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص492.

⁵ التسهيل، ج2، ص493.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالبيت في الآية هي داره، وهذا القول محكي عن ابن عباس، واختاره الإمام البغوي، وأبي السعود، وجوزة البيضاوي، والآلوسي، ومال إلى ترجيحه ابن كثير.¹ بينما روي عن ابن عباس أن المراد بالبيت شريعته، وقد جكاه القشيري عنه وبه قال جوير²، وقد استبعد الإمام ابن جزى هذا المعنى للبيت ولم يذكر تعليلاً لوجه استبعاده له. والراجح من كلا القولين الأول وهو أن المراد بالبيت داره لأنه الحقيقة، وأما تفسير البيت بالشرعة من باب الإستعارة، ففيه إخراج للكلام عن حقيقته التي وضع لها، وبهذا يتبين صواب ابن جزى في تعقبه له والله أعلم.

المسألة التاسعة والستون (69):

معنى المساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن الآية 18].

القول المعقب عليه:

قال سعيد ابن جبير، وطلق ابن حبيب: أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد واحداً مسجداً.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أنه عني بالمساجد هنا المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله وهذا مروي عن ابن عباس وعكرمة والحسن البصري⁵، وبه قال أكثر المفسرين واختاره البغوي، والقرطبي، والخازن، والنسفي، والآلوسي، والشوكاني.⁶ بينما فسر سعيد ابن جبير وطلق ابن حبيب، وابن عطاء، والفراء والزجاج المساجد بالأعضاء السبعة التي يسجد عليها واحداً مسجداً⁷، وهذا المعنى استبعده الإمام ابن جزى ولم يذكر مستنداً يؤيد ذلك.

¹ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص 1477. معالم التنزيل، ج 4، ص 480. إرشاد العقل السليم، ج 9، ص 420. أنوار التنزيل، ج 5، ص 250. روح المعاني، ج 29، ص 81. تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص 644.

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 21، ص 271. الماوردي، النكت والعيون، ج 6، ص 106.

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 21، ص 299. الرازي، مفاتيح الغيب، ج 30، ص 163.

⁴ التسهيل، ج 2، ص 497.

⁵ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج 22، ص 318.

⁶ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج 30، ص 163. معالم التنزيل، ج 8، ص 242. الجامع لأحكام القرآن، ج 21، ص 299. ولباب التأويل، ج 4، ص 352. مدارك التنزيل، ص 1270. روح المعاني، ج 29، ص 91. فتح القدير، ج 5، ص 409.

⁷ ينظر: الأصفاني، إعراب القرآن، ص 475. الآلوسي، روح المعاني، ج 29، ص 91. معاني القرآن للفراء، ج 3، ص 194.

وعليه فالراجح من كلا القولين الأول وهو أن المراد بالمساجد الأماكن المعدة للصلاة والعبادة ويشهد لهذا أقوال العلماء التالية:

قال القرطبي: "والقول بأنها البيوت المبنية للعبادة هذا أظهر الأقوال وهو المروي عن ابن عباس".¹
وقال الآلوسي: "والظاهر أن المراد بالمساجد المواضع المعدة للصلاة والعبادة".²

المسألة السبعون (70):

معنى "النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِمُ بِالتَّبْصِيسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة الآية 02].

القول المعقب عليه:

قال ابن عباس: معنى اللوامة هنا المذمومة.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن عباس: "هذا بعيد، لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات، ويستقيم إن لا أقسم نفي للقسم".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى النفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على فعل الذنوب والتقصير في الطاعات، وهذا قول الجمهور، ورجحه الشوكاني⁵، وهذه صفة مدح لذلك أقسم بها سبحانه كما أقسم بيوم القيامة. بينما فسّر ابن عباس النفس اللوامة بالمذمومة، فهي هنا صفة ذم وهذا القول استبعده ابن جزى، لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أرجح القولين الأول وهو أن معنى اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل الذنوب والتقصير في الطاعات، وقد أقسم الله بها كما أقسم بيوم القيامة، وهو قول الجمهور وصححه بعض المحققين كالحافظ ابن كثير حيث قال في هذا الصدد: "والصحيح أنه أقسم بمهما جميعا، كما قال قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، واختاره ابن جرير".⁶

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج 21، ص 406.

² روح المعاني، ج 29، ص 91.

³ ينظر: ابن الجوزي زاد المسير، ص 1492.

⁴ التسهيل، ج 2، ص 512.

⁵ ينظر: فتح القدير، ج 5، ص 445.

⁶ تفسير القرآن، ج 5، ص 674.

المسألة الواحد والسبعون (71):

المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [سورة الإنسان الآية 01].

القول المعقب عليه:

قال قتادة والثوري، وعكرمة والشعبي، إن المراد بالإنسان هنا آدم وهو المروي عن ابن عباس.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على هذا القول: "وقيل الإنسان هنا آدم، والحين الذي أتى عليه حين كان طينا، قبل أن ينفخ فيه الروح، وهذا ضعيف لوجهين، أحدهما: قوله: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه وهو هنا جنس بالإتفاق، والآخر أن مقصد الآية تحقير الإنسان".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن المراد بالإنسان في الآية إسم جنس، وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن جريج، واختاره الإمام ابن عطية والزخشي، والبيضاوي، والقاسمي.³

بينما حكى عن قتادة، وعكرمة والشعبي، أن المراد بالإنسان هنا آدم عليه السلام واختاره البغوي والقرطبي⁴ وقد ضعف هذا القول ابن جزي من وجهة السياق ويؤيد صحته قول الإمام البيضاوي: "والمراد بالإنسان الجنس"⁵ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾ [سورة الإنسان الآية 02].

وبعد نظر وتأمل يتبين أن أحسن القولين الأول وهو أن الإنسان هنا اسم جنس فيكون الإنسان في الموضعين واحد، وعلى هذا يكون نظم الآية أحسن⁶، وعليه يتضح صواب تعقب الإمام ابن جزي لقول قتادة والثوري وعكرمة، وغيره والله أعلم.

المسألة الثانية والسبعون (72):

معنى الأسير في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَبِئِهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [سورة الإنسان الآية 08].

القول المعقب عليه:

قال أبو حمزة الثمالي (150هـ): "الأسير هنا هي الزوجة".⁷

¹ ابن عادل، الباب، ج20، ص5.

² التسهيل، ج2، ص517..

³ ينظر: المحرر، ج5، ص408. الكشاف، ص1163. أنوار التنزيل، ج5، ص270. محاسن التأويل، ج17، ص6009.

⁴ ينظر: معالم التنزيل، ج4، ص521. الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص444.

⁵ أنوار التنزيل، ج5، ص270.

⁶ ينظر: ابن عادل، الباب، ج20، ص5.

⁷ ابن عطية، المحرر، ج5، ص411.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول أبي حمزة الثمالي "الأسير الكافر بين المسلمين في إطعامه أجر، وقيل إنه المرأة وهذا بعيد، والأول أرجح لأنه روي أن النبي ﷺ كان يؤتى إليه بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول أحسن إليه".¹

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالأسير الكافر بين المسلمين، وهذا القول مروى عن مجاهد وقتادة والحسن وجماعة.²

بينما قال أبي حمزة الثمالي: الأسير هنا المرأة ودليله قوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان».³ وبعد تأمل ونظر يتبين أن لفظ الأسير يحتمل كلا المعنيين، ويؤيد ذلك ما يلي:

أولا: يقول القفال (365هـ): واللفظ يحتمل كل ذلك، لأن أصل الأسر هو الشك بالقدر، وكان الأسير يفعل به ذلك".⁴ ثانيا: قال ابن رشد (595هـ): "والأظهر حمل الآية على كل أسير مسلما كان أو كافرا".⁵

المسألة الثالثة والسبعون (73):

معنى أَلَقْتُ في قوله تعالى: ﴿وَأَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [سورة الانشقاق الآية 04].

القول المعقب عليه:

معنى قوله: ﴿وَأَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي أَلَقْتُ ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وهذا القول مروى عن قتادة وبه قال الزجاج.⁶

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول قتادة والزجاج: وقيل أَلَقْتُ ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة".⁷

¹ التسهيل، ج2، ص519.

² ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج3، ص116. الرازي، مفاتيح الغيب، ج30، ص246.

³ ابن ماجه، السنن، كتاب النكاح، باب حق المرأة على الزوج، رقم: 1851. وحسنه الألباني

⁴ ابن عادل، اللباب، ج20، ص06.

⁵ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص530.

⁶ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص235. ابن عطية، المحرر، ج5، ص456.

⁷ التسهيل، ج2، ص552.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزري أن معنى قوله ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقَتْ ما في جوفها من الموتى للحشر، وهذا القول مروى عن سعيد ابن جبير، وبه قال الجمهور.¹

بينما روي عن قتادة والزجاج أن معنى قوله: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقَتْ ما فيها من الكنوز، وهذا المعنى للآية ضعفه الإمام ابن جزري، مستندا للسياق.

وبعد تأمل ونظر يتضح أن كلا التفسيرين صحيح في بيان معنى الآية نظرا لما يلي:

أولا: أن نظائر القرآن تشهد لذلك كقوله: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْفَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة الآية 02]، وكقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِبَاءً أَمْواتاً وَأَمْواتاً﴾ [سورة المرسلات الآية 25-26].

ثانيا: أن المحققين كالزخشري، والنسفي وأبي السعود والرازي، وابن عادل والهازن جمعوا بين كلا القولين في بيانهم لمعنى الآية.²

المسألة الرابعة والسبعون (74):

معنى "الشفق" في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْسِسُ بِالْشَّفَقِ﴾ [سورة الانشقاق الآية 16].

القول المعقب عليه:

قال مجاهد والضحاك وابن أبي نجيح: الشفق هنا النهار.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على هذا القول: "الشفق هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقيل هو النهار كله وهذا ضعيف، والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزري أن الشفق هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وهذا القول مروى عن ابن عباس، وبه قال جماعة من الصحابة التابعين، منهم ابن عمر وسعيد ابن المسيب، وهو مذهب عامة العلماء.⁵

¹ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج21، ص283.

² ينظر: الكشاف، ص1189، مدارك التأويل، ص1310. إرشاد العقل السليم، ج9، ص132. مفاتيح الغيب، ج31، ص105. اللباب، ج20، ص250. لباب التأويل، ج4، ص408.

³ ينظر: أبي حيان، البحر المحيط، ج21، ص288.

⁴ التسهيل، ج2، ص560.

⁵ ينظر: النكت والعيون، ج6، ص237. تفسير القرآن للسمعاني، ج3، ص191. لباب التأويل للهازن، ج4، ص409.

بينما حكى عن الضحاك ومجاهد أن المراد بالشفق في الآية النهار، وقد ضعف هذا القول ابن جزي.

وعليه يتبين أن الراجح من القولين الأول وهو أن الشفق هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس وبهذا المعنى فسره أئمة اللغة والتأويل وإليك بعض أقوالهم كالاتي:

قال الإمام ابن عادل: "واعلم أن الصحيح في الشفق، أنه الحمرة، لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه وشواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له".¹

قال صاحب الصحاح: "الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قرب من العتمة".²

قال الخليل: "الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخر إذا ذهب".³

المسألة الخامسة والسبعون (75):

معنى السماء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [سورة الطارق الآية 01].

القول المعقب عليه:

قال قوم: السماء هنا المطر.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد".⁵

الدراسة: ذكر المفسرون في معنى السماء قولان هما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزي أن المراد بالسماء في الآية السماء المعروفة وهي التي أقسم الله بها، وهذا قول جمهور أهل التأويل.⁶

القول الثاني: قال: قوم إن المراد بالسماء هنا المطر، واستدلوا نصرة لهذا الرأي بأن العرب تسميه المطر سماء، لما كان من السماء، وتسمي السحاب سماء ومن ذلك قول الشاعر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ *** رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَاباً⁷

¹ اللباب، ج20، ص236.

² المرجع نفسه، ج20، ص236.

³ المرجع نفسه.

⁴ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص574.

⁵ التسهيل، ج2، ص560.

⁶ ينظر: ابن عطية، المحرر، ج5، ص464.

⁷ ابن عطية، المحرر، ج5، ص464.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول وهو أن المراد بالسماء المعروفة، أرجح لدلالة السياق عليه واختيار جمهور المفسرين له، وأما القول الثاني وإن ورد ما يدل عليه في كلام العرب، إلا أنه فيه عدول عن الظاهر، ثم إن الأشهر في الاستعمال عند العرب أن المراد بالسماء السماء المعروفة.

المسألة السادسة والسبعون (76):

معنى الغاشية في قوله تعالى: ﴿هَلْ آتَيْكَ حَدِيثَ الْغَاشِيَةِ﴾ [سورة الغاشية الآية 01].

القول المعقب عليه:

قال سعيد ابن جبير ومحمد بن كعب الأحبار: "الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفار".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول سعيد ابن جبير وكعب الأحبار: "وهذا ضعيف، لأنه ذكر بعد ذلك قسمين أهل الشقاوة وأهل السعادة".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أنه عني بالغاشية هنا يوم القيامة، وهذا القول مروى عن ابن عباس، والضحاك وقتادة، وابن زيد، وبه قال سفيان والجمهور، واختاره البغوي والحافظ ابن كثير والزمخشري، ورجحه الإمام الفخر الرازي.³ بينما روي عن سعيد ابن جبير ومحمد بن كعب الأحبار بأن الغاشية هنا هي النار تغشى وجوه الكفار، وهذا القول قد ضعفه الإمام ابن جزى مستندا إلى السياق، ويؤيد صحة ذلك قول الآلوسي: "الغاشية القيامة كما قال سفيان والجمهور، وقال محمد ابن كعب وابن جبير هي النار من قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [سورة إبراهيم الآية 52]، وليس بذلك فإن ما سيرى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة".⁴

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أصح القولين الأول وهو أن المراد بالغاشية يوم القيامة لأنه المروي عن السلف وجمهور أهل التأويل ورجحه أهل التحقيق وفي هذا الصدد يقول أبي السعود: "والغاشية هي القيامة، وقيل هي النار، والأول هو الحق، فإنه ما سيرى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها، بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا".⁵

¹ ابن عادل، اللباب، ج 20، ص 289.

² التسهيل، ج 2، ص 566.

³ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج 6، ص 257. تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 984. ابن عطية، المحرر، ج 5، ص 472. معالم التنزيل، ج 4، ص 603. الكشف، ص 1196. مفاتيح الغيب، ج 31، ص 151.

⁴ روح المعاني، ج 30، ص 112.

⁵ إرشاد العقل السليم، ج 9، ص 148.

المسألة السابعة والسبعون (77):

معنى الضريع في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [سورة الغاشية الآية 06].

القول المعقب عليه:

قال الخليل: "الضريع نبات أخضر منتن الريح يرمي به البحر"، وقال المتوكل بن حمدان (311هـ): "الضريع شجر من نار جهنم".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على كلا القولين: "في الضريع أربعة أقوال: أحدها: أنه شوك يقال له البشرق، وهو سم قاتل وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه ولأن النبي ﷺ قال: «الضريع شوك في النار»، وقيل إنه نبات أخضر منتن ينبت في البحر وهذا ضعيف، وقيل إنه واد في جهنم وهذا ضعيف لأن ما يجري في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الضريع: شوك يقال له البشرق، وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، وقتادة وأبو الجوزاء³، وبه قال الجمهور وصححه الإمام القرطبي⁴ ويشهد له كلام العرب من ذلك ما قال أبي ذئب:

رَعَى الشُّبْرُقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إِذَا دَوَّى *** وَعَادَ ضَرِيعًا بَانَ مِنْهُ النَّحَائِصُ

وقال الهذلي يذكر إبلا وسوء مرعاها:

وَحُسْنٌ فِي هَزَمِ الضَّرِيعِ وَكُلُّهَا *** حَدْبَاءُ دَامِيَّةُ الْيَدَيْنِ حَرُودٌ⁵

بينما قال الخليل: الضريع نبت أخضر منتن يرمي به البحر، وقال المتوكل بن حمدان: "شجر من نار جهنم" وكلا هذين القولين ضعفهما الإمام ابن جزى.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أرجح الأقوال أن الضريع شوك يقال له البشرق، لأنه المروي عن السلف، وجمهور أهل اللغة والتفسير عليه، وبه جزم أهل التحقيق كالقرطبي، والبيضاوي وأبي السعود.⁶

¹ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج5، ص573. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص246.

² التسهيل، ج2، ص566.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص384.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص246.

⁵ ينظر: الشوكاني فتح القدير، ج5، ص573.

⁶ ينظر: أنوار التنزيل، ج5، ص307. إرشاد العقل السليم، ج9، ص149.

المسألة الثامنة والسبعون (78):

المراد بالإبل في قوله تعالى: ﴿أَبَلًا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [سورة الغاشية الآية 17].

القول المعقب عليه:

قال أبو العباس المبرد: "المراد بالإبل هنا السحاب".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول المبرد: "وهذا بعيد".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالإبل في الآية الجمال المعروفة، وهذا قول الجمهور، واختاره الثعالبي، ورجحه الماوردي، وصححه الإمام النحاس.³

بينما فسر أبو العباس المبرد الإبل بالسحاب، وهذا القول مع جلالة قائله قد استبعده الإمام ابن جزى، وانتقده غير واحد من المفسرين وإليك أقوالهم كما يلي:

قال الثعالبي: "وقيل في الإبل هنا السحاب، ولم أجد لذلك أصلا في كتب الأئمة".⁴

وقال الشوكاني: "وقال المبرد: الإبل هنا القطعة العظيمة من السحاب، وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة".⁵

وقال الإمام النحاس: "الإبل في معناها قولان: أحدها أنها السحاب، والصحيح أنها الجمال وذلك المعروف في كلام العرب".⁶

وقال العلامة ابن عاشور: "وعن المبرد أنه فسر الإبل في هذه الآية بالأسحبة وتأوله الزمخشري بأنه لم يرد أن الإبل من أسماء السحاب ولكنه أراد أنه من قبيل التشبيه".⁷

وبعد تأمل ونظر يتبين أن الصحيح من القولين هو أن الإبل هنا يراد به الجمال المعروفة، وبهذا قال الجمهور ورجحه أهل التحقيق وفي هذا الصدد يقول الماوردي: "في الإبل وجهان: أحدهما وأظهرهما وأشهرهما أنها الإبل من النعم".⁸

¹ ابن عطية، المخر، ج5، ص474.

² التسهيل، ج2، ص566.

³ ينظر: الجواهر الحسان، ج5، ص583. النكت والعيون، ج6، ص262. إعراب القرآن، ص1314.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص251.

⁵ فتح القدير، ج5، ص575.

⁶ إعراب القرآن، ص1314.

⁷ التحرير والتنوير، ج30، ص305.

⁸ النكت والعيون، ج6، ص262.

المسألة التاسعة والسبعون (79):

المراد بالفجر في قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾ [سورة الفجر الآية 01-02].

القول المعقب عليه:

ذكر أهل التأويل أقوال في المراد بالفجر فعن ابن عباس ومجاهد فجر يوم النحر، وعن عكرمة فجر يوم الجمعة، وعن الضحاك فجر ذي الحجة، وعن زيد بن أسلم صلاة الفجر وعن الحبر النهار كله، وقيل فجر العيون من الصخور وغيرها.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذه الأقوال بعد أن أوردتها: "أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح، وقيل أراد صلاة الفجر، وقيل أراد النهار كله، وقيل فجر يوم الجمعة، وقيل فجر يوم النحر، وقيل فجر ذي الحجة، ولا دليل على هذه التخصيصات، وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالفجر في الآية الفجر المشهور المعروف الطالع كل يوم وهذا القول مروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن الزبير وغيرهم، وبه قال جمهور أهل التأويل.³ بينما روي عن ابن عباس، وعكرمة والضحاك وزيد بن أسلم تخصيص الفجر بيوم معين كفجر يوم الجمعة، أو فجر يوم النحر، أو فجر ذي الحجة وغيرها مما سبقت الإشارة إليه، وما ورد عن السلف من أقوال قد ضعفها الإمام ابن جزى مستند إلى عدم ورود دليل يقتضي التخصيص، ومما يؤيد صحته كلامه ما قاله العلامة الآلوسي: "والمراد عند كثير جنس الفجر لا فجر يوم مخصوص".⁴

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أرجح الأقوال الأول وهو أن المراد بالفجر الفجر المعروف الطالع كل يوم، وبهذا قال الجمهور، وهو المأثور عن جمع من الصحابة كعلي، وابن الزبير، وحبر الأمة ابن عباس.⁵

¹ ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج30، ص120.

² التسهيل، ج2، ص568.

³ ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج30، ص120. النعالي، الجواهر الحسان، ج5، ص585.

⁴ روح المعاني، ج30، ص120.

⁵ ينظر: أبي السعود، إرشاد العقل، ج9، ص161.

المسألة الثمانون (80):

معنى كبد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد الآية 04].

القول المعقب عليه:

"قال ابن عباس وعبد الله بن شداد وأبو صالح والضحاك ومجاهد: في كبد معناه منتصب القامة واقفا".¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "في كبد أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، وقيل معنى في كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف والأول هو الصحيح".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى قوله تعالى: ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، وهذا قول جمهور المفسرين، وصححه الإمام ابن عطية ورجحه الإمام النحاس³، ويؤيد هذا ظاهر كلام العرب من ذلك قول ذو الإصبع العدواني:

وَلِي إِبْنُ عَمٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَبَدٍ *** لَطَلَّ مُحْتَجِزاً بِالنَّبْلِ يَرْمِينِي
وقول لبید:

يَا عَيْنِ هَلَّا بَكَيْتِ أَرَادِ إِذْ *** قُمْمَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ⁴

بينما روي عن ابن عباس، وأبو صالح والضحاك، ومجاهد أنهم قالوا في معنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ أي خلقناه منتصب القامة واقفا ولم نجعله منكبا على وجهه، وهذا القول ضعفه ابن جزى والإمام الألوسي حيث قال: "﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي في تعب ومشقة، وعن ابن عباس، وعبد الله بن شداد، وأبي صالح والضحاك، ومجاهد أنهم قالوا أي خلقناه منتصب القامة واقفا، ولم نجعله منكبا على وجهه، وقال ابن كيسان*: أي منتصبا رأسه في بطن أمه فإذا أذن له في الخروج قلب رأسه إلى قدمي أمه، وهذه الأقوال كلها ضعيفة لا يعول عليها".⁵

¹ ابن عطية، المحرر، ج5، ص484.

² التسهيل، ج2، ص575.

³ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص590. المحرر، ج5، ص484. إعراب القرآن، ص1323.

⁴ ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ص1323.

* هو محمد بن أحمد، يكنى بأبو الحسن، أحد أعلام مدرسة البصرة، أخذ عن أبو العباس المبرد وثعلبة، من تصانيفه: المذهب في النحو، توفي سنة 299هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص18-19.

⁵ روح المعاني، ج30، ص135.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن الصحيح من القولين الأول وهو ما ذهب إليه الجمهور من أن معنى قوله ﴿خَلَفْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، ويؤيد صحته ظاهر كلام العرب¹، واختيار المحققين له.

المسألة الواحد والثمانون (81):

معنى ضالا في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَبْ﴾ [سورة الضحى الآية 07].

القول المعقب عليه:

قال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى: معنى ﴿ضَالًّا﴾ هنا: أي حامل الذكر لا تعرف ولا تذكر فهدى الناس إليك حتى عرفوك².

وقيل: إن معنى ﴿ضَالًّا﴾ أي عن الهجرة فهذا³، ولا ينسب لقائل.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا عن كلا هذين القولين بعد أن ساقهما: "﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن الهجرة فهذاك إليها، وهذا ضعيف، لأن السورة نزلت قبل الهجرة، وقيل: وجدك حامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك، وهذاهم بك، وهذا بعيد من المعنى المقصود"⁴.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الأظهر من الأقوال في معنى قوله سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَبْ﴾ أي وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهذاك إليها، فالضلال عبارة عن التوفيق في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَذَرُهُ مَا أَلْكَتُبُ وَلَا أَلَايَمُنُ﴾ [سورة الشورى الآية 49]، وهذا القول مروى عن ابن عباس والضحاك والحسن وشهر ابن حوشب وابن كيسان، وبه قال جمهور المفسرين وصوبه الإمام ابن عطية، واختاره الإمام الزجاج⁵.

بينما حكى بعض المفسرين أن معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ أي ضالا عن الهجرة فهذاك إليها، وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى مبينين لمعنى ﴿ضَالًّا﴾ هنا أي حامل الذكر لا تعرف ولا تذكر، فهدى الناس إليك

¹ ينظر: النحاس، إعراب القرآن، ص 1323.

² ابن الجوزي، زاد المسير، ص 1562.

³ ينظر: ابن عادل، اللباب، ج 20، ص 389. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 22، ص 343.

⁴ ينظر: التسهيل، ج 2، ص 583.

⁵ ينظر: ابن عادل، اللباب، ج 20، ص 389. ابن الجوزي، زاد المسير، ص 1562. المحرر الوجيز، ج 5، ص 494، الألوسي، ج 30، ص 162.

حتى عرفوك، وقد تعقب الإمام ابن جزى كلا هاذين المعنيين، فالأول ضعفه مستندا إلى أحوال النزول، والثاني استبعده معتمد على السياق.

ومحصلة الكلام أن العلماء ذكروا عدة أقاويل في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ إلا أن أصوبها الأول وهو قول الجمهور لأنه المروي عن السلف، وبه قال أكثر المفسرين، واختاره المحققين كالإمام ابن عطية والزجاج وأبي مظفر السمعاني¹ وتشهد لوجهاته نظائر القرآن² كقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أُلْكَبْتُ وَلَا أَلَيْمٌ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة يوسف الآية 03].

المسألة الثانية والثمانون (82):

المراد بالفراش في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [سورة القارعة الآية 03].

القول المعقب عليه:

المراد بالفراش في الآية: "الجراد الصغير" وهذا قول الفراء.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا: "وهو ضعيف".⁴

الدراسة:

ذكر المفسرون ثلاث تأويلات في المراد بالفراش في هذه الآية وهي:

القول الأول: أنه غوغاء الجراد الذي ينتشر في الأرض ويركب بعضه بعضا من الهول، قاله الفراء، واختاره العلامة ابن عاشور كما في قوله: "والفراش فرخ الجراد حين يخرج من بيضه من الأرض يركب بعضه بعضا وهو كما في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [سورة القمر الآية 07].⁵

القول الثاني: أنه الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح، قاله الإمام ابن جزى، وابن قتيبة والزجاج⁶ وهو المتبادر من كلام ابن منظور فقد قال: "والفراش دواب مثل البعوض تطير".⁷

¹ ينظر: تفسير القرآن، ج3، ص245.

² الألوسي، ج30، ص162. أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج9، ص171.

³ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص1581. أبو حيان، البحر المحيط، ج21، ص458.

⁴ التسهيل، ج2، ص603.

⁵ التحرير والتنوير، ج30، ص512.

⁶ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص1581.

⁷ لسان العرب، ج11-12، ص157.

القول الثالث: أنه طير يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب قاله أبو عبيدة وقتادة، واختاره الخازن¹ وانتقده العلامة ابن عاشور مستندا إلى السياق حيث قال: "وقد يطلق الفراش على ما يطير من الحشرات ويتساقط على النار ليلا وهو إطلاق لا يناسب تفسير لفظ الآية هنا".²

وبعد تأمل ونظر يتبين أن العلماء اختلفوا في تأويلاتهم للمراد بالفراش على وجوه لكن كلها ترجع إلى معنى واحد وهو الإشارة إلى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم³، ولهذا جمع بعض أهل العلم بين تلك الأقوال عند تفسيرهم للمراد بالفراش حيث يقول أبو مظفر السمعاني في هذا الصدد: "الفراش هو صغار الحيوان من البق والبعوض والجراد وما يجتمع عند ضوء السراج".⁴

المطلب الثاني: التعقبات المتعلقة بتوجيه الخطاب ومن عني به، وأسباب النزول

لقد أوتي الإمام ابن جزى فهما ثاقبا وسمعا مرهفا وحاسة قوية وعقلا حاذقا مكنه تعقب أقوال غيره في المسائل التي يمكن أن تسمى غامضة كتوجيه الخطاب ومن عني به، وأسباب النزول ونحو ذلك، فهذه الأمور قد تخفى حتى على العلماء فضلا عن العامة والبسطاء، لهذا تجد كثيرا من المفسرين يحكون فيها الأقوال من غير تمييز بين سقيمها وصحيحها، لكن هذا لم يكن صنيع الإمام ابن جزى بل كان يعرضها على ميزان النقد عنده.

المسألة الأولى (01):

هل الخطاب موجها لمن كان موجودا في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا فَضِيَّ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة الآية 116].

القول المعقب عليه:

الخطاب هاهنا لمن كان موجود على حالة فيأمر بأن يكون على حالة أخرى كإحياء الموتى ومسح الكفار وهذا القول مروى عن الأصم.⁵

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزى كلام الأصم بقوله: "وهذا ضعيف لأنه تخصيص من غير مخصص".⁶

¹ الماوردي، النكت والعيون، ج 6، ص 327. لباب التأويل، ج 4، ص 462.

² التحرير والتنوير، ج 30، ص 512.

³ ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج 30، ص 221.

⁴ تفسير القرآن، ج 3، ص 273.

⁵ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ط 1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1401 هـ، ج 4، ص 31. أبي حيان، البحر المحيط، ج 2، ص 466.

⁶ التسهيل، ج 1، ص 81.

الدراسة:

ذكر العلماء في توجيه الخطاب لمن يكون في الآية قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الشيء الذي يقول له كن فيكون، هو موجود في علم الله، وإنما يقول له كن ليخرجه إلى العيان لنا، وهذا القول اختاره الرازي* وأبو حيان.¹

القول الثاني: ذهب الأصم إلى أن الخطاب في الآية لمن كان موجوداً على حالة، فيأمر بأن يكون على حالة أخرى، كإحياء الموتى ومسح الكفار.

وبعد نظر في كلا القولين يتبين، أن القول الذي ذهب إليه ابن جزى، أوجه، ويؤيد هذا اختيار الإمامين الرازي، وأبو حيان له، وأما القول الثاني فبعيد لأمرين:

- 1- أن الإمامين الرازي وأبي حيان قد ضعفا هذا القول، وهذا فيه تأكيد وزيادة تأكيد لوجهة وصواب ما اختاره ابن جزى.
- 2- أن قول الأصم فيه تخصيص من غير مخصص لمعنى الآية كما قال الإمام ابن جزى، وقد نفى دعوى تخصيصها الإمام الطبري حيث قال: "وأولى الأقوال بالصواب في قوله وإذا قضى أمر أن يقال هو عام في كل ما قضاه الله ودبره لأن ظاهر ذلك ظاهر عموم".²

المسألة الثانية (02):

لمن موجه الأمر على قراءة الكسر لقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة الآية 124].

القول المعقب عليه:

الأمر موجه على قراءة الكسر في قوله ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله أذكروا نعمتي³، وهذا القول مروى عن الإمام المهدي*، والأخفش⁴.

* هو محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني، تتلمذ على يده أحمد بن خليل الخوي، وتاج الدين الأرموي، توفي سنة 606هـ، من تصانيفه: مفاتيح الغيب، والمحصل. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص248.

¹ ينظر: مفاتيح الغيب، ج4، ص31. البحر المحيط، ج2، ص466.

² جامع البيان، ج2، ص449.

³ قال أبو حيان: "وأما قراءة وتخذوا على الأمر، فختلف من المواجه به فقبل إبراهيم وذريته وقبل النبي ﷺ وقبل هو معطوف على قوله: وإذا جعلنا البيت مثابة للناس وقبل المواجه به بنوا إسرائيل" ثم تعقب الثالث والأخير بقوله: "وهذان القولان بعيدان". البحر المحيط، ج1، ص505.

* هو أحمد بن عمار، يُكنى بأبي العباس، نحوي ومفسر، وعالم بالقراءات واللغة، قرأ على محمد بن سفيان وعلى جده لأمه مهدي بن إبراهيم وأبي الحسن أحمد بن محمد القنطري، وقرأ عليه غانم بن الوليد وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مطرف الطبري، توفي سنة 440هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص351.

** هو سعيد بن مسعدة، أحد أعلام مدرسة البصرة، توفي 211هـ، من أشهر تصانيفه: إعراب القرآن، ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص590.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص373. النحاس، إعراب القرآن، تح: خالد العلي، ط2، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1429هـ، ج1، ص62. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص207.

التعقيب:

وتعقب ابن جزى قول المهدي والأخفش بقوله: "وهذا بعيد".¹

الدراسة:

نقل المفسرون في توجيه خطاب الأمر مذهبا وهما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن خطاب الأمر على قراءة الجمهور موجه للنبي ﷺ وأمته وقد سبقه إلى هذا ابن عطية حيث قال: "فهذا أمر لأمة محمد ﷺ"²، ويؤيد رجاحة هذا القول ما روي عن عمر رضي الله عنه «قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ»³، قال الطبري بعد أن أورد أثر عمر: "والخبر الذي ذكرناه عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ، يدل على خلاف الذي قاله هؤلاء، وأنه أمر من الله تعالى ذكره بذلك رسول الله ﷺ، والمؤمنين به، وجميع الخلق المكلفين".⁴

القول الثاني: ويرى البعض أن الأمر على قراءة الجمهور في الآية موجه لبني إسرائيل، وهذا محكي عن الإمام المهدي والأخفش.

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول وهو أن الأمر على قراءة الكسر موجه للنبي ﷺ، وأمته أوجه لثبوت أثر عمر وترجيح الحققين له؛ وأما القول الثاني، فقد استبعده أيضا أبو حيان، وهذا فيه تأيد لتضعيف ابن جزى واستبعاده له.

المسألة الثالثة (03):

هل الآية في شأن قوم نوح لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِفْتَرِيهٖ﴾ [سورة هود الآية 13].

القول المعقب عليه:

اختيار ابن عطية أن تكون الآية في شأن نوح، عليه السلام، فيكون الضمير في يقولون لقوم نوح، وفي افتراه لنوح لثلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها⁵، وهذا القول مروى عن ابن عباس وبه قال الجمهور.⁶

¹ التسهيل، ج 1، ص 83.

² المحرر الوجيز، ج 1، ص 207.

³ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر، رقم 2399.

⁴ جامع البيان، ج 2، ص 524.

⁵ التسهيل، ج 1، ص 396.

⁶ ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج 11، ص 437.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول ابن عطية: "وهو بعيد".¹

الدراسة:

انقسم العلماء في بيان شأن الآية إلى قولين وهما كالآتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الآية في شأن النبي ﷺ مع مشركي مكة، فالضمير في يقولون لكفار قريش، وفي افتراه لمحمد ﷺ وهذا القول مروى عن مقاتل²، واختاره ابن كثير وابن عاشور.³

القول الثاني: قيل إن الآية في شأن نوح وقومه، وهذا القول مروى عن ابن عباس، ومقاتل، واختاره الإمام ابن عطية والشوكاني، وأبي حيان، والقرطبي.⁴

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الثاني وهو أن الآية حكاية عن نوح وما قاله لقومه أولى بتفسيرها ويؤيد ذلك ما يلي:

أولا: أن سياق الكلام قبل الآية وبعدها مع نوح عليه السلام.⁵

ثانيا: أن هذا القول هو المروى عن السلف كعبد الله ابن عباس وغيره كما ذكر القرطبي، وتفسير السلف مقدم على أي تفسير آخر.⁶

وأما من قال بأن الآية هي حكاية عن المحاورة الواقعة بين نبينا محمد ﷺ وكفار مكة يعني قريش، فيبقى اعتباره متوقف على سند صحيح كما أفاد بذلك الإمام أبو حيان.⁷

المسألة الرابعة (04):

ما إسم الملك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ﴾ [سورة يوسف الآية 43].

القول المعقب عليه:

اسم الملك المشار إليه في الآية فرعون موسى عمر أربعمئة سنة حتى أدرك موسى ذكر ذلك ابن جزى، ولم أقف على من أورده ونسبه في كتب التفسير المشهورة.⁸

¹ المرجع نفسه، ج 1، ص 396.

² الألوسي، روح المعاني، ج 11، ص 437.

³ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 646. التحرير والتنوير، مج 5، ص 63.

⁴ ينظر: فتح القدير، ج 2، ص 692. البحر المحيط، ج 12، ص 247. الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 107.

⁵ الشوكاني، فتح القدير ج 2، ص 692.

⁶ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 107.

⁷ ينظر: البحر المحيط، ج 12، ص 247.

⁸ التسهيل، ج 1، ص 417.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على من قال بهذا القول: "وهذا بعيد".¹

الدراسة:

اختلف في اسم الملك المذكور في الآية فحكى فيه المفسرون قولان:

القول الأول: قال الإمام ابن جزى إن اسم الملك في الآية الريان بن الوليد، وهذا القول مروى عن مجاهد، ومقاتل، ومحمد بن اسحاق²، واختاره الزمخشري، والقرطبي، والماوردي^{*}، والشوكاني، والآلوسي، وأبو حيان.³

القول الثاني: قيل إن اسم الملك في الآية هو فرعون موسى، وهذا القول أورده ابن جزى ولم يسنده إلى أحد، ولم أقف على من ذكره في كتب التفسير.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن قول من قال إن اسم الملك الريان بن الوليد أقرب إلى الصواب ويؤيد ذلك رواية السلف له، وتفسير السلف مقدم على كل تفسير، لذلك قال به فطاحلة هذا الفن كالزمخشري، والشوكاني، والآلوسي، وأبي حيان، وأما القول الثاني، فلا يخفى بعده لذلك لم ينص عليه مشاهير المفسرين.

المسألة الخامسة (05):

هل حافظ السقاية نادى بأمر يوسف في قوله تعالى: ﴿أَيَّتَهَا الْعِيزُ﴾ [سورة يوسف الآية 70].

القول المعقب عليه:

قيل "إن المنادي نادى بالتسريق بغير أمر يوسف".⁴

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد لتفتيش الأوعية".⁵

الدراسة:

ذكر المفسرون قولان في أمر حافظ السقاية وإليك بيانهما:

¹ التسهيل، ج1، ص417.

² ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير بالمأثور، ج11، ص629.

^{*} هو علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري، يُكنى بأبي الحسن الماوردي، أحد أعلام الفقه الشافعي، تعلم على يد الحسن بن علي بن محمد الجبلي المحدث وغيرهم، كما أخذ عنه توفي سنة 450هـ، من أشهر تصانيفه: الأحكام السلطانية، ينظر: الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص427.

³ ينظر: الكشاف، ص517. الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص359. النكت والعيون، ج3، ص41. فتح القدير، ج2، ص42. روح المعاني، ج12، ص348. البحر المحيط، ج12، ص484.

⁴ ابن الجوزي، زاد المسير، ص709.

⁵ التسهيل، ج1، ص422.

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن حافظ السقاية في الآية نادى بأمر يوسف، وهذا القول اختاره أبو السعود، ومال إلى ترجيحه القرطبي.¹

القول الثاني: وذهب البعض أن حافظ السقاية نادى بناء على زعمه من غير أمر يوسف، وهذا القول اختاره الرازي.²

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن الغرض من كلا التقديرين الفرار من إساءة الظن بمقام النبوة وهو أن يعزى إلى يوسف عليه السلام الكذب، إلا أن ما ذهب إليه ابن جزى أولى، وأليق بالسياق ويؤيده كلام أبي السعود حيث قال: "هذا الخطاب إن كان بأمر يوسف فلعله أريد بالسرقة أخذهم له من أبيه، ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب، وإلا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه، والأول هو الأظهر الأوفق للسياق".³

المسألة السادسة (06):

هل الأمر بالرجوع من قول يوسف في قوله سبحانه: ﴿إَرْجِعُوا إِلَيَّ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [سورة يوسف الآية 81].
القول المعقب عليه:

قيل إن الأمر بالرجوع في الآية من قول يوسف وهذا القول ذكره ابن عطية والآلوسي، وغيرهما ولم ينسبوا لقائل.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهو بعيد".⁵

الدراسة:

ذكر أهل التأويل في الأمر بالرجوع في الآية قولان وهما:

القول الأول: قيل إن الأمر بالرجوع في الآية من قول كبيرهم وهذا قول ابن جزى ورجحه الإمام أبو حيان، وابن عطية والرازي، والثعالبي، والآلوسي والشوكاني.⁶

¹ ينظر إرشاد العقل السليم، ج4، ص294.

² مفاتيح الغيب، ج18، ص183.

³ إرشاد العقل السليم، ج4، ص294.

⁴ ينظر: روح المعاني، ج12، ص452.

⁵ التسهيل، ج1، ص424.

⁶ ينظر: البحر المحيط، ج12، ص539. موسوعة التفسير، ج11، ص81. الجواهر الحسان، ج3، ص345. روح المعاني، ج12، ص452. فتح القدير، ج3، ص64.

القول الثاني: وقيل إن الأمر بالرجوع في الآية من قول يوسف عليه الصلاة والسلام، وهذا القول ساقه أئمة التفسير كابن عطية، والآلوسي وغيرهما ولم ينسبوا لقائل.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أرجح لاختيار المفسرين له، وأما القول الثاني فقد استبعده العلامة الآلوسي حيث قال: "وقيل هو من كلام يوسف عليه السلام، وفيه بعد"¹، وهذا يتضمن تقوية وتأييد وزيادة نصرته لما رجحناه قريبا (أي القول الأول) والله أعلم.

المسألة السابعة (07):

مكان أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [سورة الكهف الآية 09].

القول المعقب عليه:

قيل إن مكان الكهف هو بين غضبان وآيلة دون فلسطين²، وذكر الإمام ابن عطية: أن مكانهم بالأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة، وفيه موتى ومعهم كلب.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على كلا القولين: "فقل إنه بمقربة من فلسطين، وقال قوم، إنه الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك وقال إنه دخل عليهم، ورآهم وعليهم مسجدا، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم، قد بقي جدرانها، وروي أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم، ومما يبعد ذلك ما روي أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ولم يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضا فإن الموتى الذين في غار لوشة يراهم الناس ولم يدرك أحد منهم الرعب الذي ذكره الله في أصحاب الكهف".⁴

الدراسة:

أورد المفسرون أقوالا في بيان مكان أصحاب الكهف وإليك عرضا كالاتي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن مكان أصحاب الكهف ليس بمعين وإنما هو مبهم، وبهذا جزم الحافظ ابن كثير، والعلامة الشنقيطي.

¹ روح المعاني، ج12، ص452.

² ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1430هـ، ص613. أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج5، ص206.

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص357.

⁴ التسهيل، ج1، ص503.

القول الثاني: حكى بعض المفسرين كالزخشري والقرطبي، وابن عطية أقوال مفادها تعين أماكن أصحاب الكهف، فقيل هو بين آيلة وغضبان دون فلسطين، وقيل هو بالأندلس بمدينة تسمى لوشة من جهة غرناطة، وهذا القول استبعده الإمام القرطبي وتبعه الإمام ابن جزري وفي هذا الصدد يقول: "ما ذكر من رأيه -الإمام ابن عطية- لهم بالأندلس فإنما هم غيرهم، لأن الله تعالى يقول في حق أصحاب الكهف: ﴿لَوْ إِطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [سورة الكهف الآية 18]، وقال ابن عباس لمعاوية لما أراد رؤيتهم قد منع الله من هو خير منك عن ذلك".¹

وبهذا يتبين أن أصح القولين الأول وهو أن موضع مكان أصحاب الكهف مبهم ليس معين، فيتوقف على ما ذكره القرآن ولا يتكلف في معرفة مكانهم إذ لا فائدة ولا مصلحة دينية في ذلك، وجزما بهذا الإمام ابن كثير والعلامة الشنقيطي، وإليك نصّ كلامهما كالاتي:

قال الحافظ ابن كثير: "ولم يخبر تعالى بمكان هذا الكهف، ولا في أي بلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا، والله أعلم بأي بلاد هو، ولو كان فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه، فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بمكانه".²

وقال العلامة الشنقيطي: "وأعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبارا إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها".³

ويشهد أيضا لصواب تعقب الإمام ابن جزري على من زعم تحديد مكان أصحاب الكهف على وجه التعيين القاعد التي قررها العلماء في الترجيح وهي: "لا يصح حمل الآية على أمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة".⁴

المسألة الثامنة (08):

لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ [سورة طه الآية 16].

القول المعقب عليه:

قيل إن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ لمحمد ﷺ وهذا قول الإمام النقاش* رحمه الله.⁵

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص358.

² تفسير القرآن العظيم، ج3، ص111.

³ أضواء البيان، ج4، ص20.

⁴ حسين الحري، قواعد الترجيح، ج1، ص191.

* هو محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي البغدادي، يكنى بأبي بكر، أخذ عن هارون الأخفش وإسماعيل النخاس، توفي سنة 351هـ، من أشهر تصانيفه: معاني القرآن، ينظر: الذهبي، طبقات القراء، تح: أحمد خان، ط1، 1418هـ/1997م، ج1، ص368-372.

⁵ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج14، ص270.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول النقاش: "الخطاب في الآية لموسى عليه السلام، وقيل لمحمد ﷺ وذلك بعيد".¹

الدراسة:

ذكر المفسرون في المراد بالخطاب في الآية قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى رحمه الله أن الخطاب في قوله تعالى: ﴿بَلَا يَصُدُّكَ﴾ لموسى عليه الصلاة والسلام وهذا القول اختاره الإمام أبو حيان، ومال إلى ترجيحه الرازي.²

القول الثاني: ويرى النقاش أن الخطاب في الآية لمحمد ﷺ، واختار هذا الإمام ابن الجوزي³ وهذا القول قد انتقده ابن عطية وأبي حيان وفي هذا الصدد يقول: "وأبعد من ذهب إلى أنه خطاب للنبي ﷺ لفظا ولأتمته معنا".⁴ وبعد تأمل ونظر يتبين أن كلا القولين فيه تخصيص من غير دليل، وبناء على ذلك فحمل لفظ الخطاب على العموم أولى وهو القول الذي اختاره ابن كثير حيث قال: "المراد بالخطاب آحاد المكلفين، أي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة، وأقبل على ملاذه في دنياه، وعصى مولاه واتبع هواه، فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر".⁵

المسألة التاسعة (09):

لمن موجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ [سورة المؤمنون الآية 52].

القول المعقب عليه:

الخطاب في الآية ههنا موجه لرسول الله وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وهذا القول مروى عن الحسن، ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي، واختاره من المفسرين الرازي وابن عطية.⁶

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا: على هذا القول بعد أن أورده "وقيل الخطاب لسيدنا محمد ﷺ وأقامه مقام الجماعة وهذا بعيد".⁷

¹ التسهيل، ج2، ص17.

² ينظر: البحر، ج15، ص31. مفاتيح الغيب، ج22، ص23.

³ ينظر: زاد المسير، 902.

⁴ البحر المحيط، ج15، ص31.

⁵ تفسير القرآن، ج3، ص212.

⁶ ينظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج6، ص128. مفاتيح الغيب، ج23، ص106. الثعالبي، الجواهر الحسان، ج4، ص145-146.

⁷ التسهيل، ج2، ص73.

الدراسة:

اختلف في تعيين من يشمله الخطاب في الآية، ويمكن تلخيص مآذكره المفسرون في قولين وهما كما يلي:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الخطاب في الآية يعم جميع الرسل، وهذا القول رجحه من المفسرين البيضاوي، والزنجشري، وأبي السعد، وابن عاشور.¹

القول الثاني: روي عن الحسن ومجاهد والسدي والكلبي، واختاره الرازي ومال إليه ابن كثير من أن الخطاب لرسول الله. وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الذي تسعفه الأدلة ويقضي به السياق هو أن الخطاب في الآية يعم جميع الأنبياء وذلك لعدة قرائن وهي:

- 1- أن هذا أسلوب شائع عند العرب في خطاب الجماعات وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور: "الخطاب للجميع وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام وهي شائعة في خطاب الجماعات ومنه ركب القوم دواجم".²
- 2- أن هذا القول نص عليه الحديث الصحيح الصحيح فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً...»³، قال الإمام الثعالبي: "والصحيح في تأويل الآية أنه أمر للمرسلين كما هو نص صريح في الحديث الصحيح، فلا معنى للتردد في ذلك".⁴
- 3- أن هذا القول يعضده سياق الآيات التي بعده كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ وَأُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة المؤمنون الآية 52] ولهذا قال الثعالبي: "وهذه الآية يقوي أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ إنما هو مخاطبة لجميعهم، وأنه بتقدير حضورهم".⁵

المسألة العاشرة (10):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾

﴿لِلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر الآية 16-17].

القول المعقب عليه:

فعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.⁶

¹ ينظر: أنوار التنزيل، ج4، ص90. الكشف، ج2، ص710. التحرير والتنوير، مج8، ص68.

² التحرير والتنوير، ج8، ص68.

³ صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها، رقم: 1015.

⁴ الجواهر الحسان، ج4، ص102.

⁵ المرجع نفسه، ج4، ص102.

⁶ تفسير القرآن العظيم، ج4، ص99. سليم عيد الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ج3، ص169.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول عبد الرحمان بن أسلم "وهذا ضعيف، لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة، والآية مكية".¹

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن حكم هذه الآية عام لا يقيد بسبب، وهذا القول صححه الإمام ابن كثير، وابن عطية.²

القول الثاني: ما روي عن زيد بن أسلم أن الآية نزلت في عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي.

وبعد تأمل ونظر يتبين صواب القول الأول الذي مفاده أن الآية عامة نظرا لجلالة قدر القائلين به، وأما القول الثاني فقد رواه الطبري في تفسيره، إلا أن³ " في إسناده علتان: أحدها: الإرسال.

والثانية: أن فيه عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، متروك الحديث".

وما تقدم بيانه من توهين العلماء لرواية عبد الرحمان بن زيد من جهة الإسناد تتضمن تأكيد لصواب تضعيف ابن جزى له من جهة المعنى، لأن الآية مكية، وسلمان أسلم بالمدينة.

المسألة الحادي عشر (11):

المعنيون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا﴾ [سورة فصلت الآية 29].

القول المتعقب عليه:

المعنيون في الآية هاهنا هم المؤذنون، وهذا مروي عن عائشة ومجاهد وعكرمة، وجابر.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وقيل المؤذنون وهذا بعيد لأنها مكية، وإنما شرع الأذان بالمدينة، ولكن المؤذنون يدخلون في العموم".⁵

¹ التسهيل، ج2، ص266.

² ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص99. الخر، ج4، ص529.

³ سليم بن عيد الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، ط3، دار ابن الجوزي، السعودية، 1434هـ، ج3، ص169.

⁴ ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص1258.

⁵ التسهيل، ج2، ص293.

الدراسة:

اختلف المفسرون في بيان المعنيون في الآية فذكروا قولان هما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الآية عامة ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله، أو طاعته على العموم، وهذا القول مروى عن الحسن، وصححه ابن كثير، واستحسنه القرطبي، ورجحه الشوكاني.¹

القول الثاني: ما روي عن عائشة ومجاهد وعكرمة أن المعنيون في الآية المؤذنون.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن حمل الآية على العموم أولى، كما يقتضيه ظاهر اللفظ، ويدخل في معناها دخولاً أولياً من كان سبباً في نزولها أما من قصر تفسير معناها على المؤذنون بناء على سبب النزول فقد أجاب على هذا، الإمام الشوكاني حيث قال: "ويجاب عن هذا أن الآية مكية، والأذان إنما شرع بالمدينة".²

المسألة الثاني عشر (12):

لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بِكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ [سورة ق الآية 22].

القول المعقب عليه:

قال زيد بن أسلم: الخطاب في الآية للنبي ﷺ.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول زيد بن أسلم: "وقيل خطاب لسيدنا محمد ﷺ وهذا في غاية الضعف، لأنه خروج عن سياق الكلام".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بهذا الخطاب في الآية الإنسان البر والفاجر وهذا القول مروى عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس و عليه أكثر المفسرين واختاره الإمام ابن جرير والحافظ ابن كثير.⁵

بينما يرى زيد بن أسلم أن المراد بالخطاب هنا النبي ﷺ وهذا القول ضعفه ابن جزى لمخالفته السياق وافقه ابن كثير حيث قال بعد أن ساقه: "والثالث أن المخاطب بذلك النبي ﷺ، وبه يقول زيد بن أسلم وابنه...

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص419. تفسير القرآن العظيم، ج4، ص170. فتح القدير، ج4، ص674.

² فتح القدير، ج4، ص675.

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص445. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج20، ص479.

⁴ التسهيل: ج2، ص365.

⁵ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص446. تفسير القرآن العظيم، ج4، ص344-345.

والظاهر من السياق خلاف هذا"¹، ورده أيضا أبو حيان حيث قال²: "وعن زيد بن أسلم قول في هذه الآية يحرم نقله، وهو في كتاب ابن عطية".

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أولى القولين بالصواب من ذهب إلى أن المراد بالخطاب الإنسان وهو المعتمد عند أئمة التحقيق ويشهد له السياق.

المسألة الثالث عشر (13):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة الآية 21].

القول المعقب عليه:

قال سفيان: "يرون أنها نزلت في من يخالط السلطان".³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الآية تعم جميع مآذكر من أسباب النزول وفي هذا الصدد يقول: "وقيل إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله، والأحسن أنها على العموم"⁵، ونحن هذا قال القاسمي* وابن عاشور.⁶ بينما حكى سفيان ابن عيينة: أن الآية نزلت في من يخالط السلطان، وهذا القول استبعده ابن جزى معللا بأن الأحسن حمل الآية على العموم.

ومن خلال ما سبق يتبين أن أحسن القولين هو من ذهب إلى أن الآية عامة، ولا تختص بسبب للنزول ويؤيد صحة هذا قول الإمام القاسمي: "وقد بينا مرارا، أن المراد بسبب النزول في مثل ذلك، صدق الآية على هؤلاء وما أوتوا من التصلب في دين الله في مقابلة المفسدين ولو كانوا من أقرب الأقربين".⁷

¹ تفسر القرآن العظيم، ج4، ص244.

² البحر المحيط، ج19، ص368.

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص500.

⁴ التسهيل، ج2، ص424.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص424.

* هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، أحد أعلام الشام في التفسير والأدب، تعلم على يد محمد سليم العطار، ومحمد جميل الشطي، وتلمذ على يده محمد البرز، توفي سنة 1322هـ، من أشهر تصانيفه: قواعد التحديث، ومحاسن التأويل، ينظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص135.

⁶ ينظر: التحرير والتنوير، ج28، ص57. محاسن التأويل، ص5729.

⁷ محاسن التأويل، ص5729.

المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بعلوم القرآن

تنوّعت تعقبات الإمام ابن جزى لمسائل علوم القرآن لتشمل الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول والإسرائيليات وغيرها، وفي هذا المبحث سنعرض لذكر تلك المسائل قصد الوقوف عليها، ودراستها للوصول إلى خلاصة القول فيها.

المطلب الأول: التعقبات المتعلقة بالنسخ

مما لا يسع المفسر جهله معرفة الناسخ والمنسوخ من النصوص، وانطلاقاً من هذا نجد أئمة التأويل كثيراً ما يتكلمون عن هذا الحكم عند بيانهم لمعاني الآيات والسور، والإمام ابن جزى قد حذى حذوا أولئك الفطاحلة الجهابذة إلا أن المميز في عرضه لتلك المسائل، أنه لم يكتفي بمجرد حكاية أقوال وآراء المفسرين في ذلك، بل كان ممحصاً ومدققاً، ولهذا كثرت إعتراضاته وتعقباته، ونظراً لأهمية هذه الاعتراضات أفردتها بمطلب مستقل مرتباً لها كالاتي:

المسألة الأولى (01):

الإحكام والنسخ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْفِصَاصُ﴾ في الْقَتْلَى الْحُرِّ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَمِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ إِعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [سورة البقرة الآية 177].
القول المعقب عليه:

قيل إن هذه الآية نسخت بآية المائدة وهي قوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ وَبِهَا أَنْ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ [سورة المائدة الآية 47]، وهذا القول مروى عن ابن عباس وهو قول أهل العراق.¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول ابن عباس: "ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة وهو قوله ﷺ: «لَا يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ»² والناسخ لها على القول بالنسخ عموم قوله: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾ على أن هذا ضعيف، لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل".³

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص245. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص245.

² أبو داود، السنن، كتاب الديات، باب من قتل عبده أو مثله به أَيْقَاضُ منه، رقم: 4517.

³ التسهيل، ج1، ص96.

الدراسة:

للمفسرين في حكم الآية قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن هذه الآية محكمة، ولذلك ضعف دعوى نسخها بآية المائدة، وهذا قول الإمام ابن عطية، والقرطبي، والقاسمي، والبيضاوي، وابن عاشور وغيرهم.

القول الثاني: ذهب ابن عباس وأهل العراق أن الآية منسوخة بآية المائدة.

وبعد تأمل في كلا القولين يتبين أن دعوى نسخ هذه الآية بآية المائدة لا تصح نظر لما يلي:

- 1- أن دعوى النسخ قد نفاها بعض المفسرين تصريحاً وتلميحاً، يقول الإمام البيضاوي: "ومن سلم دلالة فليس له دعوى نسخه بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾¹ لأنه حكاية ما في التوراة، فلا ينسخ ما في القرآن".¹
- 2- أنه من المتقرر من القواعد التي تتعلق بالنسخ، أنه لا يصار إلى النسخ إلا إن تعذر الجمع²، والجمع ممكن فقد روي عن ابن عباس وغيره في ما ذكر أبو عبيدة أن هذه الآية محكمة، وفيها إجمال فسرته آية المائدة³، ومن صور الجمع كذلك بين هاتين الآيتين ما ذكره القاسمي حيث قال: "هذه الآية مفسرة لما أبهم في آية المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿النَّفْسُ بِالنَّفْسِ﴾، كما أنها مقيدة وتلك مطلقة والمطلق يحمل على المقيد"⁴.
- 3- أن رد دعوى النسخ لم ينفرد بها الإمام ابن جزى بل نص عليها كبار حذاق أئمة التفسير وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور: "ونقل عن ابن عباس أن هذا كان حكماً في صدر الإسلام، ثم نسخ بآية المائدة: أن النفس بالنفس، ونقله في الكشف عن سعيد ابن المسيب، والنخعي، والثوري، وأبي حنيفة ورده ابن عطية والقرطبي بأن آية المائدة حكاية عن بني إسرائيل، فكيف تصلح نسخاً لحكم ثبت في شريعة الإسلام، أي حتى على القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا فمحله ما لم يأت في شرعنا خلافه"⁵.

المسألة الثانية (02):

الإحكام والنسخ في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة الآية 255].

¹ أنوار التنزيل، ج1، ص122.

² ينظر: ابن عثيمين، شرح نظم الوراقات، ص129.

³ ابن عطية المحرر، ج1، ص245.

⁴ تفسير القاسمي ج2، ص402.

⁵ التحرير والتنوير، ج2، ص138.

القول المعقب عليه:

قيل: إن هذه الآية منسوخة بالقتال، وهذا القول مروى عن ابن مسعود، وسليمان بن موسى، وابن زيد وكثير من المفسرين.¹

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزى قول ابن مسعود، وابن زيد وغيرهما بقوله: "وهذا ضعيف لأنها مدنية، وإنما آية المسالبة بمكة".²

الدراسة:

اختلف العلماء في معنى الآية على قولين:

القول الأول: ذهب جماعة من العلماء أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوِيَهُمْ جَهَنَّمُ وَبَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة الآية 74]، وهذا القول مروى عن ابن مسعود، وذهب إليه كثير من المفسرين³ واستدلوا بفعل النبي ﷺ أنه قد أكره العرب على دين الإسلام وقتلهم، ولم يرض منهم إلا به.

القول الثاني: يرى الإمام ابن جزى أن هذه الآية محكمة، وقال الشعبي وقتادة والحسن والضحاك، هي محكمة لكنها خاصة بأهل الكتاب، فإنهم لا يكرهون على الإسلام، إذا أدوا الجزية، وإنما يجبر على الإسلام أهل الأوثان، وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير ومجاهد: نزلت هذه الآية في الأنصار⁴، واستدل له بما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: «سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِعَجُوزٍ نَصْرَانِيَّةٍ: أَسْلِمِي أَيُّهَا الْعَجُوزُ تَسْلَمِي، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ. قَالَتْ: أَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ وَالْمَوْتُ إِلَيَّ قَرِيبٌ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَتَلَا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾».⁵

وبالنظر والتأمل في كلا القولين يتبين، أن القول الثاني أقرب إلى الصواب ألا وهو الإحكام نظرا لما يلي:

1- أن أدلة من ذهب إلى القول بنسخ الآية بالقتال لم يسلم لها، وناقشها بعض المفسرون وفي هذا الصدد يقول ابن عاشور: "والاستدلال على نسخها، بقتال النبي ﷺ العرب على الإسلام، يعارضه أنه عليه السلام أخذ الجزية من جميع الكفار فوجه الجمع هو التنصيص".⁶

¹ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص27. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص280. أحكام القرآن، ج1، ص310.

² التسهيل، ج1، ص122.

³ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص470.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص27.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام في القرآن، ج4، ص281.

⁶ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص310.

2- أن دعوى نسخ الآية قد ضعفها الإمام ابن العربي بالمعقول والمنقول وفي هذا الصدد يقول: "لا إكراه عموم في نفي إكراه الباطل، فأما الإكراه بالحق فإنه من الدين، وهل يقتل الكافر إلا على الدين، قال ﷺ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»¹، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا ابْتِغَاهُ الْقَاتِلُونَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرَةً﴾ [سورة الأنفال الآية 39]، وبهذا يستدل على ضعف من قال إنها منسوخة".²

3- أن هذه الآية مدنية، وآية القتال نزلت بمكة، ولا يتصور نسخ القرآن المدني بالمكي، لتقدم المكي في النزول والتاريخ، وهذا على القول الراجح عند علماء علوم القرآن.

المسألة الثالثة (03):

النسخ والإحكام في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [سورة الحج الآية 76].

القول المعقب عليه:

قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿بَاتُّفُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن الآية 16]، وهذا القول محكي عن مقاتل والكلبي.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول مقاتل والكلبي: "وفي ذلك نظر".⁴

الدراسة:

اختلف المفسرون في نسخ الآية فذكروا قولان هما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الآية محكمة، وهذا قول جماعة من المفسرين كالرازي والقرطبي، وابن الجوزي، والشوكاني، وابن عطية وابن القيم.⁵

القول الثاني: حكي عن مقاتل والكلبي أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿بَاتُّفُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

¹ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب "فإن تابوا وأقاموا الصلاة..."، رقم: 25.

² أحكام القرآن، ج1، ص310.

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص450. الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص640.

⁴ التسهيل، ج2، ص66.

⁵ ينظر: مفاتيح الغيب، ج23، ص73. زاد المسير، ص966. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج15، ص232.

وبعد تأمل في كلا القولين يتبين أن من قال بأن الآية محكمة أصوب نظرا لما يلي:

- 1- أن دعوى النسخ شكك في صحتها إلى مقاتل والكلبي الإمام الرازي واستبعدا ولذلك اكتفى الإمام الماوردي بإيرادها من غير عزوها لقائل وهذا خروجا عن المؤلف من صنيعه في عزو الأقوال لأصحابها.¹
- 2- أن الإمامان القرطبي والشوكاني، بيئا أنه لا حاجة إلى تقدير النسخ والمصير إليه.²
- 3- أن النسخ مجرد دعوى مزعومة كما قال الإمام ابن الجوزي بل نفى عدم جوازها الإمام أبو جعفر النحاس حيث قال: "وهذا مما لا يجوز أن يقع فيه نسخ، لأنه واجب على الإنسان".³

المسألة الرابعة (04):

الإحكام والنسخ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَفِئَتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ﴾ [سورة محمد الآية 04].

القول المعقب عليه:

قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿بِأَفْتَلُوا الْمَشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [سورة التوبة الآية 05]، وهذا محكي عن قتادة، والضحاك، والسدي، وابن جريج.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وقيل لا يجوز المن ولا الفداء لأن الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿بِأَفْتَلُوا الْمَشْرِكِينَ﴾ فلا يجوز على هذا إلا قتلهم، والصحيح أنها محكمة".⁵

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الآية محكمة، وهذا القول مروي عن ابن عباس، وابن عمر والحسن وعطاء، وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول الثوري والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق، وأبو عبيدة ورجحه الإمام الطبري، والبغوي، والشوكاني، والقرطبي، وأبو مظفر السمعاني.⁶

¹ ينظر: النكت والعيون، ج4، 41.

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص450. فتح القدير، ج3، ص640.

³ الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص451.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص244.

⁵ التسهيل، ج2، ص340.

⁶ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج20، ص194. الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص244. فتح القدير، ج5، ص41. تفسر القرآن، ج3، ص169. معالم التنزيل، ج4، ص152.

بينما يرى قتادة والسدي وابن جريج أن الآية منسوخة بآية التوبة.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول وهو أن الآية محكمة أرجح نظر لما يلي:

1- أن القول بالنسخ مجرد دعوى زعمها بعض العلماء وفي هذا الصدد يقول ابن كثير: " ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية المخيرة بين مفاداة الأسير، والمن عليه منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة الآية 05] ".¹

2- أن عمل رسول الله والخلفاء من بعده ينفي دعوى النسخ، ويفيد أن الآية محكمة يقول القرطبي: "والآية محكمة، والإمام مخير في كل حال، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وقاله كثير من العلماء، وهو مذهب ابن عمر، والحسن وعطاء وهو الاختيار، لأن النبي والخلفاء الراشدون فعلوا كل ذلك، قتل النبي عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا، وفادى سائر أسارى بدر، ومن على أبي الجمحي، وقتل بنو قريضة وقد نزلوا على حكم سعد وساروا في يده سلما، ومن على ثمامة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، وأخذ من سلمة بن الأكوع جارية ففادى بها أناسا من المسلمين، وقد من على سبي هوازن، وهذا كله ثابت في الصحيح".²

3- أنه لا معنى لإثبات حكم النسخ مع إمكان العمل بالآيتين.³

4- أنه إذا دار الأمر في الآية بين الإحكام والنسخ فأول هو المرجح.⁴

5- أن هذا القول تؤيده أقوال العلماء التالية:

قال الإمام أبو مظفر السمعاني: "في الآية أقوال أحدها أنها محكمة، وهو المعروف. والقول الثاني: أن الآية منسوخة، والأول أولى الأقاويل، لأنه ثبت بروايات كثيرة، أن النبي فادى كثيرا من الأسارى، ومن على كثير من الأسارى، على ما ذكر في الكتب الصحيحة".⁵

وقال الشوكاني بعد أن حكى خلاف العلماء في حكم الآية أم محكمة أو منسوخة والأول هو الراجح.⁶

وقال البغوي: "وهذا هو الأصح والاختيار لأنه عمل به رسول الله والخلفاء بعده"⁷، وبنحو كلام البغوي قال ابن عادل.⁸

¹ تفسير القرآن العظيم، ج4، ص272-273.

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص244.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص246-247.

⁴ تفسير القاسمي، ج15، ص5375.

⁵ تفسير القرآن، ج3، ص169.

⁶ ينظر: فتح القدير، ج5، ص41.

⁷ معالم التنزيل، ج4، ص152.

⁸ تفسير ابن عادل، ج17، ص433.

المسألة الخامسة (05):

النسخ في قوله تعالى: ﴿مَا أَبَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [سورة الحشر الآية 07].

القول المعقب عليه:

قال زيد بن رومان وقتادة هي منسوخة بما في سورة الأنفال.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول قتادة وزيد: "وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال، وإيجاف الخيل والركاب، وأما هذه الآية ففي حكم الفبيء وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب فكل واحد من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى، فلا تعارض بينهما ولا نسخ".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الآية محكمة، وبهذا قال ابن كثير والقرطبي، وابن عطية وابن العربي، والقاسمي.³ بينما روي عن قتادة وزيد بن رومان أنها منسوخة بآية الأنفال وهذا القول خطأ ابن جزى مستندا إلى أمرين:
الأول: أن آية الأنفال نزلت قبل آية الحشر بمدة ولا يمكن أن ينسخ المتقدم المتأخر.
والثاني: نفي التعارض بين الآيتين، ولا يسار إلى النسخ إلا عند التعارض.
وبناء على هذا فالصواب أن الآية محكمة ويؤيد ذلك مايلي:

- 1- أن دعوى النسخ ردها كثير من الأئمة كالإمام ابن العربي، وابن مكى وغيرهما.⁴
- 2- أنه لا تعارض بين الآيتين ولا تنافي كما وضع الإمام الطبري حيث قال في هذا الصدد: "وأما القول الأول إنها منسوخة. فلا معنى له، لأنه ليس أحدهما تنافي الأخرى، فيكون النسخ".⁵
- 3- أن سورة الحشر نزلت بعد الأنفال فمن المحال أن ينسخ المتقدم المتأخر وفي هذا الصدد يقول ابن كثير: "وهذا الذي قاله بعيد، لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر، وتلك نزلت في بني النضير بعد بدر، ولا خلاف بين علماء السير قاطبة أن بني النضير بعد بدر، وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب".⁶

¹ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص350.

² التسهيل ج2، ص428.

³ تفسير القرآن العظيم، ج4 ص273. أحكام القرآن ج20، ص350. المخر، ج5، ص286. محاسن التأويل، ج16، ص58.

⁴ ينظر: أحكام القرآن، ج4، ص1773. الإيضاح، ص370-371.

⁵ النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج2، ص58.

⁶ أحكام القرآن، ج20، ص350. النحاس، الناسخ والمنسوخ، ج2، ص57-58.

المطلب الثاني: التعقبات المتعلقة بأسباب النزول والإسرائيليات

المسألة الأولى (01):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة الآية 36].¹

القول المعقب عليه:

قال ابن عباس وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وعطاء الخرساني، والحسن البصري إن هذه الآية نزلت في المشركين.²

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن أورده: "قيل هي في المشركين وهو ضعيف، لأن المشرك لا يختلف حكم توبته قبل القدرة عليه وبعدها".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الآية نزلت في المحاربين من المسلمين، ويؤيد هذا ما يلي:

أولاً: أن ظاهر السياق يقضي بهذا قال الشنقيطي: "والذي يدل عليه ظاهر القرآن أنها في قطاع الطريق من المسلمين، كما قال جماعة من الفقهاء بدليل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ بِأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة الآية 36]، فإنها ليست في الكافرين قطعاً، لأن الكافر تقبل توبته بعد القدرة عليه، كما تقبل قبلها إجماعاً لقوله تعالى: ﴿فُلْ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنفال الآية 38]."⁴

ثانياً: أن الإمام ابن عطية حكى الإجماع على هذا القول حيث قال: "ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم هذه الآية مترتب في المحاربين من أهل الإسلام"⁵ فكيف تنزل في المشركين ويكون حكمها يتناول المسلمين إجماعاً.

ثالثاً: ما رواه ابن جرير عن عامر الشعبي: «أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ خَرَجَ مُحَارِبًا، فَأَخَافَ السَّبِيلَ، وَسَفَكَ الدَّمَ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، ثُمَّ جَاءَ تَائِبًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ، فَقَبِلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوْبَتَهُ، وَجَعَلَ لَهُ أَمَانًا مَنْشُورًا عَلَى مَا كَانَ أَصَابَ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ».⁶

¹ قال ابن العربي: فيه خمسة أقوال: الأول: إلا الذين تابوا من أهل الكفر، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، الثاني: إلا الذين تابوا وحاربوا بأرض الشرك، الثالث: إلا المؤمنين الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم، الرابع: إلا الذين تابوا في حقوق الله قاله الشافعي ومالك، الخامس: قال الليث بن سعد، لا يطلب بشيء لا من حقوق الله ولا من حقوق الآدميين. أحكام القرآن، ج2، ص101.

² ينظر الطبري، جامع البيان، ج8، ص391-393.

³ التسهيل، ج2، ص238.

⁴ أضواء البيان، ج2، ص114.

⁵ المحرر الوجيز، ج2، ص174.

⁶ مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج7، ص542.

رابعاً: أن هذا القول استحسنه بعض المحققين من أئمة التفسير وفي هذا الصدد يقول القرطبي بعد أن ذكر اختيار ابن عطية أن هذه الآية في المحارب المؤمن، قلت هذا "قول حسن".¹

خامساً: أن قول ابن عباس أن الآية نزلت في المشركين قد بين ضعفه ابن العربي حيث قال: "أما قول من قال إن الآية في المشركين فهو الذي يقول إن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَابُوا﴾ عائد عليهم وقد بينا ضعفه".² ومحصلة القول أن ما ذهب إليه ابن عباس من أن الآية نزلت في المشركين مردود بظاهر السياق ومخالفته للإجماع.

المسألة الثانية (02):

هل الإخبار يتناول المنافقين وأهل الكتاب في قوله عز وجل: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْبُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية 29].
القول المعقب عليه:

قيل إن الآية هاهنا في المنافقين، وقيل هي في أهل الكتاب.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا: "وهذان القولان بعيدان، فإن الكلام أوله ليس في حق المنافقين ولا أهل الكتاب".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى الآية ظهر لهم يوم القيامة في صحائفهم ما كانوا يخفون في الدنيا من عيوبهم وقبائحهم، وهذا قول الرازي، وأبي السعود، والقاسمي.⁵

بينما حكى بعض المفسرين كالفخر الرازي، والإمام النسفي وغيرهما، أن الآية في المنافقين، وقيل في أهل الكتاب.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن كل هذه الوجوه التي أوردها المفسرون عند بيانهم لمعنى الآية يحتملها اللفظ، وقد نص على هذا بعض الجهابذة كالفخر الرازي حيث قال: "وأعلم أن اللفظ محتمل لوجوه كثيرة، والمقصود منها بأسرها، أنه ظهرت فضيحتهم في الآخرة، وانتهكت أستارهم وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [سورة الطارق الآية 09]"⁶.

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج7، ص434.

² أحكام القرآن، ج2، ص102.

³ ينظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص115. النسفي، ج1، ص308.

⁴ التسهيل، ج1، ص267.

⁵ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، ج12، ص204. إرشاد العقل السليم ج3، ص115.

⁶ المرجع نفسه، ج12، ص204.

المسألة الثالثة (03):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدُ عَلَى أَغْفَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِيْتِنَّا فَلِإِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَآمَرْنَا لِلتَّسْلِيمِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام الآية 71].
القول المعقب عليه:

"روي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق، دعاه أبوه وأمه إلى الإسلام فأبى".¹

التعقيب:

قال ابن جزري معقبا على هذا القول "ويطبل هذا قول عائشة ما نزل في آل أبي بكر شيء من القرآن إلا برائتي".²
الدراسة:

يرى الإمام ابن جزري بطلان قول من قال أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر، واستند في إبطاله لما روي في الصحيح عن عائشة، وما ذهب إليه ابن جزري من رده لما روي عن ابن عباس في سبب نزول الآية قد سبقه إليه الإمام ابن عطية حيث قال: وهذا ضعيف -أي ما روي عن ابن عباس- لأن في الصحيح أن عائشة لما سمعت قول القائل: إن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَى لَكُمْ أَتَعِدَّنِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْأَفْرُؤُ مِنْ قَبْلِي وَهَمَّا يَسْتَعْجِلُنِ اللَّهَ وَيَلْكَ عَامِسٍ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأحقاف الآية 16]، نزلت في عبد الرحمان بن أبي بكر قالت: كذبوا، «ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عُذْرِي»³، بالإضافة إلى ما قرره هاذين الإمامين، فقد راجعت بعض الكتب التي عنية بذكر أسباب النزول، كالواحدي، والإستيعاب، والصحيح المسند، فلم يوردوه.

المسألة الرابعة (04):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الذِّكْرَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [سورة الرعد الآية 31].

¹ ابن الجوزي، زاد المسير، ص 447. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 303.

² التسهيل، ج 1، ص 275.

³ المحرر، ج 3، ص 392. مساعد الطيار، الموسوعة، ج 8، ص 422. صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَتَى لَكُمْ أَتَعِدَّنِي﴾، رقم: 4827.

القول المعقب عليه:

نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله عام الحديبية فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن، أكتب ما نكتب نحن: بسمك اللهم فأنزل الله الآية وهذا قول مجاهد، وقتادة، ومقاتل، وابن جريج.¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن أورده: "وهذا ضعيف لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة أنكر فيها التسمية فقط".²

الدراسة: ذكر المفسرون في بيان سبب نزول الآية قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الآية مكية، وسبب نزولها ما روي أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو ويقول "يا الله يا رحمن"، فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمداً يدعو إلهين يدعو الله، ويدعو آخر يسمى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة يعني به: مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة؟ وهي بلدة في البادية، فنزلت هذه الآية. وهذا القول هو المعروف في سبب نزول هذه الآية كما قال الإمام البغوي، وأبي مظفر السمعاني.³

القول الثاني: وقيل إن الآية مدنيّة نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ وأتفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «اكتب» بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا: لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة -يعنون مسيلمة الكذاب- اكتب كما كنت تكتب: «باسمك اللهم»، فهذا معنى قوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [سورة الرعد الآية 31]، وهذا القول مروي عن مجاهد، وقتادة، ومقاتل، وابن جريج، ومال إليه الثعالبي والماوردي.⁴

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول في سبب النزول هو المعروف، لأن الآية مكية.

المسألة الخامسة (05):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ [سورة النحل الآية 41].

القول المعقب عليه:

فعن داود بن أبي هند*، قال: "نزلت في أبي جندل بن سهيل".⁵

¹ ينظر: أبي مظفر السمعاني، تفسير القرآن، ج2، ص93. البغوي، معالم التنزيل، ج2، ص531.

² التسهيل، ج1، ص437.

³ ينظر: معالم التنزيل، ج2، ص531. تفسير القرآن، ج2، ص93.

⁴ ينظر: البغوي معالم التنزيل، ج2، ص531. الجواهر الحسان، ج3، ص370. النكت والعيون، ج3، ص111.

* داود بن أبي هند القشيري، يكنى بأبي بوبكر أو أبو محمد البصري، من الثقات المتقين، توفي سنة 40هـ. ينظر: ابن حجر، تقريب التهذيب، تح: أبو الأشبال، د.ط، دار العاصمة، 1421هـ، ص309.

⁵ الواحدي، أسباب النزول، تح: ياسين الفحل، ط1، دار الفرقان، القاهرة، 1436هـ، ص414. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص326.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن ساقه: "وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك".¹

الدراسة:

اختلف المفسرون في من نزلت هذه الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ، بلال وعمار، وصهيب، وخباب بن الأرت، وعياش وجبر مؤلّيانٍ لقریش، أخذهم أهل مكة فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام، وهذا القول مروى عن ابن عباس، والكلبي.²

والثاني: أن الآية نزلت في أبي جندل بن السهيل قاله داود بن أبي هند.³

والثالث: أنها نزلت في جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ وهذا القول مروى عن قتادة، ومال إلى ترجيحه ابن كثير.⁴

وبعد تأمل ونظر يتبين أن المفسرون أوردوا عدة أسباب عند بيانهم لمعنى الآية إلا أن الصحيح في سبب نزولها هو ما روي عن قتادة، أنها نزلت في جميع المهاجرين، من أصحاب رسول الله ﷺ، وبهذا جزم بعض المفسرون كالثعالبي حيث قال عقب ذكره له "وهو الصحيح في سبب نزولها".⁵

المسألة السادسة (06):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف الآية 02].

القول المعقب عليه:

قال ابن زيد: نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا، فلما خرجوا نكثوا عنهم وتخلفوا".⁶

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن زيد: "وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾".⁷

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن حكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل، وهذا قول القرطبي، والقاسمي.⁸

¹ التسهيل، ج1، ص464.

² ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ص778. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص326.

³ الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص226.

⁴ ابن الجوزي، زاد المسير، ص778. تفسير القرآن العظيم، ج2، ص837.

⁵ الجواهر الحسان، ج3، ص419.

⁶ الماوردي، النكت والعيون، ج5، ص527. ابن عادل، اللباب، ج19، ص46.

⁷ التسهيل، ج2، ص441.

⁸ الجامع لأحكام القرآن، ج20، ص434. محاسن التأويل، ج16، ص58.

بينما روي عن ابن زيد أنها نزلت في المنافقين وهذا القول ضعفه الإمام ابن جزى معللاً بأن خطاب الآية وسياقها في أهل الإيمان ويؤيد صحته هذا التعليل قول الإمام ابن جرير: "ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا ولم يوصفوا بالإيمان".¹

وعليه يتبين أولى القولين الأول وهو أن حكم الآية عام في زجر من يقول ما لا يفعل، وأما قول ابن زيد فظاهر السياق يرده، وبهذا يتبين صواب تعقب الإمام ابن جزى، لقول ابن زيد والله أعلم.

المسألة السابعة (07):

سبب نزول قوله تعالى: ﴿بِأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الليل الآية 05-06].

القول المعقب عليه:

قال السدي: نزلت هذه الآية في أبي الدحداح الأنصاري بسبب ما كان يعلق في المسجد صدقة، وبسبب النخلة التي اشتراها من المنافق بجائط له".²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول السدي: "وهذا ضعيف لأنها مكية، وإنما أبو الدحداح بالمدينة".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن آية المدح نزلت في أبي بكر الصديق لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم، وهذا القول مروى عن ابن مسعود، وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم، وبه قال عامة المفسرين بل حكى الرازي إجماعهم، وحزم بصحته الإمامان الخازن وأبو مظفر السمعاني، ومال إلى ترجيحه العلامة ابن عاشور.⁴

بينما روي عن السدي أن هذه الآية نزلت في أبي الدحداح، وضعف هذا القول الإمام ابن جزى مستندا إلى أحوال النزول، وقد ضعفه أيضا الإمام الخازن حيث قال: "وهذا القول فيه ضعف لأن هذه السورة مكية، وهذه القصة كانت بالمدينة، فإن كانت القصة صحيحة تكون هذه السورة نزلت بمكة، وظهر حكمها بالمدينة".⁵

¹ جامع البيان، ج23، ص356.

² أبو حيان، البحر المحيط، ج21، ص387.

³ التسهيل، ج2، ص580.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص323. أحمد شاكر، عمدة التفاسير، ج3، ص697. لباب التأويل، ج4، ص435. تفسير

القرآن، ج3، ص238. التحرير والتنوير، ج30، ص382.

⁵ لباب التأويل، ج4، ص435.

وأوَّماً إلى ضعفه كذلك العلامة ابن عاشور وفي هذا الصدد يقول: "وقيل نزلت في أبي الدحداح مع رجل منافق، وهذا الأخير منتقض لأن السورة مدنية، وسبب النزول لا يخص العموم".¹

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتضح أن القول الذي تسعفه الأدلة الأول وهو أن الآية نزلت في أبي بكر وترجحه عدة قرائن هي:

أولاً: أن سياق الآية يقتضي ذلك يقول الإمام الخازن: "والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمّية ابن خلف لأن سياق الآيات يقتضي ذلك".²

ثانياً: أن الإمام الفخر الرازي حكى الإجماع عليه وفي هذا الصدد يقول: "أجمع المفسرون منا على أن المراد منه أبي بكر رضي الله تعالى عنه".³

ثالثاً: أن هذا القول صحح سنده إلى ابن عباس الإمام الحاكم كما ذكر العلامة الآلوسي.⁴

رابعاً: أنه جزم بصحته أهل التحقيق من أئمة التفسير كأبي مظفر السمعاني حيث قال في هذا الصدد: "والأصح أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق لأن السورة مكية على قول الجميع، فلا يستقيم أن تكون الآية نزلت في أحد من الأنصار".⁵

المسألة الثامنة (08):

اسم امرأة نوح ولوط في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [سورة التحريم الآية 10].

القول المعقب عليه:

قال مقاتل: "اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والهة".⁶

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على قول مقاتل: "وهذا يفتقر إلى صحة نقل".⁷

¹ التحرير والتنوير، ج30، ص382.

² لباب التأويل، ج4، ص435.

³ مفاتيح الغيب، ج31، ص205.

⁴ ينظر: روح المعاني، ج31، ص200.

⁵ تفسير القرآن، ج3، ص238.

⁶ أبو حيان، البحر المحيط، ج20، ص402.

⁷ التسهيل، ج2، ص464.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أنه لم يثبت نقل صحيح فيه ذكر لـ "اسم امرأة نوح وامرأة لوط بينما حكى عن مقاتل أن اسم امرأة نوح والهة، وامرأة لوط والعة، وهذا القول انتقده الإمام ابن جزى معللاً وجه رده بأنه يفتقر إلى صحة نقل ويؤيد صحة هذا قول الإمام الزمخشري: "وأما ما روي أن عائشة سألت رسول الله كيف سمي الله المسلمة - تعني مريم - ولم يسمي الكافرة؟ فقال بغضا لها، قالت وما اسمها؟ قال اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بيّن".¹

وبعد تأمل ونظر يتبين أن ما قاله مقاتل من أن اسم امرأة نوح والهة، وامرأة لوط والعة يحتاج حتى يثبت إلى نقل صحيح، لأن أثر عائشة أثر الصنعة عليه ظاهر.

¹ الكشاف، ص 1123.

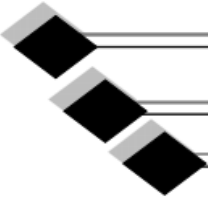


الفصل الثالث:

التعقبات المُتعلقة بالعلوم اللغوية والشرعية

المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالعلوم اللغوية

المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بالعلوم الشرعية



تمهيد:

لم يغفل الإمام ابن جزي أثناء إيضاحه لمعاني القرآن في تفسيره أقوال اللغويين والفقهاء، ولا غضاظة في ذلك، إذ إنّ أهل التراجم وصفوه بأنه أحد أرباب تلك الفنون، غير أن المميز في عرضه لتلك الآراء، كان يقف منها موقف المنصف فأحيانا يؤيد وأحيانا يعترض معتمدا على قرائن كدلالة السياق ونحوها...، ونظرا لهذا ولغيره خصصنا هذا الفصل لدراسة تلك التعقبات.

المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالعلوم اللغوية

انتقد الإمام ابن جزى بعض آراء اللغويين التي حكاها عند تناوله لبيان آيات وسور القرآن، وقد جاءت انتقاداته متنوعة لمسائل كثيرة، كالنحو والإعراب ومعاني حروف الجر والعطف وغيرها، ولهذا سنسلط الضوء في هذا المبحث لاستقراء تلك التعقبات، مُوردًا لها على وفق ترتيب المصحف.

المسألة الأولى (01):

بما تتعلق لعل؟ في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 20].
القول المعقب عليه:

"لعل" تتعلق هاهنا بقوله ﴿اعْبُدُوا﴾ وهذا قول الإمام المهدوي، واختاره القرطبي، وأبو حيان¹.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا "وقيل "لعل" في الآية يتعلق بقوله ﴿اعْبُدُوا﴾ وهذا ضعيف"².

الدراسة:

ذكر المفسرون قولان في تعلق "لعل":

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن "لعل" يتعلق بـ"بخلقكم" حيث قال: "لعل يتعلق بخلقكم: أي خلقكم لتتقوا، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات الآية 56]، أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون وهذا أحسن" وهذا القول اختاره الإمام ابن عطية، والزنجشري³.

القول الثاني: يرى الإمام المهدوي أن "لعل" يتعلق بـ ﴿اعْبُدُوا﴾ وقال بهذا بعض المفسرين كالبيضاوي، والسمين الحلبي⁴، وبه جزم القرطبي، وأبو حيان حيث قال: "﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ متصلة بـ ﴿اعْبُدُوا﴾ لا ﴿خَلَقَكُمْ﴾ لأن من ذرأه الله لجهنم لم يخلقه ليتقي وهذا وما كان مثله مما ورد في كلام الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية

72]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية 153]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 55]⁵.

¹ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 340. البحر المحيط، ج 1، ص 267.

² التسهيل، ج 1، ص 56.

³ ينظر: المحرر الوجيز، ج 1، ص 105. الكشف، ج 1، ص 57.

⁴ ينظر: الدرر المصون، ج 1، ص 179. وأنوار التنزيل، ج 1، ص 54.

⁵ الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 340.

وبهذا يتبين أن القول الثاني أقرب للصواب نظر لما يأتي:

أولاً: أن هذا القول رجحه وصححه أئمة التحقيق وإليك نص كلامهم.

قال أبو حيان: "والذي يظهر ترجيحه أن يكون لعلكم تتقون متعلق بقوله اعبدوا فالذي نودوا لأجله هو الأمر بالعبادة، فناسب أن يتعلق بها ذلك، وأتى بالموصول وصلته على سبيل التوضيح أو المدح للذي تعلقت به العبادة، فلم يجأ بالموصول ليحدث عنه، بل جاء في ضمن المقصود بالعبادة، وأما صلته فلم يجأ بها لإسناد مقصود لذاته، إنما جيء بها لتتميم ما قبلها، وإذا كان كذلك فكونها لم يجأ بها لإسناد يقتضي ألا يهتم لها أولاً، والمطلوب من المخاطبين، وإذا تعلق بقوله اعبدوا كان ذلك موافقاً، إذ قوله اعبدوا خطاب، ولعلكم تتقون خطاباً، وليست لعل هنا بمعنى كي لأنه قول مرغوب عنه ولكنها لترجي والاطماع وهو بالنسبة إلى المخاطبين، لأن الترجي لا يقع من الله إذ عالم الغيب والشهادة وهي متعلقة بقوله ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ فكأنه قال: إذا عبدتم ربكم رجوتهم التقوى، وهي التي تحصل بها الوقاية من النار والفوز بالجنة".¹

وقال السمين الحلبي: "والذي يظهر به صحته أن يكون ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ فالذي نودوا لأجله هو الأمر بالعبادة فناسب أن يتعلق بها ذلك".²

ثانياً: أن ما استند إليه أصحاب القول الأول (ابن جزري ومن تبعه) من تعليقات عقلية، لم يسلم لها وتولى نقدها أبو حيان وفي هذا الصدد يقول: "فأما التعليل الأول الذي ذكره الزمخشري الذي مفاده أن العبد مختار، وأنه لا يريد الله منه إلا الخير فهو مبني على مذهبه الاعتزالي ونصرته له، وأما التعليل الثاني: وهو دعوى تجاوب طرفا النظم، فليس بشيء، لأنه لا يمكن هنا تجاوب طرفا النظم لأن المعنى يصير اعبدوا ربكم لعلكم تعبدون أو تتقون ربكم لعلكم تتقون، وهذا بعيد في المعنى، إذ هو مثل اضرب زيدا لعلك تضربه، أو اقصد خالداً لعلك تقصده، ولا يخفى ما في هذا من غثاثة اللفظ وفساد المعنى والقرآن منزّه عن ذلك والذي جاء به القرآن هو في غاية الفصاحة".³

المسألة الثانية (02):

هل الفرقان⁴ وصف للتوراة أم اسم للقرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 52].

¹ البحر المحيط، ج 1، ص 266-267.

² الدر المصون، ج 1، ص 190.

³ أبي حيان، البحر المحيط، ج 1، ص 267.

⁴ قال ابن عطية اختلف في الفرقان هنا: فقال الزجاج وغيره هي التوراة أيضاً كرر المعنى لاختلاف اللفظ، ولأنه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل، ولفظ الكتاب لا تعطي ذلك.

القول المتعقب عليه:

الفرقان هاهنا اسم للقرآن ويكون معنى الآية آتينا موسى التوراة وآتينا محمدا الفرقان وهذا القول محكي عن الفراء، وقطرب.¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول قطرب، والفراء: "وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل"².

الدراسة:

للمفسرين في معنى الفرقان قولين:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، صفة للتوراة، وفي هذا الصدد يقول: "الفرقان: المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة، عطف عليها لاختلاف اللفظ" وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد، وأبو العالية واستحسنه القرطبي، ورجحه الإمام ابن جرير الطبري وهذا نص كلامه: "وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية، ما روي عن ابن عباس، وأبو العالية ومجاهد من أن الفرقان، الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع هو الكتاب الذي فرق بين الحق والباطل، وهو نعت للتوراة وصفة لها، فتكون الآية حينئذ: وإذ آتينا موسى التوراة التي كتبناها له في الألواح وفرقنا بها بين الحق والباطل"³.

القول الثاني: يرى قطرب، والفراء، أن الفرقان في الآية اسم للقرآن، وهذا الرأي تعقبه الإمام وبعد نظر في كلا القولين، يتبين أن القول الراجح ما ذهب إليه ابن جزى وغيره من المفسرين أن الفرقان في الآية نعت للتوراة، لأن هذا هو المروي عن السلف كابن عباس، ومجاهد، وأبو العالية، وغيرهم، واختاره شيخ المفسرين ابن جرير، وغيره، وهو الذي تقضي به القاعدة التالية وهي: "أن تفسير السلف وفهمهم للنصوص حجة على من بعدهم"⁴، وأما رأي قطرب والفراء فقد خطأه الإمام النحاس من جهة الإعراب والمعنى وفي هذا الصدد: "هذا خطأ في الإعراب والمعنى فأما الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافاً⁵،

- وقال آخرون: الكتاب التوراة، والفرقان سائر الآيات، التي أوتي موسى ﷺ لأنها فرقت بين الحق والباطل.

- وقال آخرون: الفرقان النصر، الذي فرق بين حالهم، وحال آل فرعون بالنجاة والغرق.

- وقال ابن زيد: الفرقان انفراق البحر حتى صار فرقا. ينظر: المحرر، ج 1، ص 144.

¹ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 399. ابن عطية، المحرر، ج 1، ص 144.

² التسهيل، ج 1، ص 67.

³ جامع البيان، ج 1، ص 70.

⁴ حسين الحري، قواعد الترجيح، ج 1، ص 191.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 399.

وأما المعنى فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [سورة الأنبياء الآية 48]، ويؤيد وجهة كلام النحاس ماحكي عن أهل اللسان نثرا وشعرا من ذلك قولهم: رأيت الغيث والليث. وقول الشاعر:

وَقَدْ مَتَّ الْأَيْدِيَّ لِرَاهِشَيْهِ *** وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْناً
وقوله أيضا:

أَلَا حَبْذاً هَنَدُوا أَرْضَ بَهَا هَنَدُ *** وَهِنْدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ¹

المسألة الثالثة (03):

معنى ما في قوله تعالى: ﴿بِمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى الْبَارِ﴾ [سورة البقرة الآية 174].

القول المعقب عليه:

قال الفراء، والأخفش، والمبرد، ومعمّر ابن المثنى* أن معنى "ما" في الآية الاستفهام.²

التعقيب:

وتعقب ابن جزى كلام الفراء ومعمّر بن المثنى بقوله: "وهذا بعيد".³

الدراسة:

ذكر المفسرين في معنى "ما" قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن ما في الآية معناها: التعجب حيث قال: ﴿بِمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى الْبَارِ﴾: تعجب من جرأتهم على ما يقودهم إلى النار، أو من صبرهم على عذاب النار في الآخرة⁴، وهذا مذهب سبويه والجمهور لأنهم يرون أن ما نكرة تامة غير موصولة ولا موصوفة وأن معناها التعجب، فإذا قلت ما أحسن زيد، فمعناه: شيء صير زيدا حسنا⁵، وبهذا المعنى فسرها ابن عاشور حيث قال: "﴿بِمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ تعجب من شدة صبرهم، على عذاب النار".⁶

¹ السمين الحلبي، الدرر المصون، ج1، ص358.

* هو أبو عبيدة التيمي البصري، أحد أعلام النحو، أخذ العلم عن أبي عمر بن العلاء التميمي، ومن أشهر من روى عنه خليفة بن خياط، له تصانيف عديدة منها: كتاب الدياج، توفي سنة 209هـ. ينظر: الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السمراي، ط3، مكتبة المنار، الأردن، 1405هـ/1985م، ص84.

² ينظر: السمين الحلبي، الدرر المصون، ج2، ص243. أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج1، ص192. الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص32.

³ التسهيل، ج1، ص95.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص95.

⁵ السمين الحلبي، ج2، ص243.

⁶ التحرير والتنوير، ج2، ص125.

القول الثاني: أن "ما" في الآية للاستفهام وهذا القول محكي عن معمر ابن المثنى والفراء.
وبالتأمل في كلام القولين، يتبين أن القول الذي مفاده أن "ما" للتعجب أوجه، ويكفي في ترجيحه أنه قول الأكثر، وأما من قال أن "ما" لاستفهام فقول مرجوح عند المفسرين.

المسألة الرابعة (04):

ما العلة في فتح الميم على قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾ [سورة آل عمران الآية 01].

القول المعقب عليه:

قال الزمخشري مبينا لليلة في فتح الميم، على قراءة الجمهور: "ميم حقها أن يوقف عليها، كما وقف على ألف ولام، وأن يبدأ بما بعدها، كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم، وأما فتحها فهي حركة الهمزة ألقيت عليها، حين أسقطت للتخفيف"¹، وهذا القول مذهب الفراء واختاره من المفسرين الإمام البيضاوي.²
التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على كلام الزمخشري بعد أن أورده: "وقال الزمخشري هي حركة الهمز نقلت إلى الميم" وهذا ضعيف لأنها ألف وصل تسقط في الدرج".³
الدراسة:

ذكر المفسرون في بيان علة فتح "الميم" قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزي رحمه الله أن العلة في فتح الميم من قوله تعالى ﴿أَلَمْ﴾ حال الوصل على قراءة الجمهور هي التقاء الساكنين، وهذا القول مذهب سيويه والجمهور.⁴

القول الثاني: ذهب الزمخشري أن العلة في فتح الميم من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾ ليست التقاء الساكنين، وإنما هي حركة الهمز ألقيت عليها حين أسقطت لتخفيفها واحتج تأييدا لقوله بما يلي:
أولا: أن هذه الحروف النية بما الوقف، وإذا كانت النية بما الوقف فتسكن أواخرها، والنية بما بعدها الابتداء وهي تثبت ابتداء ليس إلا فلما كانت الهمزة في حكم الثابتة وما قبلها ساكن صحيح قابل لحركتها خففوها بأن ألقوا حركتها على الساكن قبلها.

¹ الكشف، ج1، ص160.

² ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج3، ص6-7.

³ التسهيل، ج1، ص135.

⁴ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج3، ص7.

وثانيا: أن هذا الأمر أشبه بما حكاه سيبويه من قولهم "ثلثه ربعة والأصل ثلاثة أربعة، فلما وقف على ثلاثة أبدلت التاء هاء، كما هو اللغة المشهورة، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، فترك الهاء على حالها في الوصل ثم نقل حركة الهمز إلى الهاء فكذلك هذا".¹

وخلاصة القول من كل ما سبق أن العلماء اختلفوا في بيان وجه العلة من فتح الميم على قراءة الجمهور فمذهب الفراء والزخشي والبيضاوي أن العلة نقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها تخفيفا، ومذهب الجمهور أن العلة من فتح الميم التقاء الساكنين وعلى كل حال فالقراءة صحيحة متواترة بغض النظر عن كلا التعليلين إلا أن مذهب الجمهور الذي قال به الإمام ابن جزي أوجه نظرا لما يلي:

أولا: أن الحجج التي إستند إليها الزخشي ومن اختار مذهبه لم يسلم لها، واعترض عليها كما حقق ذلك صاحب الدرر المصون الإمام السمين الحلبي.²

ثانيا: أن إجراء الوصل مجرى الوقف ليس بقوي في اللغة.³

ثالثا: أن الإمام الزخشي نفسه قد اضطرب كلامه في هذا الصدد فأحيانا جنح إلى تعليل الجمهور، وأحيانا إختار مذهب الفراء بناء على الإجتهد فلعله رجع عنه كما يفهم من كلام الآلوسي حيث قال: "وكلام الزخشي في هذا المقام مضطرب، ففي الكشف إختار مذهب الفراء، وفي المفصل إختار مذهب سبويه، ولعل الأول مبني على الإجتهد، والثاني على التقليد والنقل لما في الكتاب، لأن المفصل مختصره فتدبر".⁴

رابعا: أن مذهب الجمهور قد إختاره وصححه ونصره كبار أئمة اللغة والتفسير وإليك أقوالهم كالاتي:

قال الجاربردي*: "الوجه ما قاله سيبويه والكثير من النحاة أن تحريك الميم للتقاء الساكنين".⁵

وقال العكبري: "والميم حركت للتقاء الساكنين...وقيل فتحت لأن حركة الهمز ألقيت عليها، وهذا بعيد لأن همزة الوصل لا حظ لها في الثبوت في الوصل حتى تلقى حركتها على غيرها".⁶

¹ السمين الحلبي، الدر المصون، ج3، ص8.

² المرجع نفسه، ج3، ص8.

³ ينظر الآلوسي، روح المعاني، ج4، ص7. وهذا كلام ابن الحاجب.

⁴ المرجع السابق، ج4، ص7.

* هو فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف، أحد فقهاء الشافعية، تلقى العلم من شيوخ كثر أبرزهم تاج الدين السبكي، توفي سنة 746هـ، من تصانيفه: شرح الشافية لابن الحاجب ينظر: الزركلي، الأعلام، ج1، ص111.

⁵ المرجع نفسه، ج4، ص7.

⁶ إعراب القرآن، ج1، ص236.

وقال أبو حيان: "لا يجوز أن تكون حركة الميم حركة الهمز أُلقيت عليها، لما في ذلك من الفساد والتدافع، وذلك أن سكون آخر "ميم" إنما هو على نية الوقف عليها، وإلقاء حركة الهمز عليها، إنما هو على نية الوصل، ونية الوصل توجب حذف الهمزة، ونية الوقف على ما قبلها، توجب ثباتها وقطعها.... والذي تحرر في هذه الكلمات أن العرب متى سردت أسماء من غير تركيب ما كانت تلك الأسماء مسكنة الآخر وصلا ووقفا، فلو التقى آخر مسكن منها، بساكن آخر حرك للتقاء الساكنين، فهذه الحركة التي في الميم ﴿أَلَم﴾ هي حركة التقاء الساكنين".¹

المسألة الخامسة (05):

هل التوراة والإنجيل اسمان أعجميان في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة آل عمران الآية 02].

القول المعقب عليه:

قال الفراء: إن التوراة والإنجيل في الآية من جملة الأسماء المشتقة، وهذا قول الخليل، والبصريين، والأدباء.²

التعقيب:

قال ابن جزي معقبا على ما ذهب الفراء والخليل والبصريين والأدباء: "التوراة والإنجيل أعجميان، فلا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن "التوراة والإنجيل" إسمان أعجميان، وهذا القول اختاره كثير من المفسرين كالرازي، وأبي حيان، والزخشري، وأبي السعود، والبيضاوي والآلوسي⁴ وغيرهم.

القول الثاني: ويرى بعض أهل اللغة والتفسير، أن التوراة والإنجيل في الآية من جملة الأسماء المشتقة، وتكلفوا أوزانا لهاذين اللفظين وهذا قول الأدباء والنحاة كالفراء، والخليل، والبصريين والكوفيين.⁵

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول وهو ما ذهب إليه الإمام ابن جزي وغيره من أن التوراة والإنجيل من جملة الأسماء الأعجمية أرجح نظرا لما يلي:

1- أن قراءة الحسن "الأنجيل" بفتح الهمزة، وهو دليل على العجمية لأن أفعال بفتح الهمزة معدوم في أوزان العرب.

¹ البحر المحيط، ج5، ص166-167.

² ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص171-172.

³ التسهيل، ج1، ص135.

⁴ ينظر: البحر المحيط، ج5، ص157. روح المعاني، ج4، ص14. إرشاد العقل السليم، ج2، ص267. أنوار التنزيل، ج2، ص5.

⁵ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص148.

- 2- أن من ادعى الاشتقاق من النحات قد اختلفوا في إجراء أوزان لكلا الفظين، كما ساق ذلك أبو حيان، ومكي وغيرهما.
- 3- أن بعض المفسرين جزم به، ورمى من طلب اشتقاق اللفظين بالتعسف، والاشتغال بما لا يفيد ويؤيد هذا أقوالهم الآتية: قال البيضاوي: "واشتقاقهما من الوري والنجل، ووزنهما بتفعلة وأفعيل، تعسف لأنهما أعجميان". وقال الرازي: "قال صاحب الكشف التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، والاشتغال باشتقاقهما غير مفيد، وأعلم أن هذا القول هو الحق الذي لا محيد عنه".¹

المسألة السادسة (06):

ما نوع الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [سورة المائدة الآية 04].

القول المعقب عليه:

قال إسماعيل القاضي* إن الاستثناء هنا منقطع، والمعنى حرمت عليكم هذه الأشياء لكن ما ذكيتم من غيرها فهو حلال² وبهذا قال المدنيون أيضا.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا بعد أن حكى قول من قال بأن الاستثناء في الآية منقطع: "وهذا قول ضعيف، لأنها إن ماتت بهذه الأسباب فهي ميتة فقد دخلت في عموم الميتة، فلا فائدة لذكرها بعدها".⁴

الدراسة:

الاستثناء المذكور في الآية للعلماء فيه قولان:

أحدهما: أنه مستثنى متصل، والقائلون بأنه استثناء متصل، اختلفوا، فمنهم من قال هو مستثنى من قوله: ﴿وَالْمُنْخِفَةَ وَالْمُؤَفَّذَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ [سورة المائدة الآية 04]، وقال أبو البقاء: الاستثناء راجع إلى المتردية والنطيحة وأكلة السبع، وليس إخراج المنخنقة منه بجيد، ومنهم من قال هو مستثنى من ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾ خاصة وهذا القول مروى عن علي وابن عباس، والحسن، وقتادة، وإبراهيم النخعي، وطاووس، وعبيد بن عمير، والضحاك، وابن زيد وهو قول جمهور العلماء.⁵

¹ مفاتيح الغيب، ج1، ص171.

* هو أبو إسحاق إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم الأزدي، البصري، أحد فقهاء المالكية، سمع من علماء كثر أشهرهم مسدد، وابن المديني، وأخذ عنه عبد الله بن الإمام أحمد والنسائي وغيرهما، توفي سنة 282هـ.

² ابن جزري، التسهيل، ج1، ص224.

³ الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص14.

⁴ المرجع نفسه، ج1، ص224.

⁵ ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص151. السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص196. العكبري، إعراب القرآن، ج1، ص418. ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص64.

القول الثاني: أنه منقطع، أي ولكن ما ذكيتم من غيره فحلال، أو فكلوا.¹

وخلاصة القول من كل ما تقدم ذكره أن الاستثناء في الآية قد اختلف فيه العلماء على قولين، ومن ذهب إلى القول بأن الاستثناء متصل أظهر نظرا لما يلي:

أولا: أن هذا القول اختيار الأكثر ورجحه المحققون من ذلك قول أبو حيان: "والظاهر أنه استثناء متصل، وإنما نص على هذه الخمسة وإن كانت في حكم الميتة، ولم يكتف بذكر الميتة، لأن العرب كانت تعتقد أن هذه الحوادث على المأكول كالذكاة، أن الميتة ما ماتت بوجع دون سبب يعرف، فلو اقتصر على ذكر الميتة، لظننت أن التحريم مختص بما مات بوجع دون سبب من هذه الأسباب".²

ثانيا: أن حق الإستثناء الاتصال ولا يصار إلى الحكم بانقطاعه إلا بقرينة أو دليل يجب التسليم له كما قرر ذلك القرطبي حيث قال: "قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ نصب على الاستثناء المتصل عند الجمهور من العلماء والفقهاء، وهو راجع على كل ما أدرك ذكاته من المذكورات، وفيه حياة، فإن الذكاة عاملة فيه، لأن حق الاستثناء أن يكون مصروفا إلى ما تقدم من الكلام، ولا يجعل منقطعا إلا بدليل يجب التسليم له".³

وقال الشوكاني بعد أن ساق القولين: "والأول أولى" أي الاستثناء المتصل.⁴

وقال ابن كثير: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته، فأمكن تداركه بذكاة وفيه حياة مستقرة، وذلك إنما يعود على قوله: ﴿وَالْمُنْخِفَّةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمُتَرَدِّبَةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾.⁵

المسألة السابعة (07):

مدلول الباء في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [سورة المائدة الآية 07].

القول المعقب عليه:

قال أبو البقاء العكبري إن مدلول الباء هاهنا زائدة.⁶

وقال القراني: "إنها باء الاستعانة التي تدخل على الآلات، أن المعنى امسحوا أيديكم برؤوسكم".

وقال قوم: إن الباء للتبويض.

¹ السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص196.

² البحر المحيط، ج7، ص37.

³ الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص17.

⁴ فتح القدير، ج2، ص14.

⁵ ينظر تفسير القرآن العظيم، ج2، ص17.

⁶ إعراب القرآن ج1، ص422.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذه الأقوال: "اختلف في هذه الباء فقال قوم إنها للتبويض، وبنوا جواز مسح بعض الرأس، وهذا القول غير صحيح، وقال القراني إنها باء الاستعانة وهذا ضعيف، وقيل إنها زائدة وهو ضعيف".¹

الدراسة:

اختلف العلماء في مدلول الباء في الآية على عدة أقوال وهي:

القول الأول: قيل إن الباء في الآية زائدة لتعدي الفعل بنفسه وهذا قول أبي البقاء العكبري²، واستدل له بما يلي:

- أن لهذا القول نظائر كثيرة في القرآن نحو قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْذُ فِيهِ بِالْحَادِ﴾ [سورة الحج الآية 23]، وقوله: ﴿وَهَزَّتْ إِلَيْكَ بِجُذُعٍ التَّخْلَةَ﴾ [سورة مريم الآية 24]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة الآية 194].

- وقال الفراء: تقول العرب: هزه وهز به، وخذ الخطام وبالخطام، وخذ رأسه وبرأسه، ومدّه ومد به.

- وحكى سيبويه: "خشنت صدره وبصدره، ومسحت رأسه وبرأسه، في معنى واحد".³

القول الثاني: وقيل إن مدلول الباء في الآية التبويض⁴ وهذا القول محكي عن بعض الشافعية وحشوية النحو⁵ واستدل لهذا القول بقول الشاعر أبي ذئب*:

شَرِينٌ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ *** مَتَى لُجَجٌ خُضِرَ لَهُنَّ نَيْجٌ⁶

القول الثالث: إن الباء في الآية للإصاق وهذا قول الزمخشري واختاره ابن كثير⁷ وصححه ابن جزى حيث قال: "والصحيح أنها باء الإصاق، التي توصل الفعل إلى مفعوله، لأن المسح تارة يتعدى بنفسه، وتارة بحرف الجر".⁸

ومحصلة القول بناء على ما سبق أن مدلول الباء قد تباينت فيه أنظار العلماء وكل واحد استند إلى ما يؤيد قوله ويعضده، وهذا التباين كان، له أثر في اختلاف الفقهاء في حكم مسح الرأس "فالمشهور من مذهب مالك

¹ التسهيل، ج 1، ص 228.

² ينظر روح المعاني، ج 7، ص 59. إعراب القرآن، ج 1، ص 418.

³ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، ج 7، ص 76.

⁴ قال أبو البقاء العكبري: "وقال من لا خبر له بالعربية الباء في مثل للتبويض، وليس يشيء يعرفه أهل النحو". إعراب القرآن، ج 1، ص 422.

⁵ ابن العربي، أحكام القرآن، ج 2، ص 64.

* هو خويلد بن خالد الهذلي، شاعر عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، توفي في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

⁶ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج 7، ص 60.

⁷ قال ابن كثير: "واختلفوا في هذه الباء: هل هي للإصاق وهو الأظهر، أو لتبويض". تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 37.

⁸ التسهيل، ج 1، ص 231.

وجوب التعميم، والمشهور من مذهب الشافعي وجوب أدنى ما ينطق عليه اسم المسح، ومشهور مذهب أبي حنيفة ربع الرأس، وقال الثوري: إذا مسح شعرة واحدة أجزأه، ومذهب أبي حنيفة والشافعي أن الأفضل استيعاب الجميع¹.

المسألة الثامنة (08):

العامل في أربعين من قوله عز وجل: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾ [سورة المائدة الآية 28].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية: "ويحتمل أن يكون العامل ﴿يَتِيَهُونَ﴾ مضمرًا يدل عليه يتيهون المتأخر" وهذا معنى قول الحسن وقتادة².

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على قول ابن عطية بعد أن ساق كلامه "وهذا ضعيف لأنه لا حامل على تقديم المعمول، هنا"³.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن العامل في ﴿أَرْبَعِينَ﴾ محرمة على الأصح، فيجب وصله معه، وهذا القول رجحه الطبري، واختاره الإمام أبي حيان الأندلسي، وتلميذه السمين الحلبي، والعلامة الآلوسي وأبو البقاء العكبري⁴.
القول الثاني: ما قال الإمام ابن عطية أن العامل في أربعين يتيهون وجنح إليه الحافظ ابن كثير، واختاره حي الدين الدرويش⁵.

وبعد نظر في كلام المفسرين يتبين أن العامل في قوله أربعين سنة اختلف فيه المفسرون، فمن جعل أربعين ظرفا يتعلق بمحرمة، فيكون التحريم مؤقتا، لا مؤبدا، ومن جعل الظرف متعلق بـ ﴿يَتِيَهُونَ﴾ يكون التيه مؤقتا، والتحريم مطلقا⁶، وعليه فالذي يناسب المعنى وتشهد له القصة أن الظرف متعلق بمحرمة ويؤيد هذا كلام السمين الحلبي حيث قال: "قوله ﴿أَرْبَعِينَ﴾ فيه وجهان: أظهرهما أنه منصوب بمحرمة، فإنه روي في القصة أنهم بعد الأربعين دخلوها فيكون قد قيد تحريمها عليهم بهذه المدة"⁷.

¹ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص76.

² ينظر: الأصهباني، إعراب القرآن، ص100.

³ التسهيل، ج2، ص232.

⁴ ينظر الدر المصون، ج4، ص236. روح المعاني، ج7، ص139. البحر المحيط، ج8، ص138. إعراب القرآن، ج1، ص431.

⁵ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج2، ص60. إعراب القرآن وبيانه، ج2، ص208.

⁶ أبي السعود، إرشاد العقل السليم، ج3، ص25.

⁷ الدر المصون، ج4، ص236.

المسألة التاسعة (09):

التعلق في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [سورة المائدة الآية 34].

القول المعقب عليه:

أجاز بعض الناس أن يكون من أجل ذلك متعلق بقوله: ﴿مِنْ التَّائِيَةِ﴾ [سورة المائدة الآية 33].¹

التعقيب:

قال ابن جزي معقبا على هذا القول: "وهو ضعيف".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن الجار والمجرور في الآية يتعلق بكتبتنا، وهذا قول الجمهور ورجحه السمين الحلبي، والآلوسي، وأبي السعود، والبيضاوي.³

القول الثاني: أن الجار والمجرور في الآية يتعلق بـ "﴿مِنْ التَّائِيَةِ﴾" وهذا القول حكاه ابن عطية، والثعالبي في تفسيريهما؛ وقال الآلوسي: "وهو ظاهر ما روي عن نافع".⁴

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن ما ذهب إليه الجمهور⁵ من ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ متعلقة بـ: ﴿كَتَبْنَا﴾ أرجح نظر لما يلي:

أولاً: أن هذا القول عليه الأكثر اختاره غير واحد من المحققين كالسمين الحلبي، والآلوسي، والبيضاوي.

ثانياً: أن من قال من أجل متعلقة بالنادمين قد نفاه بعض العلماء ورده يقول ابن عاشور: "وليس قوله ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ متعلقاً بالنادمين".⁶

ثالثاً: أن مدلول من هاهنا ابتدائية فيكون لها تعلق بما بعدها وفي هذا الصدد يقول الآلوسي: "ومن ابتدائية متعلقة بقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا﴾".⁷

وقال البيضاوي أيضاً: "ومن ابتدائية متعلقة بكتبتنا".⁸

¹ السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص247. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص181. الثعالبي، الجواهر الحسان، ج2، ص372.

² التسهيل، ج1، ص234.

³ ينظر: روح المعاني، ج7، ص32. أنوار التنزيل، ج2، ص124. إرشاد العقل السليم، ج3، ص29.

⁴ روح المعاني، ج7، ص32.

⁵ أبو حيان البحر المحيط، ج8، ص164.

⁶ التحرير والتنوير، ج6، ص175.

⁷ روح المعاني، ج7، ص32.

⁸ أنوار التنزيل، ج2، ص124.

المسألة العاشرة (10):

هل "إن" بمعنى "نعم" في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِرُونَ﴾ [سورة المائدة الآية 71].

القول المعقب عليه:

قال بعض النحويين: ¹ "إن" هنا بمعنى "نعم"، وما بعدها مرفوع بالابتداء.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول من قال من النحويين أن "إن" في الآية بمعنى "نعم": "وهو ضعيف".²

الدراسة:

قرأ القراء السبعة قوله عز وجل ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ بالرفع وعليه مصاحف الأمصار وذكر الجمهور في توجيه هذه القراءة وجوها:

أحدها: مذهب سبويه والخليل ونحاة البصرة أنه مرفوع بالابتداء، وهو منوي به التأخير، ونظيره: إن زيدا وعمرو قائم، التقدير: إن زيدا قائم، وعمرو قائم، فحذف خبر عمرو، لدلالة خبر إن عليه، والنية بقوله: وعمرو، والتأخير، ويكون: عمرو قائم بخبره هذا المقدر، معطوفا على الجملة من: إن زيدا قائم وكلاهما لاموضع له من الإعراب.

الوجه الثاني: أنه معطوف على موضع اسم إن لأن قبل دخول إن كان في موضع رفع، وهذا مذهب الكسائي والقراء، أما الكسائي فإنه أجاز رفع المعطوف على الموضع سواء كان الاسم مما خفي فيه الإعراب أو مما ظهر فيه، وأما القراء فإنه أجاز ذلك بشرط خفاء الإعراب، واسم إن هنا خفي فيه الإعراب.

الوجه الثالث: أنه مرفوع معطوف على الضمير المرفوع في ﴿هَادُوا﴾ وروي هذا عن الكسائي، ورد بأن العطف عليه يقتضي أن ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ الصابئين تهودوا وليس الأمر كذلك.

الوجه الرابع: أن تكون "إن" بمعنى "نعم"، حرف جواب، وما بعدها مرفوع بالابتداء، فيكون: ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾ معطوفا على ما قبله من المرفوع.³

وبعد نظر وتأمل في كلام المفسرين يتبين أن التوجيه الذي انتقده وتضعيف ابن جزى لقول بعض النحويين من أن "إن" بمعنى "نعم"، صواب وتؤيده أقوال العلماء التالية:

¹ السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص355.

² التسهيل، ج2، ص245.

³ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص322.

قال أبو حيان: "وهذا ضعيف لأن ثبوت "إن" بمعنى: "نعم" فيه خلاف بين النحويين، وعلى تقدير ثبوت ذلك من لسان العرب فتحتمل إلى شيء يتقدمها تكون تصديقا له ولا تحييء ابتدائية أول الكلام من غير أن تكون جوابا لكلام سابق".¹
وقال السمين الحلبي: "وكون إن بمعنى نعم قول مرجوح قال به بعض النحويين".²

المسألة الحادي عشر (11):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَتَنْبُخُ فِيهَا﴾ [سورة المائدة الآية 112].

القول المعقب عليه:

قال ابن عاشور "فعن مكّي بن أبي طالب أن الضمير في سورة آل عمران عاد إلى الطير، والضمير في هذه السورة عاد إلى الهيئة، ويصح عكس هذا"³، وقال غير مكّي: "الضمير المذكور عائد على الطين".⁴

التعقيب:

قال ابن جزّي معقبا على هاذين القولين: "وقيل المؤنث يعود على الهيئة، والمذكر يعود على الطير، والطين وهو بعيد في المعنى".⁵

الدراسة:

اختلفت أراء المفسرين في عَوْدُ الضمير في قوله سبحانه ﴿فَتَنْبُخُ فِيهَا﴾ على أقوال وهي:

الأول: قيل إن الضمير في الآية، وفي آل عمران عائد على الكاف لأنها بمعنى مثل وهذا قول أبي الحسن من البصريين والزنجشري، وابن جزّي.⁶

الثاني: قيل: إن ضمير المؤنث عائد على ما تقتضيه الهيئة ضرورة، أي صورا أو أشكالا أو أجساما، وعود ضمير المذكر على المخلوق، المدلول عليه، وهذا قول ابن عطية.⁷

الثالث: وقيل إن الضمير عائد على الطين، وهذا القول أورده أبي حيان، ولم ينسبه إلى أحد.

الرابع: أن الضمير في آل عمران عائد على الطائر، وفي المائدة عائد على الهيئة وهذا قول مكّي بن أبي طالب.⁸

¹ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص322. الآلوسي، روح المعاني، ج7، ص339.

² الدر المصون، ج4، ص355.

³ التحرير والتنوير، ج6، ص102. السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص495.

⁴ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص468.

⁵ التسهيل، ج1، ص257.

⁶ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص468. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص102. التسهيل، ج1، ص257.

⁷ ابن عطية، المحرر، ج2، ص257.

⁸ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص468.

وبعد نظر في كلام المفسرين يتبين أنه قد اضطربت أقوال المفسرين حول عَوْدُ الضمير في الآية، واستشكل العلماء قول الإمام مكي بن أبي طالب، فأجاب عنه السمين الحلبي حيث قال: "واستشكل الناس قول مكي المتقدم، كما قدمت حكاية عن ابن عطية، ويمكن أن يجاب عنه، بأن قوله عائد على الطائر، لا يريد الطائر الذي أضيفت إليه الهيئة، بل الطائر المصور والتقدير: وإذ تخلق من الطين طائرا صورة الطائر الحقيقي، فتنفخ فيه فيكون طائرا حقيقيا، وأن قوله عائد على الهيئة، لا يريد الهيئة المجردة بالكاف، بل الموصوفة بالكاف، والتقدير: وإذ تخلق من الطين هيئة مثل هيئة الطير فتنفخ فيها، أي في الموصوف بالكاف التي نسب خلقها إلى عيسى، وأما كونه كيف يعود ضمير مذكر على هيئة، وضمير مؤنث على الطائر لأن قوله ويجوز عكس هذا يؤدي إلى ذلك فجوابه أنه جاز بالتأويل، لأن تؤول الهيئة بالشكل، ويؤول الطائر بالهيئة فاستقام، وهو موضع تأول وتأنى".¹

المسألة الثاني عشر (12)

توجيه قراءة النصب في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمَ يَنْبَغُ الصَّدَفَيْنِ صِدْفُهُمْ﴾ [سورة المائدة الآية 121].

القول المعقب عليه:

قال العكبري موجهها لقراءة النصب: "ويقرأ يوم بالفتح وهو منصوب على الظرف، وهذا فيه وجهان: أحدهما: هو مفعول قال، أي قال الله هذا القول في يوم"²، وعزا القرطبي هذا التوجيه للإمام إبراهيم بن السري.³

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا بعد أن حكى هذا القول: "وقرأ نافع بالنصب وفيه وجهان: أحدهما أن يكون ظرف لقال، فعلى هذا لا تكون الجملة معمول القول، وإنما معموله هذا خاصة والمعنى قال الله هذا القصص، أو الخبر في يوم، وهذا بعيد مزيل لرونق الكلام".⁴

الدراسة:

اختلف القراء في قراءة ﴿يَوْمَ﴾ قرأ الجمهور: ﴿هَذَا يَوْمَ﴾ بالرفع على أن هذا مبتدأ، ويوم خبره، وقرأ نافع ﴿هَذَا يَوْمَ﴾ بفتح الميم⁵ وذكر العكبري توجيهين لقراءة النصب فقال: ويقرأ يوم بالفتح وهو منصوب على الظرف، وهذا فيه وجهان: أحدهما: هو مفعول قال، أي قال الله هذا القول في يوم.

¹ الدر المصون، ج4، ص495-496.

² إعراب القرآن، ج1، ص234.

³ الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص307.

⁴ التسهيل، ج1، ص260.

⁵ أبي حيان، البحر المحيط، ج8، ص495.

والثاني: أن هذا مبتدأ ويوم ظرف للخبر المحذوف، أي هذا يقع، أو يكون يوم ينفع".¹

وبالتأمل في كلام المفسرين يتبين أن التوجيه الثاني الذي ذكره العكبري لقراءة النصب، تتحد به القراءتان من جهة المعنى، وأما التوجيه الأول فقد ذكره الزمخشري، وانتقده ابن عطية حيث قال: وانتصابه على الظرف، وتقديره: قال الله هذا القصص، أو الخبر: ﴿يَوْمَ يَنْبَعُ﴾ معنى يزيل وصف الآية وبهاء اللفظ والمعنى²، وتعقب ابن جزي يقرب من انتقاد ابن عطية للزمخشري.

المسألة الثالث عشر (13):

معنى "إلى"³ في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [سورة النساء الآية 86].

القول المعقب عليه:

قيل "إن" إلى هاهنا بمعنى "في"⁴ وهذا قول الإمام البيضاوي.⁵

التعقيب:

قال ابن جزي معقبا على من قال إن "إلى" في الآية بمعنى "في" وهو ضعيف.⁶

الدراسة:

أورد المفسرون في بيان "إلى" معنيان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزي "أن" معنى "إلى" في الآية للغاية على بابها، وهذا القول رجحه ابن عطية، والسمين الحلبي.⁷

القول الثاني: يرى الإمام البيضاوي أن "إلى" في الآية بمعنى "في".

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أرجح لإختيار المحققين له.

¹ إعراب القرآن، ج 1، ص 234.

² المحرر الوجيز، ج 2، ص 264. أبي حيان، ج 8، ص 495.

³ قيل في معنى "إلى" أقوال: الأول أنها صلة، والتقدير ليجمعنكم يوم القيامة، وقيل: هي بمعنى "في"، وقيل هي زائدة، وقيل هي على بابها. ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج 4، ص 550.

⁴ ينظر: مفاتيح الغيب، ج 12، ص 175.

⁵ ينظر أنوار التنزيل، ج 2، ص 156.

⁶ التسهيل، ج 1، ص 264.

⁷ ينظر: المحرر، ج 2، ص 272. الدر المصون ج 4، ص 550.

المسألة الرابع عشر (14):

معنى "ليجمعنكم" في قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيلَةِ﴾ [سورة الأنعام الآية 13].

القول المعقب عليه:

قيل إن ليجمعنكم هاهنا، هو تفسير الرحمة تقديره: "أن يجمعكم" وهذا القول حكاه المهدوي عن جماعة من النحويين.¹

التعقيب:

قال ابن جزي معقبا على هذا القول "وهذا ضعيف".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن "ليجمعنكم" مقطوع مما قبله، وهو جواب لقسم محذوف، وهذا قول الرازي، والبيضاوي، وصححه الثعالبي.³

القول الثاني: يرى بعض النحويين أن ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ هو تفسير الرحمة تقديره: "أن يجمعكم"

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أظهر وأصح كما قال الثعالبي⁴، وأما القول الثاني فقد رده

الإمام ابن عطية حيث قال: "وحكى المهدوي أن جماعة من النحويين قالت إن ليجمعنكم، هو تفسير الرحمة تقديره أن يجمعكم، فيكون ليجمعنكم في موضع نصب على البدل، وهذا القول مردود".⁵

المسألة الخامس عشر (15):

إعراب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية 13].

القول المعقب عليه:

قيل إن إعراب الذي هاهنا نعت للذين آتيناهم الكتاب، وهذا قول الزجاج.⁶

التعقيب:

قال ابن جزي معقبا على قول الزجاج "وهو فاسد لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار".⁷

¹ ابن عطية، المحرر، ج2، ص272.

² التسهيل، ج1، ص264.

³ ينظر: مفاتيح الغيب، ج12، ص175. أنوار التنزيل، ج2، ص156. الجواهر الحسان، ج2، ص449.

⁴ الجواهر الحسان، ج2، ص449.

⁵ المحرر، ج2، ص272.

⁶ السمين الحلبي، الدر المصون، ج4، ص570.

⁷ التسهيل، ج1، ص265.

الدراسة:

أورد المفسرون في إعراب الذي وجهان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن إعراب الذي في الآية مبتدأ، وخبره ﴿بَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، وهذا القول اختاره السمين الحلبي حيث قال: "الذين خسروا محله أربعة أوجه، أظهرها أنه مبتدأ، وخبره الجملة من قوله فهم لا يؤمنون".¹

القول الثاني: يرى الإمام الزجاج أن الذين خسروا نعت للذين آتيناهم الكتاب.

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أظهر في إعراب الآية وأنسب لسياقها، ولهذا اختاره بعض المحققين كالسمين الحلبي وغيره.

المسألة السادسة عشر (16):

إعراب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [سورة الأنعام الآية 74].

القول المعقب عليه:

عدد السمين الحلبي، ثمانية أوجه في إعراب الآية فقال: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ ، فيه ثمانية أوجه:

أحدها: أنه خبر لقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [سورة الأنعام الآية 74].

الثاني: أنه بدل من يوم يقول.

الثالث: أنه ظرف لتحشرون.

الرابع: أنه منصوب بنفس الملك.

الخامس: أنه حال من الملك.

السادس: أنه منصوب بقوله "يقولون"

السابع: أنه منصوب بعالم الغيب بعده.

الثامن: أنه منصوب بقوله: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾.²

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا: "﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ظرف لقوله له الملك، وقيل في إعراب الآية غير هذا مما هو

ضعيف أو تخليط".³

¹ الدر المصون، ج4، ص570.

² الدر المصون، ج40، ص692.

³ التسهيل، ج1، ص276.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن ما ذكر من أعراب لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، باستثناء قوله ضعيفة، والذي يتبين بعد مراجعة ما خطه العلماء أن الإعراب الذي ذكره له وجاهة، لكن تضعيفه لكل ما ذكر من أعراب أخرى بالجملة فيه نظر ويؤيد هذا تجويز العكبري لبعض الأعراب التي انتقدها حيث قال: "﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾"، يجوز أن يكون خبر قوله على ما ذكرنا، أو يكون ظرف للملك، أو حالا منه".¹

المسألة السابع عشر (17):

إعراب قوله تعالى: ﴿أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ [سورة الأنعام الآية 124].

القول المعقب عليه:

قال ابن عطية في إعرابه للآية "﴿مُجْرِمِيهَا﴾: مفعول أول يجعلنا، وأكابر مفعول ثان مقدم".²

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا: "وما قال ابن عطية وغيره جيد في المعنى ضعيف في العربية، لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعال فلا يستعمل إلا بمن أو بالإضافة".³

الدراسة:

أورد المفسرون في إعراب ﴿أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا﴾ عدة أقوال وهي:

القول الأول: أَكْبَرَ: مفعول أول، وَجُجْرِمِيهَا: بدل منه وهذا قول أبو البقاء العكبري.

القول الثاني: أَكْبَرَ: مفعول ثاني، وَجُجْرِمِيهَا: مفعول أول والتقدير على هذا يكون: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر⁴، وهذا قول ابن عطية، والعكبري، وابن عاشور، والرازي.⁵

القول الثالث: أَكْبَرَ: مضاف، وَجُجْرِمِيهَا: مضاف إليه، وهذا قول مكى، والبيضاوي، ومال إليه ابن جزى.⁶

وخلاصة القول أن المفسرون قد اختلفوا في إعراب هذه الآية على أوجه إلا أن وجه الإعراب الذي ذكره العكبري، وابن عطية ومن تابعهما كالرازي وابن عاشور قد اعترض عليهما وخطأهما في ما أجازاه الإمام أبو حيان

¹ إعراب القرآن، ص 509.

² التسهيل، ج 1، ص 284.

³ ينظر: التسهيل، ج 1، ص 284-285.

⁴ الآلوسي، ج 8، ص 420.

⁵ ينظر: المحرر، ج 2، ص 341. التبيان، ج 1، ص 536. التحرير والتنوير، مج 4، ص 48. مفاتيح الغيب، ج 13، ص 183.

⁶ ينظر: التسهيل، ج 1، ص 284-285. أنوار التنزيل، ج 2، ص 181.

حيث قال: "وما أجازاه خطأ وذهول عن قاعدة نحوية، وهو أن أفعل التفضيل إذا كان بمن ملفوظا بها أو مقدرة أو مضافة إلى نكرة، كان مفردا مذكرا دائما، سواء كان لمذكر أو مؤنث مفرد أو مثنى أو مجموع، فإذا أنث أو ثني أو جمع طابق ما هوله في ذلك، ولزمه أحد أمرين، إما الألف واللام، أو الإضافة إلى معرفة وإذا تقرر هذا، فالقول بأن مجرميها بدل من أكابر أو أن مجرميها مفعول أول خطأ، لالتزامه أن يبقى "أكابر" مجموعا وليس فيه ألف ولام، ولا هو مضاف إلى معرفة، وذلك لا يجوز. وقد تنهى الكرمانى لهذه القاعدة، فقال أضاف الأكابر إلى مجرميها، لأن أفعل لا يجمع إلا مع الألف واللام أو مع الإضافة".¹

وبناء على ما قرره الإمام أبو حيان، معتمدا على القاعدة النحوية، يتبين وجهة تعليل ابن جزى في تعقبه على ما أورده ابن عطية وغيره ضعيف من جهة العربية.

المسألة الثامن عشر (18):

إعراب أن في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَشْكُرُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة الأنعام الآية 152].

القول المعقب عليه:

قال ابن عطية في تفسيره للآية: "يصح أن تكون في موضع رفع الابتداء، والتقدير: الأمر أن، أو ذلك أن، ويصح أن تكون في موضع نصب على البدل من "ما" وهذا القول محكي عن مكى بن أبى طالب.²

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول: "ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة، وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشارك".³

الدراسة:

ذكر العلماء عدة أوجه في إعراب أن وما بعدها وهي:

الوجه الأول: أن أن تفسيرية لأنها تقدمها، ولا هي ناهية، وهذا اختيار الفراء.

الوجه الثاني: أن تكون ناصبة للفعل بعدها، وهي وما في حيزها في محل نصب بدل من "ما حرم" وهذا قول مكى وصححه ابن عطية.

¹ البحر المحيط، ج9، ص384.

² المحرر، ج2، ص361.

³ التسهيل، ج1، ص291.

الوجه الثالث: أنها ناصبة أيضاً، وهي وما في حيزها بدل من العائد المحذوف، إذ التقدير ما حرمه، وهو في المعنى كالذي قبله، ولا على هاذين الوجهين زائدة لثلا يفسد المعنى.

الوجه الرابع: أن تكون أن الناصبة وما في حيزها، منصوب على الإغراء، وهذا القول ذكره جماعة كما نقله ابن الأنباري.

الوجه الخامس: أنها وما في حيزها في محل نصب، أو جر على حذف لام العلة وهذا منقول، عن أبي إسحاق إلا أن بعضهم استبعده.

الوجه السادس: أن تكون هي وما بعدها في محل نصب، بإضمار فعل تقديره: أوصيكم أن لا تشركوا وهو مذهب أبي إسحاق أيضاً.

الوجه السابع: أن تكون أن وما في حيزها في موضع رفع على أنها خبر.

الوجه الثامن: أنها في محل رفع على الابتداء، والخبر الجار قبله، وهو مذهب لأبي بكر الأنباري.

الوجه التاسع: أن يكون في موضع رفع بالفاعلية بالجار قبلها، وهو ظاهر قول ابن الأنباري.¹

وبعد تأمل ونظر في الكتب التي عنية بالجانب اللغوي يتبين أنه قد تعددت أوجه إعراب العلماء لهذه الآية غير أن بعض المحققين رجح الأول يقول السمين الحلبي: "أن تفسيرية لأنها تقدمها، ولا هي ناهية وهذا وجه ظاهر"²، بينما استحسّن الإمام ابن جزى وجهها ذكره أبو البقاء حيث قال: "والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل ولا نافية، ولا يلزم ما ذكر من فساد المعنى لأن قوله ما حرم ريكتم، معناه ما وصاكم به ريكتم، بدليل قوله في آخر الآية، وأما نفيه لصحة قول مكى وابن عطية، فمرتبط بما لو لم يحكم بأن "لا" زائدة، فإن حكم بأن لا زائدة فالوجه يصح، ونظر لهذا القيد الذي ذكره ابن جزى، منع الزمخشري هذا الوجه، وضعفه أبو حيان.³

المسألة التاسع عشر (19):

معنى "ما" في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَيْمًا أَغْوَيْتَنِي﴾ [سورة الأعراف الآية 16].

القول المعقب عليه:

قيل "إن ما في الآية استفهامية، يعني أنه استفهم عن السبب الذي أغواهم" وهذا القول حكاه الرازي، وبعض المفسرين وإليه ذهب ابن عطية.⁴

¹ ينظر: السمين الحلبي، ج 5، ص 213، 217.

² الدر المصون، ج 5، ص 213، 217.

³ المرجع نفسه، ج 5، ص 213، 217.

⁴ ينظر: المحرر، ج 2، ص 380. السمين الحلبي، الدر المصون، ج 5، ص 265.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا بعد أن أورد هذا القول: "وقيل استفهامية أي "ما" ويطله ثبوت الألف في ما مع حرف الجر".¹

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن "ما" في الآية مصدرية، وهذا قول اختاره أبو حيان، وابن عاشور، والسمين الحلبي.² بينما ذهب ابن عطية إلى أن "ما" في الآية استفهامية.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن "ما" مصدرية وهو ما ذهب إليه أبو حيان، والسمين الحلبي، وابن جزى ويؤيد ذلك أقوال العلماء التالية:

قال السمين الحلبي: "وما تحتل ثلاثة أوجه أظهرها أنها مصدرية، أي فيأغوائك إياي، والثاني أنها استفهامية، والثالث أنها شرطية وهو قول الأنباري".³

وقال الرازي: "قال بعضهم "ما" في قوله تعالى: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ للاستفهام، وفيه إشكال وهو أن إثبات الألف إذا دخل حرف الجر على ما الإستفهامية قليل".⁴

المسألة العشرون (20):

العلة في ترك تنوين "عَزَّيْرُ" على غير قراءة السبعة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَّيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة الآية 30].

القول المعقب عليه:

قال القرطبي: "وقرأ ابن كثير، ونافع وأبو عمر وابن عامر: عزيز ابن الله بترك التنوين لاجتماع الساكنين، ومنه قراءة من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص الآية 01]"، قال أبو علي وهو كثير في الشعر"⁵، وهذا قول الفراء الذي يرى أن العلة في ترك التنوين على هذه القراءة إلتقاء الساكنين كذلك.⁶

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا ضعيف".⁷

¹ التسهيل، ج1، ص297.

² ينظر: البحر المحيط، ج10، ص30. التحرير والتنوير، مج4، ص46-47. الدر المصون، ج5، ص265-266.

³ الدر المصون، ج5، ص265.

⁴ مفاتيح الغيب، ج14، ص40.

⁵ الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص172.

⁶ الرازي، مفاتيح الغيب، ج16، ص37.

⁷ التسهيل، ج1، ص356.

الدراسة:

ذكر المفسرون في ترك التنوين في "عزير" قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن عزير في الآية على قراءة ترك التنوين ممنوع من الصرف للعجمة، وهذا قول الزمخشري، وأبو حيان، وأبي السعود، وأبو منصور اللغوي.¹

القول الثاني: ويرى الفراء أن العلة في ترك التنوين في هذه الآية على قراءة غير السبعة إلتقاء الساكنين، ونصر هذا القول القرطبي واحتج بقول أبو علي أن ترك التنوين للقاء الساكنين كثير في الشعر.²

وبعد تأمل ونظر يتبين أن العلة في ترك تنوين عزير على غير قراءة السبعة هو العجمة والتعريف، وأما من قال أن العلة إلتقاء الساكنين فحجتهم أن هذا ورد في الشعر، وأنشد الطبري أبياتا تشهد له، لكن هذا القول فيه تعسف، وتمحل كما ذكر بعض المفسرين وأقوالهم التالية تؤيد ذلك ومنها:

ما قال أبو حيان: "ومن زعم أن التنوين حذف من عزير لالتقاء الساكنين، كقراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقله "متمحل".³ وقال أبو السعود: "وأما تعليله باللقاء الساكنين أو يجعل الابن وصفا على أن الخبر محذوف فتعسف مستغن عنه".⁴ وقال ابن الجوزي: "ولا يحسن حذف التنوين على هذا من عزير لالتقاء الساكنين".⁵

المسألة الواحد والعشرون (21):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿بِأَنزَلِ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة الآية 40].

القول المعقب عليه:

الضمير في عليه يعود هاهنا على أبي بكر وهذا القول مروى عن ابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت، واختاره ابن العربي، وقواه علماء المالكية.⁶

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى متعقبا على هذا القول: "وقيل لأبي بكر، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول عليه السلام".⁷

¹ ينظر: السمين الحلبي، الدر المنصور، ج6، ص38. البحر المحيط، ج11، ص251. زاد المسير، ص578.

² الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص172.

³ ينظر: البحر المحيط، ج11، ص251.

* هو محمد بن محمد بن مصطفى، أبي السعود العمادي، حنفي المذهب، من أشهر من أخذ عنه أبي محمد المزني، توفي سنة 982هـ، من أشهر تصانيفه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ينظر: رضا كخاله، معجم المؤلفين، ط1، مؤسسة الرسالة، 1414هـ، ج11، ص301.

⁴ إرشاد العقل السليم، ج4، ص59.

⁵ زاد المسير، ص577.

⁶ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص218. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج10، ص412. فتح القدير، ج2، ص517.

⁷ التسهيل، ج1، ص358.

الدراسة:

اختلف المفسرون في عَوْدُ الضمير في الآية على قولين وهما:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزري أن الضمير في الآية عائد على الرسول ﷺ وهذا قول الجمهور، وذهب إليه ابن تيمية واختاره الزجاج، ورجحه ابن عطية، وهو الظاهر من كلام ابن كثير، وابن عاشور، والشوكاني.¹

الثاني: وقيل إن الضمير في الآية عائد على أبي بكر، وهذا قول ابن عباس، واختاره الإمام أبو حيان، والبيضاوي، والآلوسي، وابن العربي.²

وبعد نظر وتأمل في كلا القولين يتبين أن القول الأول أرجح وهو أن الضمير في قوله ﴿عَلَيْهِ﴾ عائد على النبي ﷺ لوجود قرائن:

أولاً: أن هذا القول تقضي به القاعدة المعروفة عند المفسرين وهي "أن الأصل توافق الضمائر في المرجع حذر من التشييت"³ يقول ابن عاشور بعد أن ذكر من قال أن الضمير عائد على أبي بكر: "فإن الضمير المنصوب في ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ راجع إلى النبي ﷺ فنشأ تشتت الضمير، وانفكاك الأسلوب بذكر حالة أبي بكر، مع أن المقام لذكر ثبات النبي ﷺ وتأيد الله إياه"⁴، وقال الشوكاني مقرر للقاعدة: "ويؤيد كون الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ للنبي ﷺ الضمير في ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [سورة التوبة الآية 40] فإنه للنبي ﷺ، لأن المؤيد بهذه الجنود التي هي الملائكة كما كان في يوم بدر".⁵

ثانياً: أن هذا قول الجمهور ونصره أئمة التحقيق كابن عطية، وابن كثير، وابن عاشور وغيرهم.

المسألة الثاني والعشرون (22):

إعراب "أَسِحْرُ هَذَا" في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [سورة يونس الآية 77].

القول المعقب عليه:

قيل في إعراب ﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾ إنه معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾، فهو من كلام قوم فرعون وهذا القول أورده السمين الحلبي ولم يسنده لقائل.⁶

¹ ينظر: أبي مظفر السمعاني، ج 1، ص 311. مساعد الطيار، ج 10، ص 413. تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 525. التحرير والتنوير، مج 5، ص 204.

² ينظر: البحر المحيط، ج 11، ص 283. روح المعاني، ج 10، ص 348.

³ السيوطي، الإتيان، ص 401.

⁴ التحرير والتنوير، مج 5، ص 204.

⁵ فتح القدير، ج 2، ص 517.

⁶ الدر المصون، ج 6، ص 264.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا ضعيف لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة يونس الآية 76]، فكيف يستفهمون عنه".¹

الدراسة:

قال السمين الحلبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ﴾، في معمول هذا القول وجهان: أحدهما: أنه مذكور وهو الجملة من قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ إلى آخره، كأنهم قالوا، أجتئنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون، كقول موسى على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام للسحرة ما جئتم به السحر إن الله سيبطله.

والثاني: أن معموله مخدوف، وهو مدلول عليه بما تقدم ذكره وهو إن هذا لسحر مبين، ومعمول القول يحذف لدلالة عليه كثيرا، كما يحذف نفس القول كثيرا، وهذا الوجه أقره العكبري، والبيضاوي، وابن جزى وهو اختيار أبي جعفر بن الزبير الغرناطي شيخه.²

ومحصلة القول أن العلماء قد اختلفوا في تحديد معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ فمنهم من رأى أنه مذكور وهو الجملة من قوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، ومنهم من يرى أن معموله مخدوف، وهو مدلول عليه بما تقدم، وكلا الوجهين حكاهما المفسرون، إلا أن الوجه الثاني قد أقره بعض أئمة اللغة والتفسير كالعكبري، وأبي جعفر بن الزبير الغرناطي.

المسألة الثالث والعشرون (23):

عَوْدُ الضمير في قوله عز وجل: ﴿بِمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ﴾ [سورة يونس الآية 83].

القول المعقب عليه:

"الضمير في ﴿قَوْمِهِ﴾ عائد على فرعون، فذرية على هذا من قوم فرعون، وروي في هذا أنها امرأة فرعون، وخازنه، وامرأة خازنه، وما شطته"، وهذا القول مروى عن ابن عباس، ورجحه ابن عطية.³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا بعيد، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور".⁴

¹ التسهيل، ج1، ص385.

² ينظر: البيان في إعراب القرآن، ج1، ص682. أنوار التنزيل، ج3، ص121.

³ الزمخشري، الكشاف، ج2، ص471. السمين الحلبي، الدر المصون، ج6، ص254.

⁴ التسهيل، ج1، ص386.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الضمير في قومه عائد على موسى، وهذا القول مروى عن ابن عباس ومجاهد واختاره الطبري، ورجحه القرطبي، والسمين الحلبي، وأبي السعود، والثعالبي والرازي، وأبي حيان، والشوكاني.¹

القول الثاني: واختار ابن عطية أن الضمير في قوله تعالى: ﴿قَوْمِهِ﴾ عائد على فرعون، وفسروا الذرية طائفة من شبانهم آمنوا به، أو مؤمن آل فرعون، وامراته آسيا، وخازنه وزوجته، وماشطته.²

وبعد تأمل ونظر يتبين أن الأظهر من القولين من قال إن الضمير في قوله ﴿قَوْمِهِ﴾ عائد على موسى لعدة أمور أجملها في ما يلي:

أولاً: أن الأصل عَوْدُ الضمير على أقرب مذكور، وهذه قاعدة معتمدة عند المفسرين في الترجيح يقول حسين الحري: "إذا جاء ضمير في سياق قرأني، وتعددت الاحتمالات في مرجعه، فرجوعه إلى المحدث عنه في السياق أولى من رجوعه إلى غيره، لأنه هو المقصود بالكلام وإليه يتجه الخطاب".³

ثانياً: أن هذا القول رجحه أئمة التحقيق وإليك أقوالهم كما يلي: قال السمين الحلبي: "والضمير في قومه فيه وجهان، أحدهما وهو الظاهر عوده على موسى لأنه هو المحدث عنه، ولأنه أقرب مذكور، ولو عاد على فرعون لم يكرر لفظه ظاهراً، بل كان التركيب "على خوف منه".⁴

وقال الإمام الرازي: "والأظهر أنه عائد إلى موسى، لأنه أقرب المذكورين، ولأنه نقل إن الذين آمنوا به كانوا من بني إسرائيل".⁵

المسألة الرابع والعشرون (24):

توجيه السدي لقراءة أهل الكوفة⁶ في قوله تعالى: ﴿يُنْشَرَى﴾ [سورة يوسف الآية 19]، غير مضاف.

القول المعقب عليه:

قال السدي موجهها لقراءة أهل الكوفة هاهنا: "نادى رجلاً اسمه بشرى".⁷

¹ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 31. إرشاد العقل السليم، ج 4، ص 170. الجواهر الحسان، ج 3، ص 260. مفاتيح الغيب، ج 17، ص 150. البحر المحيط، ج 12، ص 157. فتح القدير، ج 2، ص 652.

² أنوار التنزيل، ج 3، ص 121.

³ قواعد الترجيح، ص 603.

⁴ الدر المصون، ج 6، ص 254.

⁵ مفاتيح الغيب، ج 17، ص 150.

⁶ الكوفيين من السبعة هم: عاصم وحمة والكسائي. ينظر: أبي حيان، البحر، ج 12، ص 433.

⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 11، ص 293.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول السدي: "وقرى بشرى بحذف يا المتكلم، والمعنى كذلك، وقيل على معنى هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى وهذا بعيد".¹

الدراسة:

اختلف العلماء في بيان معنى بشرى على قراءة أهل الكوفة على قولين وهما:

القول الأول: قال السدي إن معنى الآية على هذه القراءة أي نادى رجلا اسمه بشرى.

القول الثاني: وقال قتادة موجه لهذه القراءة أي يا من حضر هذه بشرى وهذا التوجيه استحسسه الإمام النحاس.²

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الثاني وهو قول قتادة أليق بتوجيه الآية فيصير المعنى على هذه القراءة يتفق مع القراءة الأخرى، وأما توجيه السدي لقراءة أهل الكوفة فقد استغربه الحافظ ابن كثير حيث قال: "فزع السدي أنه اسم رجل ناداه ذلك الرجل الذي أدلى دلوه معلما له أنه أصاب غلاما، وهذا القول من السدي غريب، لأنه لم يسبق إلى تفسير هذه القراءة بهذا إلا في رواية عن ابن عباس، وإنما معنى القراءة على هذا النحو يرجع إلى القراءة الأخرى، ويكون قد أضاف البشرى إلى نفسه وحذف ياء الإضافة، وهو يريد كما تقول العرب: يا نفس اصبري، يا غلام أقبل، بحذف حرف الإضافة، ويجوز الكسر حينئذ والرفع، وتفسرها القراءة الأخرى "يا بشرى" والله أعلم³، وهذا الاستغراب لقول السدي من الحافظ ابن كثير يعضد استبعاد ابن جزى له.

المسألة الخامسة والعشرون (25):

تعلق اليوم في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [سورة يوسف الآية 92].

القول المعقب عليه:

قيل إن ﴿الْيَوْمَ﴾ متعلق بقوله ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وهذا القول جوزة الأخفش، واختاره الزمخشري والبيضاوي، وأبي السعود.⁴

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن أورده: "وقيل إنه يتعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾، وهذا بعيد لأنه تحكم على الله".⁵

¹ التسهيل، ج1، ص412.

² ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص293.

³ تفسير القرآن العظيم، ج2، ص679.

⁴ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج3، ص72. الكشف، ص529. أنوار التنزيل، ج3، ص175. إرشاد العقل السليم، ج4، ص304-305.

⁵ التسهيل، ج1، ص426.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن ﴿الْيَوْمَ﴾ راجع إلى ما قبله، فيوقف عليه وهو متعلق بالثريب، أو بالمقدر في عليكم من معنى الإستقرار وهذا قول الزمخشري، ورجحه القرطبي، واختاره الطبري وابن إسحاق.¹

القول الثاني: قيل إن ﴿الْيَوْمَ﴾ متعلق بقوله ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وهذا الوجه جوزه الأخفش والزمخشري، والبيضاوي، والسمين الحلبي.²

وبعد تأمل ونظر يتبين أن كلا الوجهين اللذان ذكرهما المفسرين جائزين، وإن كان الوجه الأول أرجح في المعنى وفي هذا الصدد يقول الثعالبي: "ووقف بعض القرأة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وابتدأ "اليوم" ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ووقف أكثرهم ﴿الْيَوْمَ﴾ وابتدأ ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ على جهة الدعاء وهو تأويل ابن إسحاق والطبري، وهو الصحيح الراجح في المعنى لأن الوقف الآخر فيه حكم على مغفرة الله، اللهم إلا أن يكون ذلك وحياً".

المسألة السادسة والعشرون (26):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ [سورة الرعد الآية 12].

القول المعقب عليه:

"الضمير في "له" يعود إلى الله"³، وهذا القول مروى عن الحسن.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الحسن: "وهو قول ضعيف لأن الضمائر بعدها تعود على العبد باتفاق".⁵

الدراسة:

أورد المفسرون في عَوْدُ الضمير هاهنا أربعة أوجه وهي:

أولاً: أنه عائد على "من" المكررة، أي لمن أسر القول ومن جهر به ولمن استخفى وسرّب وهذا القول اختاره أشهر المفسرين كالإمام الطبري، والزمخشري، وابن جزى، والرازي، والبيضاوي والنسفي، والآلوسي.⁶

¹ ينظر: محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن وإعرابه، ج4، ص93. الآلوسي، روح المعاني، ج12، ص485.

² الدر المصون، ج6، ص529.

³ ينظر: محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه، ج4، ص693.

⁴ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج7، ص26.

⁵ التسهيل، ج1، ص433.

⁶ ينظر: الدر المصون، ج7، ص26. الكشاف، ص536. مفاتيح الغيب، ج19، ص19. مدارك التنزيل، ج2، ص540. أنوار التنزيل، ج3، ص189.

روح المعاني، ج13، ص64.

ثانيا: أن الضمير في له يعود على الله تعالى ذكره وهذا القول مروى عن الحسن.

ثالثا: أن الضمير يعود على النبي ﷺ، وإن لم يجز له ذكر قريب.

رابعا: أن الضمير يعود على "من" الأخيرة، وهذا قول ابن عباس واختاره الطبري.¹

وبعد تأمل ونظر في أقوال المفسرين يتبين أن من قال إن الضمير في الآية عائد على من المكررة هو القول الذي اختاره أكثر المفسرين لدلالة ظاهر السياق عليه وفي هذا الصدد يقول أبو حيان: "والظاهر عَوْدُ الضمير في "له" على "من"، كأنه قيل لمن أسر ومن جهر، من استخفى ومن سرب معقبات"²، كما تشهد بوجهة هذا القول أيضا القاعدة المعتبرة عند المفسرين والتي مفادها: "أن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها"³، واستناد على القاعدة يتبين ضعف الأقوال الأخرى التي أوردها أئمة التفسير.

المسألة السابع والعشرون (27):

مدلول من في قوله تعالى: ﴿بَهْلَ أَنْتُمْ مُغْتَوُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة إبراهيم الآية 23].

القول المعقب عليه:

مدلول من الأولى هاهنا للبيان، والثانية للتبعيض، ويجوز أن يكونا للتبعيض معا وهذا قول الزمخشري وأبي السعود والبيضاوي والنسفي، واختار الشوكاني الأول، رجحه الرازي الوجه الثاني.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول بعد أن أورده: "والأظهر أن الأولى للبيان والثانية زائدة".⁵

الدراسة:

يرى الامام ابن جزى أن من الأولى في الآية للبيان، والثانية زائدة وقد جوز كون من الثانية زائدة للتوكيد الحوفي، وأبو البقاء العكبري.⁶

القول الثاني: ويرى جماعة من المفسرين أن من الأولى للبيان، والثانية للتبعيض، وقيل كلاهما للتبعيض وهذين الوجهين قالهما الزمخشري، وذهب إليهما البيضاوي، والنسفي، وأبي السعود، والشوكاني، والرازي.

¹ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج7، ص26.

² البحر المحيط، ج13، ص41.

³ حسين الحربي، قواعد الترجيح، ص582.

⁴ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج7، ص85-86. إرشاد العقل السليم، ج5، ص41. أنوار التنزيل، ج3، ص22. مدارك التنزيل، ج2، ص555. فتح القدير، ج3، ص141. مفاتيح الغيب، ج19، ص112.

⁵ التسهيل، ج1، ص444.

⁶ ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج13، ص259.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الثاني هو الذي ذهب إليه كثير من المفسرين، وأما القول الأول فقد جوزه أبو البقاء العكبري، والسمين الحلبي.¹

المسألة الثامن والعشرون (28):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل الآية 56].

القول المعقب عليه:

قال جماعة من أهل المعاني: "إن الضمير في الآية هاهنا يعود على الأصنام التي لا تعلم شيئاً، وليس لها حس ولا معرفة، وهي بالأحرى الأشياء غير موصوفة بالعلم".²

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزى هذا القول بعد أن ساقه في تفسيره بقوله: "وقيل الضمير في ما لا يعلمون للأصنام أي الأشياء غير علمية وهذا بعيد".³

الدراسة:

قال الرازي ملخصاً لأقوال العلماء في عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾، "والضمير في قوله: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلى ماذا يعود فيه قولان:

الأول: إنه عائد إلى المشركين المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَرْبِّهُم بِشْرُكُونَ﴾ [سورة الروم الآية 32]، وهذا قول مجاهد وقتادة وإختره أبو حيان، وجوزه تلميذه السمين الحلبي، والقرطبي، وهو الظاهر من كلام الشوكاني⁴، واستند من مال إلى هذا القول بما يلي:

- 1- أن الضمير في قوله ويجعلون عائد إلى المشركين، فكذلك في قوله لما لا يعلمون، يجب أن يكون عائد إليهم.
- 2- أن نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجازاً.
- 3- أن قوله لما لا يعلمون جمع بالواو والنون وهو بالعقل أليق منه للأصنام.

الثاني: أنه عائد إلى الأصنام أي لا تعلم الأصنام ما يفعل عبادها وهذا القول محكي عن جماعة من أهل المعاني وهو أحد الوجهان اللذان أجازهما السمين الحلبي في تفسيره⁵، واستند من نصر هذا القول بالتعليقات منها:

¹ الدر المصون، ج7، ص86.

² ينظر: ابن الجوزي، زاد التفسير، ص782.

³ التسهيل، ج1، ص466.

⁴ ينظر: البحر المحيط، ج13، ص381. الدر المصون، ج7، ص241. الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص339. فتح القدير، ج3، ص235.

⁵ ينظر: الدر المصون، ج7، ص241.

1- أنه إذا قلنا إنه عائد إلى المشركين افتقرنا إلى إضمار، وإذا قلنا إنه عائد إلى الأصنام لم نفتقر إلى الإضمار.

2- أنه لو كان العلم مضافاً إلى المشركين لفسد المعنى.¹

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أولى وهو أن الضمير عائد على الكفار بناءً على المتقرر من قواعد الترجيح "أن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها".²

المسألة التاسع والعشرون (29):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ أَثُولِيكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء الآية 36].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية والضمير في عنه يعود على ما ليس للإنسان به علم ويكون المعنى أن الله تعالى يسأل سمع الإنسان وبصره وفؤاده عما قال مما لا علم له به، فيقع تكذيبه من جوارحه وتلك غاية الخزي.³

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزى كلام ابن عطية بقوله: "وهذا بعيد".⁴

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن ضمير ﴿عَنْهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ يرجع إلى: "كل" وهذا القول ذهب إليه جماعة من المفسرين كالآلوسي والشوكاني، وأبو البقاء العكبري، والبيضاوي، والسمين الحلبي.⁵

القول الثاني: ويرى الإمام ابن عطية أن ضمير ﴿عَنْهُ﴾ يعود على مالمس لك به علم ويكون المعنى أن السمع والبصر والفؤاد تسأل عما ليس لها به علم، وقد جوز هذا القول الإمامان أبوحيان، والقرطبي.⁶

وبعد تأمل ونظر يتبين أن ما ذهب إليه الإمام ابن جزى ومن وافقه من أن ضمير عنه في الآية يرجع إلى "كل" أولى وهو الذي تقضي به القاعدة التي مفادها: "أن توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها".⁷

¹ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج20، ص54-55.

² حسين الحري، قواعد الترجيح، ص613.

³ المحرر الوجيز، ج3، ص457. التعالي، الجواهر الحسان، ج3، ص474.

⁴ التسهيل، ج1، ص487.

⁵ ينظر: روح المعاني، ج14، ص510. فتح القدير، ج3، ص316. التبيان في إعراب القرآن، ج1، ص821. أنوار التنزيل، ج3، ص256. الدر المصون، ج7، ص354.

⁶ البحر المحيط، ج14، ص78. الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص80.

⁷ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص613.

المسألة الثلاثون (30):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ [سورة طه الآية 15].

القول المعقب عليه:

الضمير في عنها يعود على الصلاة وهذا قول أبو مسلم وابن عطية.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول أبو مسلم وابن عطية: "والضمير للساعة، أي لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل الضمير للصلاة وهذا بعيد".²

الدراسة:

ذكر المفسرون في عَوْدُ الضمير قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ يعود على الساعة، وهذا القول مروى عن ابن عباس، واختاره جماعة من المفسرين كأبو حيان والرازي، والشوكاني، وابن عطية في أحد قوليه، والسيوطي.³

القول الثاني: ويرى أبو مسلم وابن عطية في أحد قوليه أن الضمير في قوله تعالى يعود على الصلاة.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن القول الأول أرجح وهو أن الضمير يعود على الساعة نظرا لما يلي:

أولا: أن هذا القول هو اللذي تقضي به القاعدة المعروفة التي مفادها أن الضمائر تعود على أقرب المذكورين، وفي هذا الصدد يقول الإمام الرازي: "وعَوْدُ الضمير إلى أقرب أولى لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورين".⁴

ثانيا: أن قول أبو مسلم ومن وافقه من أن الضمير يعود على الصلاة قد استبعده الإمام الشوكاني وفي هذا الصدد يقول: "وقيل الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ للصلاة وهو بعيد".⁵

المسألة الواحد والثلاثون (31):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ [سورة الحج الآية 02].

القول المعقب عليه:

قالت فرقة: الضمير في ﴿تَرَوْنَهَا﴾ يعود على الساعة.⁶

¹ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص23. مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج14، ص280.

² التسهيل، ج2، ص17.

³ البحر المحيط، ج15، ص31. مفاتيح الغيب، ج22، ص131. فتح القدير، ج3، ص494. تفسير الجلالين، ص313.

⁴ مفاتيح الغيب، ج22، ص23.

⁵ فتح القدير، ج3، ص494.

⁶ أبو حيان، البحر المحيط، ج15، ص305.

التعقيب:

وتعقب الإمام ابن جزري هذا الرأي بقوله: "والضمير للزلزلة، وقيل للساعة وذلك ضعيف إلا أن يراد ابتداء أمرها."¹

الدراسة:

للمفسرون في مرجع الضمير قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزري أن الضمير في قوله تعالى ﴿تَرَوْنَهَا﴾ يعود على الزلزلة، وهذا القول اختاره كثير من أئمة التفسير كالزمخشري وأبي حيان، وتلميذه السمين الحلبي، والإمام البيضاوي، وأبي السعود، والثعالبي، وابن عطية، والآلوسي والشوكاني.²

القول الثاني: قالت فرقة إن الها في ترونها ترجع على الساعة، وهذا أحد قولي الإمام النسفي.

وبعد تأمل في كلا القولين يتبين أن ما ذهب إليه الإمام ابن جزري وهو قول الجمهور من أن الها في ترونها عائدة على الزلزلة أظهر وهو الذي تقضي به القاعدة الترجيحية عند المفسرين والتي مفادها: "أن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره".³

المسألة الثاني والثلاثون (32):

مدلول من في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ [سورة النور الآية 42].

القول المعقب عليه:

قال الأخفش والفراء إن معنى من في الآية هاهنا زائدة.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على قول الأخفش و الفراء: "وقال الأخفش هي زائدة وذلك ضعيف".⁵

الدراسة:

ذكر المفسرون في بيان معنى "من" قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزري أن معنى من في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ لبيان الجنس أو التبويض فتكون مفعول ينزل وهذا قول الإمام الزمخشري.⁶

¹ التسهيل، ج2، ص48.

² الكشف، ج2، ص690. البحر المحيط، ج15، ص305. الدر المصون، ج8، ص222. إرشاد العقل السليم، ج6، ص91. الجواهر الحسان، ج4، ص106. أنوار التنزيل، ج4، ص64. روح المعاني، ج17، ص111. فتح القدير، ج3، ص593.

³ حسين الحربي، قواعد الترجيح، ص603.

⁴ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج16، ص110.

⁵ التسهيل، ج2، ص96.

⁶ أبو حيان، البحر المحيط، ج15، ص110.

القول الثاني: ويرى الأخفش والفراء أن "من" في ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ وفي ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ زائدة في الموضعين.

وخلاصة القول أن العلماء اختلفوا في بيان معنى "من" هل هي زائدة أو ليست بزائدة ومن ذهب إلى الرأي الثاني أوردوا في بيان معناها أربعة أوجه وهي:

الأول: لابتداء الغاية فتكون هي ومجرورها بدلا من الأولى بإعادة الخافض بدل اشتمال.

الثاني: أنها للتبعية فتكون على هذا هي ومجرورها في محل نصب على أنها مفعول الإنزال.

الثالث: أنها زائدة، أي ينزل من السماء جبال.

والرابع: أنها لبيان الجنس فيكون التقدير على هذا الوجه: وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد.¹

المسألة الثالث والثلاثون (33):

معنى "عن" في قوله تعالى: ﴿بَلِّغْهُمْ لَذِيْنَ يُخَالِفُوْنَ عَنْ أَمْرِهٖ﴾ [سورة النور الآية 61].

القول المعقب عليه:

قال أبو عبيدة والأخفش إن "عن" في هذا الموضع زائدة.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول أبو عبيدة والفراء: "واختلف في عن هنا فقليل زائدة وهذا ضعيف".³

الدراسة:

للعلماء في بيان معنى "عن" قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن "عن" في هذا الموضع ليست بزائدة وهذا القول الخليل وسبويه.⁴

القول الثاني: ويرى أبو عبيدة والأخفش أن "عن" في هذا الموضع زائدة.

وخلاصة القول أن اللغويين اختلفوا في مدلول "عن" هاهنا، فمذهب أبو عبيدة والأخفش أنها زائدة،

ومذهب الخليل وسبويه أنها ليست بزائدة، وهذا القول أوجه نظر لما يلي⁵:

أولا: أن الأصل في الكلام لا سيما كلام الله أن لا يكون زائد.⁶

¹ الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص57.

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص362.

³ التسهيل، ج2، ص101.

⁴ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص362.

⁵ المرجع نفسه، ج15، ص362.

⁶ الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص41.

ثانياً: أن هذا القول تؤيده نظائر القرآن منها قوله تعالى: ﴿بِمَقْصِقٍ عَنْ أَمْرِ رَبِّكَ﴾ [سورة الكهف الآية 49]، أي بعد أمر ربه.

ثالثاً: أن هذا القول يشهد لوجهته قول امرء القيس:

وَيُضْحِي فَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا *** نَوْوُمُ الضُّحَى لَمْ تَتَطَّقْ عَنْ تَفْصُلِ

المسألة الرابع والثلاثون (34):

على من يعوذ الضمير¹ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ [سورة الفرقان الآية 50].

القول المعقب عليه:

يعوذ الضمير في الآية على المطر وهذا قول الجمهور.²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الجمهور: "الضمير للقرآن، وقيل للمطر وهو بعيد".³

الدراسة:

ذكر العلماء في مرجع الضمير قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الضمير "الهاء" في الآية راجع إلى القرآن، وهذا القول مروى عن ابن عباس واختاره الإمام القرطبي⁴، والثعالبي⁵.

القول الثاني: يرى الجمهور أن ضمير "الهاء" في الآية يعود على المطر، وهذا القول اختاره جمع من المفسرين كابن الجوزي، والبغوي، وأبي مظفر السمعاني، أبو حيان، وابن كثير، وابن عاشور.⁶

ومحصلة القول أن العلماء اختلفوا في مرجع ضمير "الهاء" في الآية، فجمهورهم يرى رجوعه على أقرب المذكورات ألا وهو المطر، وبعضهم يرى أنه راجع إلى القرآن وإن لم يتقدم له ذكر وعمدتهم في هذا أن توحيد مرجع الضمائر أولى من تشتيتها، ولكل قول ما يؤيده ولذلك ذهب بعض المفسرين إلى جواز الوجهين وفي هذا الصدد يقول السمين الحلبي: "يجوز أن تعود الهاء على القرآن، وأن تعود على الماء".⁷

¹ ذكر المفسرون في مرجع الضمير أوجه: فقليل راجع إلى القرآن، وقيل راجع إلى المطر، وقيل راجع إلى ما ذكر من الدلائل. ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص108.

² ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص98.

³ التسهيل، ج2، ص109.

⁴ زعم الشيخ محمد على طه الدررة أن القرطبي لم يوافقه أحد من المفسرين على هذا الرأي ولعله سبق قلم أو زلة لسان منه غفر الله لنا وله وإلا فقد وافقه الثعالبي، والسمين الحلبي، في وجه وابن جزى والله أعلم. ينظر: تفسير القرآن وإعرابه ج6، ص500.

⁵ ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج16، ص217. الجواهر الحسان، ج4، ص212.

⁶ ينظر: زاد المسير، ص1019. معالم التنزيل، ج3، ص337. تفسير القرآن، ج2، ص25. البحر المحيط، ج16، ص217. تفسير القرآن العظيم، ج3، ص473. التحرير والتنوير، مج8، ص49.

⁷ الدر المصون، ج8، ص489.

المسألة الخامسة والثلاثون (35):

الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ [سورة النمل الآية 11].

القول المعقب عليه:

قيل إن الإستثناء في هذه الآية متصل وهذا القول مروى عن الحسن ومقاتل وابن جريج والضحاك¹، وهو قول إمام اللغة الفراء، ورجحه الإمام الطبري، والعلامة ابن عاشور².

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على من قال بأن الاستثناء متصل: "وقيل متصل على القول بتجويز الذنوب عليهم، وهذا بعيد لأن الصحيح عصمتهم من الذنوب، وأيضا فإن تسميتهم ظالمين شنيع على القول بتجويز الذنوب عليهم"³.

الدراسة:

ذكر المفسرون في بيان نوع الاستثناء قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الإستثناء في الآية منقطع، وهذا قول الفراء والزجاج وجماعة من أهل اللغة، ورجحه كثير من المفسرين كالحافظ ابن كثير، والقرطبي، والإمام أبوحيان والسمين الحلبي، والبيضاوي، والشوكاني والثعالبي، والآلوسي⁴.

القول الثاني: روي عن الحسن ومقاتل وابن جريج والضحاك أن الاستثناء في الآية متصل ورجح هذا القول الإمام الطبري وابن عاشور.

وبعد تأمل ونظر يتبين وجهة القول الأول وهو أن الإستثناء في الآية منقطع نظر لما يلي:

أولا: أن هذا القول هو الأوفق بمنصب ومقام النبوة⁵.

ثانيا: أن هذا القول موافق لما انعقد عليه الإجماع أن الأنبياء معصومون من الكبائر ومن الصغائر التي هي الرذائل⁶.

¹ ينظر: جامع البيان، ج18، ص18. التحرير والتنوير، مج8، ص229.

² التحرير والتنوير، مج19، ص230.

³ التسهيل، ج2، ص113.

⁴ تفسير القرآن، ج3، ص526. الجامع لأحكام القرآن، ج109. البحر المحيط، ج16، ص387. الدر المصون، ج8، ص577. أنوار التنزيل، ج4، ص155. الجواهر الحسان، ج4، ص26. فتح القدير، ج4، ص168. روح المعاني، ج19، ص166.

⁵ روح المعاني، ج19، ص166.

⁶ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج16، ص444..

ثالثاً: أن هذا القول تؤيده أقوال العلماء التالية وهي:

قال الإمام السمين الحلبي: "فيه وجهان أحدهما أنه استثناء منقطع، لأن المرسلين معصومون من المعاصي وهذا هو الظاهر الصحيح".¹

وقال الإمام أبو حيان: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ "استثناء منقطع، والمعنى لكن من ظلم من غيرهم".²

وأما القول الثاني، فقد انتقده النحاس ورده من الجهة اللغوية³، بالإضافة إلى أنه في مساس بمقام ومنصب النبوة، ففحواه تجويز إجراء الذنوب على الأنبياء، وهذا فيه نفي للعصمة عنهم.

المسألة السادسة والثلاثون (36):

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القصص الآية 16].

القول المتعقب عليه:

الباء ها هنا للقسم وهذا قول العكبري والإمام الرازي.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الرازي: "وقيل الباء باء القسم وهو ضعيف".⁵

الدراسة:

ذكر المفسرون في معنى "الباء" قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الباء في الآية للسببية، وهذا القول جوزه السمين الحلبي، وجزم به الإمام ابن عاشور، وجوزه الشوكاني، والبيضاوي.⁶

القول الثاني: قال الرازي والعكبري إن الباء هاهنا للقسم، واختار هذا القول الإمام أبو حيان، والعلامة الألوسي وهو أحد الوجهين اللذان جوزهما البيضاوي والسمين الحلبي والشوكاني.⁷

¹ الدر المصون، ج8، ص577.

² البحر المحيط، ج16، ص387.

³ ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص168.

⁴ البيان، ص1018. مفاتيح الغيب، ج24، ص236.

⁵ التسهيل، ج2، ص141.

⁶ ينظر: الدر المصون، ج8، ص658. التحرير والتنوير، ج8، ص92.

⁷ ينظر: البحر المحيط، ج17، ص24. روح المعاني، ج20، ص64. أنوار التنزيل، ج4، ص174. الدر المصون، ج8، ص658. فتح القدير، ج4، ص216.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أنه يجوز أن تكون الباء للقسم، كما يجوز أن تكون للسببية وفي هذا الصدد يقول الشوكاني: "هذه الباء يجوز أن تكون باء القسم والجواب مقدر، أي أقسم بإنعامك علي لأتوبن وتكون جملة ﴿بَلَىٰ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ كالتفسير للجواب وكأنه أقسم بما أنعم الله عليه ألا يظهر مجرماً، ويجوز أن تكون هذه الباء هي باء السببية متعلقة بمحذوف، أي أعصمني بسبب ما أنعمت به علي، ويكون قوله ﴿بَلَىٰ أَكُونُ ظَهِيرًا﴾ مترتباً عليه".¹

المسألة السابع والثلاثون (37):

تعلق المجرور في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِخْبِيدُهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ إِسْتِحْيَاءٍ﴾ [سورة القصص الآية 25].

القول المتعقب عليه:

قال عبد العزيز بن أبي حازم (184هـ): "ومنهم من يقف على قوله: ﴿تَمْشِي﴾ ثم يبتدأ فيقول على استحياء".²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على قول أبي حازم: "والمجرور يتعلق بما قبله، وقيل بما بعده وهذا ضعيف".³

الدراسة:

اختلف المفسرون في تعلق المجرور فأوردوا قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزي أن المجرور وهو قول سبحانه ﴿عَلَىٰ إِسْتِحْيَاءٍ﴾ يتعلق بما قبله، وهذا القول

قال به كثير من المفسرين كالزمخشري، والبيضاوي، وأبو حيان وتلميذه السمين الحلبي، والعلامة الآلوسي.⁴

القول الثاني: يرى عبد العزيز بن أبي حازم أن المجرور في قوله سبحانه ﴿عَلَىٰ إِسْتِحْيَاءٍ﴾ يتعلق بما بعده، وهذا

القول حكاه الإمام الرازي في تفسيره ولم أقف على من اختاره ونصره من أئمة التفسير.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول وهو أن المجرور يتعلق بما قبله أوجه، ويؤيده ما روي عن عمر رضي

الله عنه في بيانه لمعنى استحياؤها قال: "قد سترت وجهها بكم درعها".⁵

¹ فتح القدير، ج4، ص216.

² ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج24، ص240.

³ التسهيل، ج2، ص143.

⁴ ينظر: الكشف، ص797. أنوار التنزيل، ج4، ص175. البحر المحيط، ج17، ص34. روح المعاني، ج20، ص64.

⁵ أبو حيان، البحر المحيط، ج17، ص34.

المسألة الثامن والثلاثون (38):

إعراب "هذا" في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدِنَا هَذَا﴾ [سورة يس الآية 51].

القول المعقب عليه:

قال الزمخشري: يجوز أن يكون "هذا" صفة لمركب¹.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على رأي الزمخشري: "وهذا ضعيف"².

الدراسة:

أورد العلماء في إعراب "هذا" في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدِنَا هَذَا﴾ وجهها وهما:

الوجه الأول: ذهب بعضهم إلى أن هذا مبتدأ وما بعدها خبره وهذا قول ابن جزى واختاره السمين الحلبي³.

الوجه الثاني: وقال بعضهم يجوز أن يكون إعراب "هذا" صفة لمركبنا وهذا الرأي جوزه الزجاج وتبعه الإمام الزمخشري، وبه قال البيضاوي⁴.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن العلماء أجازوا الوجهين في إعراب "هذا" يقول الإمام النحاس: "وهذا في موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [سورة يس الآية 51]، ويجوز أن يكون في موضع خفض على النعت لـ ﴿مَرْفِدِنَا﴾⁵، وأما تضعيف ابن جزى للوجه الثاني، فلم أقف على من قال به من علماء التفسير، بالإضافة إلى أنه لم يذكر له دليلا أوتعليلًا لسبب التضعيف له، اللهم إلا أن يكون حمله هذا جلاء المعنى ووضوحه، واستحسان القراء الوقوف على ﴿مَرْفِدِنَا﴾.

المسألة التاسع والثلاثون (39):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْتَهُمْ بَكَائُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [سورة الصافات الآية 116].

القول المعقب عليه:

قال الفراء: الضمير في الآية هنا لموسى وهارون وحدهما، وهذا على أن الاثنين جمع⁶.

¹ أبو حيان، البحر المحيط، ج18، ص122.

² التسهيل، ج2، ص226.

³ ينظر: الدر المصون، ج9، ص276.

⁴ ينظر: البحر المحيط ج18، ص122. ابن الجوزي، زاد المسير، ص1175. أنوار التنزيل، ج4، ص270.

⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص466.

⁶ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص83.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الفراء: "وهذا ضعيف".¹

الدراسة:

أورد العلماء في مرجع الضمير في هذه الآية قولان:

أحدهما: أن الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما، وهذا القول اختاره ابن جزى، والزخشي والرازي، والبيضاوي وصوبه القرطبي.²

والثاني: ويرى الفراء أن مرجع الضمير يعود على موسى وهارون فقط، ولفظ الجمع من باب التعظيم³، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَفْتُمْ﴾ [سورة الطلاق الآية 01].

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول وهو أن الضمير يعود على موسى وهارون وقومهما أصوب لاختيار المحققين له.

المسألة الأربعون (40):

معنى "من" في قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْفَلْسِيَّةِ فَلَوْبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَكٍ فِي صَلَاحٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر الآية 21].

القول المتعقب عليه:

قال الزخشي: "من" هنا سببية.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الزخشي: "قال الزخشي "من" هنا سببية، أي قلوبهم قاسية من أجل ذكر الله وهذا المعنى بعيد".⁵

الدراسة:

ذكر العلماء في بيان "من" ثلاثة معاني:

أولها: أنها بمعنى "عن" وهذا قول الفراء، والزجاج، ورجحه الإمام ابن جرير والشوكاني.⁶

والثاني: أنها لتعليل هنا وهذا قول الزخشي، وأقره أبو حيان.⁷

¹ التسهيل، ج2، ص257.

² ينظر: الكشف، ج2، ص913. مفاتيح الغيب، ج26، ص160. أنوار التنزيل، ج5، ص17. الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص83.

³ ينظر: السمين الحلبي، ج9، ص326.

⁴ الكشف، ج3، ص938.

⁵ التسهيل، ج2، ص267.

⁶ ينظر: جامع البيان، ج20، ص190. فتح القدير، ج4، ص602-603.

⁷ البحر المحيط، ج18، ص306.

والثالث: أنها للابتداء وهذا القول لم ينسب لقائل.¹

وبعد تأمل ونظر يتبين أن العلماء ذكروا أقوالاً في بيان معنى "من" في هذه الآية، وأرجحها الأول نظراً لأمرين:

1- أن هذا القول تؤيده قراءة من قرأ "عن ذكر الله".²

2- أن هذا القول يشهد له الكلام يقول الطبري: "فوضعت "من" مكان "عن"، كما يقال في الكلام: اتخمت من طعام أكلته، وعن طعام أكلته. بمعنى واحد".³

وترجيح هذا القول فيه تقوية لما ذهب إليه ابن جزري من استبعاد قول الإمام الزمخشري.

المسألة الواحد والأربعون (41):

معنى "بعض" في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [سورة غافر الآية 28].

القول المعقب عليه:

قال أبو عبيدة: أن "بعض" هنا بمعنى "كل".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على قول أبو عبيدة: "قيل إن "بعض" هنا بمعنى كل وذلك بعيد".⁵

الدراسة:

ذكر العلماء عند بياضهم لمعنى "بعض" هاهنا ثلاثة أقوال وهي على النحو التالي:

القول الأول: قيل إن معناها على بابها وهذا الرأي ظاهر كلام الإمام ابن جزري، وجزم به الإمام السمين الحلبي وغيره من المفسرين.⁶

القول الثاني: ومذهب أبو عبيدة أنها بمعنى "كل" وأنشد نصرة لرأيه بعض الأبيات⁷ وهي قال لبيد:

تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَهَا *** أَوْ يَعْتَلِقَ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا

¹ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج 5، ص 87.

² فتح القدير، ج 4، ص 602-603.

³ جامع البيان، ج 20، ص 190.

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 349.

⁵ التسهيل، ج 2، ص 280.

⁶ ينظر: الدر المصون، ج 9، ص 473.

⁷ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج 9، ص 474. الشوكاني، فتح القدير، ج 4، ص 642.

وقال الآخر:

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا الْأَحْدَاثُ دَبَّرَهَا *** دُونَ الشُّيُخِ تَرَى فِي بَعْضِهَا خَلَا

وقال أشيم*:

قَدْ يَدْرُكُ الْمَتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ *** وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلُّ

القول الثالث: وقيل إن "بعض" هاهنا صلة ويكون معنى الآية يردكم الذي يعدكم وهذا قول الليث.¹

ومحصلة الكلام من كل ما سبق أن العلماء أوردوا أقوال في بيان معنى "بعض" وأرجح هذه المعاني من قال هي على بابها، وأما القول الثاني فقد رده جماعة من المفسرين قال البيضاوي: "وتفسير الـ "بعض" بالكل كقول لبيد مردود لأنه أراد بالـ "بعض" نفسه".²

وقال أبي السعود: "وتفسير الـ: "بعض" بالكل مستندا بقول لبيد المتقدم آنفا، مردود، لأن مراده بالبعض نفسه".³ وقال الزمخشري: "إن صحة الرواية عنه (يريد أبو عبيدة) فقد حق فيه قول المازني (247هـ) في مسألة العلقى: كان أجفى من أن يفقه ما أقول له".⁴

وانطلاقاً من انتقاد قامات علم التفسير لقول أبو عبيدة، تبين وجه استبعاد الإمام ابن جزى له.

المسألة الثاني والأربعون (42):

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة فصلت الآية 36].

القول المعقب عليه:

قالت فرقة: "الضمير عائد على الشمس والقمر، والإثنان جمع، وجمع ما لا يعقل يؤنث" وهذا القول إستساغه الإمام ابن عطية.⁵

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وقيل إنما (أي الضمير) يعود على الشمس والقمر وجمعهما لأن الاثنين جمع وهذا بعيد".⁶

* هو جريبة بن أشيم الفقعصي، أحد شعراء الجاهلية. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص118.

¹ ينظر: فتح القدير، ج4، ص642.

² أنوار التنزيل، ج5، ص57.

³ إرشاد العقل السليم، ج7، ص275.

⁴ أبو حيان، البحر المحیط، ج18، ص416.

⁵ المحرر الوجيز، ج5، ص17.

⁶ التسهيل، ج2، ص293.

الدراسة:

للمفسرين في مرجع الضمير هاهنا قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن الضمير في الآية يعود على الليل والنهار والشمس والقمر وجمعهما، وهذا

القول اختاره الزمخشري، والقرطبي، والبيضاوي، والسيوطي، وأبي السعود، والعكبري.¹

القول الثاني: وذهبت فرقة إلى أن الضمير هاهنا يعود على الشمس والقمر خاصة، وهذا قول استساغه الإمام ابن عطية.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن القول الأول أرجح نظر لكثرة القائلين به، وأما القول الثاني فمستساغ جريا على

رأي جماعة من الأئمة الذين يعتبرون الإثنين جمع.²

المسألة الثالث والأربعون (43):

هل خبر "إن" محذوف في قوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْذِّكْرِ﴾ [سورة فصلت الآية 40].

القول المعقب عليه:

قال أبو عمر بن العلاء*: "خبر إن مذكور وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ﴾ [سورة فصلت الآية 43]".³

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وذلك بعيد".⁴

الدراسة:

اختلف العلماء في ذكر وحذف خبر إن فأوردوا قولان:

القول الأول: يرى الإمام ابن جزى أن خبر إن في الآية محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا، بينما يرى أبو عمرو ابن

العلاء أن خبر "إن" في الآية مذكور وهو قوله: ﴿أُولَئِكَ يُنَادُونَ﴾.⁵

القول الثاني: ذهب الإمام أبو عمر بن العلاء إلى أن خبر إن مذكور.

¹ ينظر: البحر المحيط، ج18، ص504. الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص424. أنوار التنزيل، ج5، ص72. تفسير الجلالين ص480. إرشاد العقل السليم، ج8، ص15. التبيان، ص1128.

² ينظر الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص679.

* هو ابن عمار التميمي البصري، أحد شيوخ وأئمة القراءة والعربية، قرأ على سعيد بن جبير والحسن البصري، وتلمذ على يديه الأصمعي وعبد الله بن المبارك وغيرهما، توفي سنة 157هـ ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص407.

³ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص529.

⁴ التسهيل، ج2، ص294.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص284.

وبعد تأمل ونظر في كلا القولين يتبين أن الراجح ما ذهب إليه الإمام ابن جزري من أن خبر إن محذوف تقديره ضلوا أو هلكوا وتشهد له أقوال العلماء التالية:

قال الإمام البيضاوي: "وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون".¹

وقال أبو البقاء العكبري: "خبر إن محذوف أي معاندون أو هالكون".²

وقال الشوكاني: "وخبر إن محذوف، أي إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يحازيهم بكفرهم، أو هالكون، أو يعذبون".³

وقال القرطبي: "والخبر محذوف تقديره هالكون أو معذبون، وقيل الخبر ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ

بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت الآية 43]. واعترض قوله: "ما يقال لك" ثم رجع إلى الذكر فقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ فُرْقَانًا

أَعْجَمِيًّا﴾ [سورة فصلت الآية 43] ثم قال: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ﴾ والأول الاختيار، قال النحاس عند النحويين جميعاً

فيما علمت".⁴

وأما ما ذهب إليه عمرو بن أبو العلاء من أن خبر "إن" مذكور فقد استبعده بعض العلماء، يقول السمين

الحلي: "وقول أبو عمرو بن العلاء فاستبعد هذا من وجهين:

أحدهما: كثرة الفواصل.

والثاني: تقدم من تصح الإشارة إليه بقوله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ وهو قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة فصلت الآية 43] واسم الإشارة

يعود على أقرب مذكور⁵، وقال الشوكاني بعد أن حكى قول أبو عمر وابن العلاء: "هو بعيد وإن رجحه أبو عمرو بن العلاء".⁶

المسألة الرابع والأربعون (44):

عَوْدُ الضمير في قوله: ﴿يَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَتَّبِعُونَ مِنْ بَوْفِهِمْ﴾ [سورة الشورى الآية 03].

القول المتعقب عليه:

قال جماعة منهم الحوفي الضمير في قوله: ﴿مِنْ بَوْفِهِمْ﴾ عائداً على الأراضين لتقدم ذكر الأرض قبل

ذلك،⁷ وقال الأخفش الضمير يعود على فرق الكفار والجماعات الملحدتين.

¹ أنوار التنزيل، ج5، ص73.

² التبيان، ص1128.

³ فتح القدير، ج4، ص680.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، ج18، ص427-428.

⁵ الدر المصون، ج9، ص529.

⁶ فتح القدير، ج4، ص680.

⁷ ينظر: أبو حيان، البحر المحیط، ج19، ص8. الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص149.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الحوفي والأخفش: "وقيل الضمير للأراضين وهذا بعيد، وقيل الضمير للكفار، وهذا أيضا بعيد".¹

الدراسة:

ذكر العلماء أوجها في مرجع الضمير، فمذهب الإمام ابن جزى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿مِنْ بَوَافِهِمْ﴾ يعود للسموات، ومذهب الحوفي وجماعة أن الضمير يعود على الأراضين، وقال الأخفش إن الضمير يعود على الكفار²، وأولى هذه الأقوال من قال إن الضمير يعود على السموات يقول الإمام الشوكاني في هذا الصدد: "وقيل المعنى تكاد كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين: اتخذ الله ولدا، وقيل من فوقهن: من فوق الأرضين، والأول أولى، وقال الأخفش الصغير: إن الضمير يعود إلى جماعات الكفار، أي من فوق جماعات الكفار وهو بعيد جدا"³، وقد أنكره إضافة إلى استبعاد الشوكاني له الإمام مكى⁴.

المسألة الخامسة والأربعون (45):

جواب القسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [سورة الدخان الآية 02].

القول المعقب عليه:

اختار الإمام ابن عطية أن يكون جواب القسم هاهنا: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾⁵.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن عطية: "والكتاب المبين هو قسم جوابه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، وقيل ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾" وهو بعيد"⁶.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن جواب القسم في الآية هو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ وهذا القول ذهب إليه جماعة من المفسرين كالإمام الزمخشري، والبيضاوي والنسفي، والعكبري واختاره الشوكاني⁷.

¹ التسهيل، ج2، ص298.

² المرجع نفسه، ج2، ص298.

³ فتح القدير، ج4، ص689.

⁴ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص540.

⁵ أبو حيان البحر المحيط، ج19، ص135.

⁶ التسهيل، ج2، ص322.

⁷ ينظر: الكشف، ج2، ص998. أنوار التنزيل، ج5، ص99. مدارك التنزيل، ج3، ص4109. فتح القدير، ج4، ص744.

بينما إختار الإمام ابن عطية أن يكون جواب القسم ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.

والراجح أن كلا الرأيين يصلحاً لأن يكونا جواباً للقسم، كما إختار ذلك بعض المحققين كالسمين الحلبي وغيره وفي هذا الصدد يقول: "قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يجوز أن يكون جواب القسم، وأن يكون اعتراضاً، والجواب قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، وإختاره ابن عطية، أو جواب ثان من غير عاطف".¹

وأما تعقب الإمام ابن جزى على إختيار ابن عطية فلا يسلم له لأنه لم يذكر دليلاً يؤيد استبعاده لهذا القول خاصة وقد جوزة السمين الحلبي.

المسألة السادسة والأربعون (46):

معنى "إلا" في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ [سورة الدخان الآية 53].

القول المتعقب عليه:

قال الطبري: جاز أن توضع "إلا" في موضع "بعد" لتقارب معنيهما، ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها إذا تقاربا معنيهما.²

التعقيب: قال الإمام ابن جزى متعقباً على قول الطبري: "وقيل "إلا" هنا بمعنى "بعد" وذلك ضعيف".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن "إلا" إستثناء منقطع، والمعنى لا يذوقون فيها الموتى، لكن قد ذاقوا الموتة الأولى خاصة قبل ذلك وهذا قول الزجاج والفراء، وإختاره ابن كثير، وأبو حيان والثعالبي، والشوكاني.⁴

بينما جوز الإمام الطبري أن "إلا" بمعنى "بعد" في هذا الموضع.

والراجح أن إلا تفيد معنى الاستثناء المنقطع، وأما ما ذهب إليه الطبري من أن "إلا" في هذا الموضع بمعنى "بعد" فهذا القول أباه الجمهور لأن "إلا" بمعنى "بعد" لم يثبت⁵، واستغربه المرادي* حيث قال: "ومن أغرب ما قيل في إلا أنها قد تكون بمعنى "بعد".⁶

¹ الدر المصون، ج9، ص614.

² جامع البيان ج21، ص67.

³ التسهيل، ج2، ص326.

⁴ ينظر: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص236. البحر، ج19، ص158. الجواهر الحسان، ج5، ص203. فتح القدير، ج4، ص203.

⁵ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص631.

* هو أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي المصري، أديب وفقه ونحوي، تتلمذ على يد أبي حيان النحوي، من تصانيفه شرح التسهيل، توفي سنة 750هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج2، ص211.

⁶ محمد علي طه، تفسير القرآن وإعرابه، ج8، ص692.

المسألة السابع والأربعون (47):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ﴾ [سورة محمد الآية 28].

القول المعقب عليه:

الضمير في قوله ﴿يَضْرِبُونَ﴾ عائد على الكفار وهذا القول ذكره الإمام ابن عطية ولم ينسبه لقائل.¹

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "ضمير الفاعل للملائكة وقيل للكفار أي يضربون وجوه أنفسهم وذلك ضعيف".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ﴾ عائد على الملائكة وهذا القول اختاره العكبري، والثعالبي، وأبو حيان.³

بينما يرى بعض العلماء أن الضمير في الآية يعود على الكفار، وهذا ذكره بعض المفسرين ولم يعزوه لقائل وضعفه ابن عطية ووافقه وابن جزى وأبو حيان.⁴

والراجح من كلا القولين أن الضمير عائد على الملائكة لدلالة السياق عليه ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنه: "لا يتوفى أحد على معصية إلا بضرب الملائكة في وجهه وفي دبره".⁵

المسألة الثامن والأربعون (48):

عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [سورة ق الآية 02].

القول المعقب عليه:

الضمير في قوله: ﴿عَجِبُوا﴾ عائد على جميع الناس مؤمنهم وكافرهم وهذا القول اختاره ابن عطية، ونسبه إلى جمهور المتأولين.⁶

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص120.

² التسهيل، ج2، ص243.

³ ينظر: إعراب القرآن، ص1885. الجواهر الحسان، ج5، ص244. البحر المحيط، ج19، ص265.

⁴ ينظر: مساعد الطيار، موسوعة التفسير، ج20، ص236. البحر المحيط، ج19، ص265.

⁵ البحر المحيط، ج19، ص265.

⁶ ينظر: المحرر الوجيز، ج5، ص156.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على اختيار ابن عطية: "وقيل الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية، والصحيح أنه لكفار قريش".¹

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ عائد على الكفار، وهذا القول اختيار الإمامان القرطبي، وأبو حيان.²

بينما اختار الإمام ابن عطية أن يكون الضمير عائد على جميع الناس مؤمنهم وكافرهم. والقول الأول أرجح لاختيار المحققين له ويؤيده السياق وفي هذا الصدد يقول الإمام أبو حيان: "والضمير في ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ عائد على الكفار، ويكون قوله: ﴿بِفَالِ الْكَافِرُونَ﴾ تنبيها على العلة الموجبة للعجب، وهو أنهم قد جبلوا على الكفر، فلذلك عجبوا".³

المسألة التاسع والأربعون (49):

دلالة "أو" في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [سورة الذاريات الآية 52].

القول المعقب عليه:

قال أبو عبيدة: "أو" بمعنى الواو".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول أبي عبيدة: "ف" أو "للشك أو التقسيم، وقيل بمعنى الواو وهذا ضعيف ولا يستقيم هنا".⁵

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن مدلول "أو" في الآية إما للشك أو التقسيم ورجح هذا القول ابن عادل.⁶

¹ التسهيل، ج2، ص362.

² ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ج19، ص428. البحر المحيط، ج19، ص354.

³ البحر، ج19، ص354.

⁴ ابن عادل، اللباب، ج18، ص93.

⁵ التسهيل، ج2، ص373.

⁶ اللباب، ج18، ص93.

بينما يرى أبو عبيدة أن "أو" في الآية بمعنى "الواو" واختار هذا القول الإمام القرطبي¹ واستندوا له بما يلي:

أولاً: أنه قد توضع "أو" بمعنى "الواو" في القرآن كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْغَ مِنْهُمْ عَائِماً أَوْ كَبُوراً﴾ [سورة الإنسان الآية 24].

ثانياً: قال أبو عبيدة "أو" بمعنى "الواو" لأنه قد قالهما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجِرٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأعراف الآية

108]، وقال تعالى في موضع آخر ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة الشعراء الآية 26].

ثالثاً: أنه قد وردت في الشعر قال جرير*:

أُتْعِلَبَةُ الْفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحاً *** عَدَلَتْ بِهِمْ طُهَيَّةٌ وَالْخِشَابَا²

والراجح من كلا القولين الأول وهو أن "أو" على بابها، أما ما استدل به أبو عبيدة فلم يسلم له وناقشه الإمام ابن عادل حيث قال: "ورد الناس عليه هذا (أبو عبيدة)، وقالوا لا ضرورة تدعوا إلى ذلك، وأما الآيتان فلا يدلان على أنه قالهما معاً، وإنما يفيد أن قالهما أعم، من أن يكون معاً، أو هذه في وقت وهذه في آخر"³، بالإضافة إلى أن ما ذهب إليه أبو عبيدة تأويل يعتبره النحويين الخذاق خطأ وعكس المعاني وهو مستغنى عنه"⁴.

المسألة الخمسون (50):

معنى "لا" في قوله تعالى: ﴿بَلَا أَفْسِمُ بِمَوْفِعِ الْجُجُومِ﴾ [سورة الواقعة الآية 78].

القول المعقب عليه:

"لا" في الآية حرف نفي، وإن النفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاحد، تقديره: فلا حجة لما يقول الكافر ثم ذكر ابتداءً قسماً بما ذكر، وذهب إلى هذا القول جماعة من المفسرين والنحويين منهم الفراء⁵.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي معقبا على هذا القول: "لا" في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدة لتأكيد القسم، وقيل هي نافية لكلام الكافر، كأنه يقول لا صحة لما يقول الكافر وهذا ضعيف والأول أحسن لأن زيادة "لا" كثيرة معروفة في كلام العرب"⁶.

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 499.

* هو أبو حرزة، جرير بن عطية بن الخطفي التميمي البصري، اخترمته المنية بعد وفاة الفرزدق بشهر ينظر: الذهبي، السير، ج 4، ص 541.

² ينظر: القرطبي، ج 19، ص 499.

³ الباب، ج 18، ص 93.

⁴ النحاس، إعراب القرآن، ص 1035.

⁵ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج 10، ص 220-221.

⁶ التسهيل، ج 2، ص 405.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن أحسن الأقوال أن معنى "لا" زائدة في الآية وهذا القول اختاره البيضاوي والزخشري، وأبي السعود، والنسفي.¹

بينما ذهب الفراء وجماعة من المفسرين، والنحويين إلى أن "لا" هاهنا نافية.

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أحسن القولين الأول وهو أن "لا" زائدة ويدل عليه ما يلي:

أولاً: أن لهذا القول نظائر في القرآن نحو قوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ [سورة الحديد الآية 28]، والتقدير ليعلم.

ثانياً: أنه يشهد له ما أنشده بعضهم بقوله:

فَإِنْ تَكُ لَيْلَى اسْتَوْدَعْتَنِي أَمَانَةً *** فَلَا وَأَبِي لَيْلَى إِذَا لَا أَخُونُهَا²

وأما قول الفراء وهي أن "لا" نافية فقد ضعف هذا بأن فيه حذف اسم "لا" وخبرها.

قال أبو حيان: "وهذا لا يجوز ولا ينبغي".³

المسألة الواحد والخمسون (51):

معنى "الواو" في قوله تعالى: ﴿ثِيَابٌ وَأَبْكَارٌ﴾ [سورة التحريم الآية 05].

القول المعقب عليه:

قال الكوفييهي: "واو الثمانية".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الكوفيين: "وهو ضعيف".⁵

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الواو في الآية عاطفة وهي للتقسيم والتنويع، وبهذا قال كثير من المفسرين كالإمام ابن

عطية، والبيضاوي، والفخر الرازي، والنحاس، والآلوسي، والنسفي، وأبي السعود، والعلامة ابن عاشور والشيخ الصابوني.⁶

¹ ينظر: أنوار التنزيل، ج5، ص183. الكشف، ص1079. إرشاد العقل السليم، ج8، ص199. مدارك التنزيل ج4، ص1188.

² ابن عادل، اللباب، ج18، ص429.

³ ينظر: ابن عادل، المرجع السابق، ج18، ص429.

⁴ التسهيل، ج2، ص464. وأول من قال بهذا ابن خالويه وتبعه جماعة ذكروا منهم الحريري، والثعلبي النيسابوري المفسر، والقاضي الفاضل. ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، ج28، ص362.

⁵ التسهيل، ج2، ص464.

⁶ ينظر: المخر، ج5، ص322. أنوار التنزيل، ج5، ص226. مفاتيخ الغيب، ج30، ص46. إعراب القرآن، ص1172. روح المعاني، ج28، ص156. مدارك التنزيل، ج4، ص1239. إرشاد العقل السليم، ج8، ص142. التحرير والتنوير، ج28، ص262. صفوة التفسير، ج3، ص386.

بينما يرى الكوفيون أن الواو هاهنا هي واو الثمانية وهذا الرأي ضعفه الإمام ابن جزى، ولم يبين وجه تضعيفه، لكن تؤيده أقوال العلماء التالية:

قال الإمام ابن عطية: "وليست هذه الواو مما يمكن أن يقال فيها واو الثمانية، لأنها هنا ضرورية ولو سقطت لاختل هذا المعنى".¹
وقال الإمام ابن عاشور: "ومن غرائب المسائل الأدبية المتعلقة بهذه الآية أن الواو في قوله تعالى: ﴿ثِيَابُكَ﴾ وَأَبْكَارًا﴾ زعم ابن خالويه أن لها استعمال خاص ولقبها بواو الثمانية".²

وقال الآلوسي: "وفي الانتصاف لابن المنير ذكر لي الشيخ ابن الحاجب أن القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب كان يعتقد أن الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية لأنها ذكرة مع الصفة الثامنة، وقد ذكرها بحضرة أبي الجود النحوي فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل، وأحال على المعنى الذي ذكره الزمخشري من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها هاهنا لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد واو الثمانية إن ثبتت فإنما ترد بحيث لا حاجة إليها، إلا الإشعار بتمام نهاية العدد الذي هو السبعة فأنصفه الفاضل واستحسن ذلك منه وقال أرشدتنا يا أبا الجود".³

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أصوب القولين الأول وهو أن الواو في الآية عاطفة وهي للتنويع والتقسيم وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين، وأما القول الثاني فقد استغريه وضعفه جهابذة أئمة التحقيق، وبهذا يظهر صواب تعقب الإمام ابن جزى له والله أعلم.

المسألة الثانية والخمسون (52):

معنى "من" في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [سورة نوح الآية 04].

القول المعقب عليه:

قال السدي، والأخفش: إن "من" هاهنا زائدة، وقيل هي لا ابتداء، وقيل هي لبيان الجنس.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الأخفش والسدي وغيرهما: "من" هنا للتبويض، أي يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب، قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجب ما قبله، وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من عند سبويه إلا في غير الواجب، وقيل هي لبيان الجنس، وقيل لا ابتداء الغاية، وهذان القولان ضعيفان في المعنى والأول هو الصحيح لأن التبويض فيه متجه".⁵

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص322.

² ينظر: التحرير والتنوير، ج28، ص263.

³ روح المعاني، ج28، ص156.

⁴ ينظر: الأصفهاني، إعراب القرآن، ص472. الآلوسي، روح المعاني، ج29، ص69. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص250-251.

⁵ التسهيل، ج2، ص489.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى "من" في هذه الآية للتبعيض، وهذا القول رجحه الإمام ابن عطية والبيضاوي، وأبو حيان، والقرطبي، والشوكاني.¹

بينما ذكر العلماء أوجه في بيان معنى "من" فرأى الأخفش أنها زائدة، وقيل لا ابتداء، وقيل لبيان الجنس²، وهذه الأوجه قد أبطل أولها الإمام ابن جزى، متعللاً بكون "من"³ لا تزداد إلا في غير الواجب، وانتقد الوجهين الآخرين لكونهما ضعيفان من جهة المعنى ويؤيد صحة هذا قول الإمام ابن عادل: "وقيل زائدة وهو قول السدي، ولا يصح كونها زائدة لأن من لا تزداد في الواجب، وقيل هي لبيان الجنس: وفيه بعد إذ لم يتقدم جنس يليق به"⁴.

ويشهد لصحته أيضاً قول الإمام أبو حيان: "من للتبعيض، وقيل لا ابتداء الغاية وقيل زائدة وهذا نحو كوفي، وقيل لبيان الجنس ورد بأنه ليس قبلها ما تبينه".

ومحصلة القول من كل ما سبق أن العلماء أوردوا أوجه في بيان معنى "من" وأبينها من جهة المعنى من يرى أنها للتبعيض ومال إلى ترجيحه أهل التحقيق كابن عطية، وأبو حيان، والعلامة الشوكاني، وبهذا يتبين صواب ابن جزى في تعقبه للأوجه الأخرى والله أعلم.

المسألة الثالث والخمسون (53):

معنى "الباء" في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [سورة الإنسان الآية 06].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية: "الباء هنا زائدة".⁵

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول الإمام ابن عطية: "وهذا ضعيف، لأن الباء إنما تزداد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر".⁶

¹ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص489. أنوار التنزيل، ج5، ص249. البحر المحيط، ج20، ص527. الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص250-251. فتح القدير، ج5، ص394.

² وقال الإمام ابن عاشور زائدة، وجوز النسفي كونها للبيان. ينظر: مدارك التنزيل، ص1263.

³ البحر المحيط، ج20، ص527.

⁴ الباب، ج19، ص89.

⁵ المحرر الوجيز، ج5، ص410.

⁶ التسهيل، ج2، ص518.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن معنى الباء في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ للإلصاق، وهذا القول اختاره الإمام الزمخشري، والإمام أبو حيان والمعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول: شربت الماء بالعسل.¹ بينما ذهب الإمام ابن عطية إلى أن معنى الباء في الآية زائدة ويدل على هذا القول أمران: أحدهما: قراءة ابن أبي علبه: "يشربها عباد الله".²

والثاني: قول الهذلي:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ *** مَتَى لَجَجِ خُضْرٍ لَهُنَّ نَيْجٌ³

وقد ضعف هذا القول ابن جزى، مستندا إلى أن هذا الموضع ليس مما تزداد فيه، ولم أقف من عضد قوله، وعليه يصح أن يقال إن الباء زائدة وتشهد لها القراءة، وقول الهذلي.

ومحسلة القول أن الباء اختلف العلماء في معناها فمنهم من قال هي للإلصاق، ومنهم من قال إنها زائدة وكلا المعنيين ذهب إليه بعض المفسرين، وعليه يتبين مجانبة الإمام ابن جزى للصواب في تضعفه لقول الإمام ابن عطية الذي اختار كونها زائدة هنا والله أعلم.

المسألة الرابع والخمسون (54):

مرجع الضمير "في" قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [سورة الطارق الآية 07].

القول المعقب عليه:

قال الإمام ابن عطية: "الضمير في يخرج يحتمل أن يكون للإنسان".⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على قول ابن عطية: "وهذا بعيد جدا".⁵

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الضمير في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ﴾ عائد إلى ﴿مَاءٍ دَائِبٍ﴾ [سورة الطارق الآية 06]، وهذا القول رجحه الإمام المهدوي والعلامة ابن عاشور.⁶

¹ الكشف، ص 1164، البحر المحيط، ج 21، ص 140.

² المحرر الوجيز، ج 5، ص 528.

³ أبو حيان، البحر المحيط، ج 21، ص 140.

⁴ المحرر الوجيز، ج 5، ص 466.

⁵ التسهيل، ج 2، ص 561.

⁶ التحرير والتنوير، ج 30، ص 263.

بينما يرى الإمام ابن عطية أن الضمير في يخرج يحتمل أن يكون للإنسان، وهذا الرأي قد استبعده الإمام ابن جزري ولم يذكر دليلاً أو تعليلاً يعضد قوله.

وعليه فالراجح من كلا القولين أن الضمير في قوله "يخرج عائد إلى الماء وهو الذي تقضي به القاعدة المعروفة" أن عَوْدُ الضمير إلى أقرب مذكور أولى.¹

المسألة الخامسة والخمسون (55):

معنى ﴿هَلْ﴾ في قوله سبحانه: ﴿هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْعَلَشِيَّةِ﴾ [سورة الغاشية الآية 01].

القول المعقب عليه:

قال قطرب وجماعة من المفسرين ﴿هَلْ﴾ بمعنى "قد".²

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا على قول قطرب: "وهذا ضعيف".³

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزري أن معنى ﴿هَلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَلْ آتَيْكَ حَدِيثُ الْعَلَشِيَّةِ﴾ للاستفهام على بابه يراد منه التنبيه والتفخيم للأمر، وهذا القول رجحه العلامة الألوسي، والإمام أبي السعود، وهو أحد الوجهين اللذين أجازهما السمين الحلبي.⁴ بينما ذهب قطرب وجماعة من المفسرين كالخازن والأصفهاني وغيرهما أن "هل" بمعنى "قد"⁵، وهذا الرأي ضعفه ابن جزري ويؤيد صحته قول الإمام أبي السعود: "قيل هي بمعنى قد كما في قوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [سورة الإنسان الآية 01]، قال قطرب أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك هي استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة، وتتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد".⁶

وبعد تأمل ونظر يتبين أن أولى القولين ماذهب إليه ابن جزري وغيره من أن معنى "هل" على بابها للاستفهام، وبهذا جزم أهل التحقيق وإليك أقوالهم كما يلي:

¹ حسين الحربي، قواعد الترجيح، ص 621.

² ينظر: ابن عادل، الباب، ج 20، ص 289. الشوكاني، فتح القدير، ج 5، ص 520.

³ التسهيل، ج 2، ص 566.

⁴ ينظر: روح المعاني، ج 30، ص 112. إرشاد العقل السليم، ج 9، ص 148. الدر المنصور، ج 10، ص 765.

⁵ ينظر: لباب التأويل، ج 4، ص 420. إعراب القرآن، ص 518.

⁶ إرشاد العقل السليم، ج 9، ص 148.

قال الإمام ابن عطية: "وقال الخذاق هي -أي: هل- على بابها توقيف".¹

وقال العلامة الآلوسي: "قليل هل بمعنى قد وهو ظاهر كلام قطرب، والمختار أنها للاستفهام، وهو استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه".²

وقال الإمام الشوكاني: "وقيل إن بقاء 'هل' على معناها الاستفهامي المتضمن للتعجب بما في خبره، والتشويق إلى استماعه أولى".³

المسألة السادسة والخمسون (56):

معنى "من" في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [سورة القدر الآية 04].

القول المعقب عليه:

قال أبو حاتم*: "من" في هذه الآية بمعنى الباء أي تنزل بكل أمر فهي للتعدية.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزي متعباً على قول أبو حاتم: "وقيل على هذا المعنى أن 'من' بمعنى 'الباء' أي ينزلون بكل أمر وهذا ضعيف".⁵

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزي أن "من" في الآية بمعنى اللام التعليلية وهذا متعلق بما قبله والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل كل أمر يقضيه الله في ذلك العام فإنه روي أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمثلوا ذلك في العام كله، وهذا القول ذهب إليه الأكثر وبه قال الإمام الزمخشري، والنسفي، والبيضاوي، وأبي السعود، والفخر الرازي، ورجحه الشوكاني، وهو أحد الوجهين التي جوزها السمين الحلبي، ووافقه ابن عادل.⁶

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص472.

² روح المعاني، ج30، ص112.

³ فتح القدير، ج5، ص520.

* هو الإمام محمد بن إدريس يكتفى بأبي حاتم الرازي، أحد كبار أئمة علم الحديث، أخذ العلم عن محمد بن عبد الله الأنصاري، كما روى عنه أبو داود ولنسائي، صاحب السُّنن، من تصانيفه: الجرح والتعديل، توفي سنة 337هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج3، ص321.

⁴ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج11، ص63-64.

⁵ التسهيل، ج2، ص595.

⁶ ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج30، ص196. الكشف، ص1214. مدار التنزيل، ج4، ص1339. أنوار التنزيل، ج5، ص327. إرشاد العقل السليم، ج9، ص183. مفاتيح الغيب، ج31، ص35. فتح القدير، ج4، ص634، الدر المصون، ج11، ص63-64. اللباب، ج20، ص429.

بينما ذهب أبو حاتم أن "من" هنا بمعنى "الباء" وقال بهذا الثعلبي والقرطبي والخازن، وجوزه الإمام السمين الحلبي والعلامة ابن عاشور¹، وهذا القول ضعفه ابن جزري ولم يذكر مستندا لتضعيفه لهذا الوجه.

وبهذا يتبين جواز كلا الوجهين في معنى "من" ويؤيد هذا كلام إمامين جليلين وإليك أقوالهما كالآتي:

قال السمين الحلبي: "يجوز في "من" وجهان أحدهما: بمعنى اللام ويتعلق بـ (تنزل) أي تنزل من أجل كل أمر قضى إلى العام القابل، والثاني: أنها بمعنى "الباء" أي تنزل بكل أمر فهي للتعدية".²

وقال العلامة ابن عاشور: "ويجوز أن تكون بمعنى "الباء" أي تنزل بكل أمر مثل ما في قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد الآية 12] أي بأمر الله، ويجوز أن تكون للتعليل، أي من أجل كل أمر أراد الله قضاءه بتسخيرهم".³

¹ ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان، ج5، ص612. الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص396. لباب التأويل، ج4، ص453، الدر المصون، ج11، ص63-64. التحرير والتنوير، ج30، ص464.

² الدر المصون، ج11، ص63-64.

³ التحرير والتنوير، ج30، ص464.

المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بالعلوم الشرعية

الفقه زاد المتعبد وعون المسترشد، ومن قلّ فقهه قلّ حظّه، ولهذا اعتنى الإمام ابن جزري بهذا الجانب، حيث يعرض أثناء تناوله لآيات الأحكام ذكّر أقوال فقهاء مذهبه دون أن يُغفل رأي المذاهب الأخرى، ملتزماً مسلك الاختصار في عرضها، كما كان أثناء سوقه لتلك الآراء ينتقد ما يرى ضعفه، وفي هذا المبحث سنتطرق لدراسة تلك الاعتراضات، وهي مرتبة على وفق التالي:

المسألة الأولى (01):

هل في الآية محذوف: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَتٍ بَمَسْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ بَمَسْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 184].

القول المعقب عليه:

الظاهرية يرون أن الآية ليس فيها تقدير محذوف لذلك قالوا: أن المسافر أو المريض في رمضان إن صام لا يصح منهما، ويوجبون عليهما عدة من أيام أخرى حال زوال ذلك الوصف عليهما¹ وهذا القول ينسب إلى إمام مذهب الظاهرية داوود.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزري معقبا، على رأي الظاهرية: "وهذا جهل بكلام العرب".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزري أن في الآية حذف تقديره "فأفطر فعدة"، وهو مذهب الجمهور، وعليه لا إعادة على من صام في السفر أو حال تلبسه بالمرض، لكن الظاهرية مذهبهم، أنه ليس في الآية حذف، لذا أوجبوا إعادة الصيام على المسافر والمريض سواء صام أو أفطر.

ومما تقدم ذكره يتبين أن أصوب الرأيين الأول وهو مذهب جمهور العلماء، وأما ما ذهب إليه الظاهرية، من وجوب إعادة على المسافر والمريض إن صام فمنتقد من عدة أوجه وهي كالتالي:

¹ ينظر: ابن جزري، التسهيل، ج1، ص97. قال ابن العربي مستبعدا ما ادعاه الظاهرية: "قال علماؤنا هذا القول من لطيف الفصاحة، لأن تقديره فأفطر فعدة من أيام أخر، وقد عزي إلى قوم إن سافر في رمضان قضاه إن صامه أو أفطر، وهذا لا يقول به إلا ضعفاء الأعاجم، فإن جزالة القول وقوة الفصاحة تقتضي ذلك، وقد ثبت عن النبي ﷺ "الصوم في السفر قولا وفعلا". ينظر: أحكام القرآن، ج1، ص112.

² التسهيل، ج1، ص97.

- 1- أن في سياق الكلام حذف كما قال الجمهور وتقديره: " فأفطر فعدة"، وهذا له نظائر في كتاب الله عز وجل نحو قوله تعالى: ﴿بَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَيَنْفَلِقَ بَكَانَ كُلِّ فِرْعَوْنَ وَالْطُّورِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء الآية 63]: أي "فضرب فانفلق"¹، وقوله: سبحانه: ﴿بِمَسْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ بِهِدْيَةٍ مِّن صَيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾ [سورة البقرة الآية 195] تقديره: "فخلق فدية"².
- 2- أنه مخالف لما ثبت عن النبي ﷺ قولاً وفعلًا، والمنصوص عنه من قواعد الترجيح "إذ ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"³.
- 3- أنه مخالف لقول الجمهور، ومذهب الظاهرية معتبر إن لم يخالف قول الجمهور، فما بالك إن تبين مخالفته للنصوص الثابتة الصحيحة الصريحة.
- 4- أن ظاهر سياق قوله سبحانه ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة الآية 183] يقضي برده أيضا.

المسألة الثانية (02):

الحكم المستنبط من قوله تعالى: ﴿بَقُلْنَا إِضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّلُ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 72].

القول المعقب عليه:

استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني، كما استدلو بها أن القاتل لا يرث، وهذا القول من رواية ابن القاسم وابن وهب عن مالك.⁴

التعقيب:

وبعد أن ساق الإمام ابن جزى ما نقله ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال معقبا: "استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني، وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته، ومعينة الآخرة قصة معجزة للنبي ﷺ، فلا يتأتى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره واستدلو بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك".⁵

¹ ينظر: البيضاوي، الدرر المصون، ج2، ص270.

² ابن العربي، أحكام القرآن، ج1، ص112.

³ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص206.

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن ج1، ص39.

⁵ التسهيل، ج1، ص71.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى ضعف وجه استدلال المالكية في قبول قول المقتول فلان قتلني مطلقاً، وعلل ذلك بأن كلامه خبر فيحتمل، الصدق والكذب، وهذا تعليل وجيه ودقيق قد إرتدى ثوب الصحة في ظاهره، لكن نقضه الحافظ ابن كثير بالحجة والدليل وفي هذا الصدد يقول: "استدل لمذهب مالك في كون قول الجريح فلان قتلني لوثاً بهذه القصة، لأن القتل لما حيي سئل عمن قتله، فقال فلان قتلني، فكان ذلك مقبولا منه، لأنه لا يخبر حينئذ إلا بحق، ولا يتهم والحالة هذه"¹، ورجحوا ذلك لحديث أنس أن يهوديا قتل جارية. فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: «أَنَّ جَارِيَةً وَجِدَ رَأْسُهَا مَرْضُوضاً بَيْنَ حَجْرَيْنِ، فَقِيلَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ: فُلَانٌ، فُلَانٌ؟ حَتَّى ذَكَرَ يَهُودِيٌّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَأَخَذَ الْيَهُودِيُّ فَأَعْتَرَفَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَضَّ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجْرَيْنِ»².

ويرى الإمام ابن جزى أيضاً أن من إستدل بهذه القصة على أن القاتل لا يرث دعوة لا دليل عليها. وبعد نظر في كلام المفسرين يتبين أن ما ذهب إليه الإمام ابن جزى، في عدم صحة إستنباط المالكية واستدلالهم متوقف على عدم ثبوت القصة، كما ذكر أبو حيان حيث قال: "وقد ذكر المفسرون أحكاماً فقهية انتزعوها، واستدلوا عليها من قصة هذا القتل، ولا يظهر استنباط ذلك، قالوا في هذه الآية دليل على حرمان القاتل ميراث المقتول وإن كان ممن يرثه، وأقول لا تدل هذه الآية على ذلك، وإنما القصة إن صحت تدل على ذلك لأن في آخرها فما ورث قاتل بعدها ممن قتله، وروي عن عمر وعلي وابن عباس وابن المسيب، أنه لا ميراث له عمداً كان أو خطأ، لا من ديته، ولا من سائر ماله"³.

وأما إن صحت فهو استدلال صحيح ومستساغ على مذهب المالكية، الذين يرون أن شرع من قبلنا شرع لنا إن ثبت يقول الإمام ابن العربي مقرر لهذا: "وبينا أن الصحيح القول بلزوم شرع من قبلنا مما أخبرنا به نبينا ﷺ، عنهم دون ما وصل إلينا من غيره، لفساد الطرق إليهم، وهذا هو صريح مذهب مالك في أصوله، كلها، وستراها مورودة بالتبين حيث تصفحت المسائل من كتابنا هذا أو غيره، ونكتة ذلك أن الله تعالى أخبرنا عن قصص النبيين، فما كان من آيات الازدجار، وذكر الاعتبار، ففائدته الوعظ وما كان من آيات الأحكام فالمراد به الإمثال له والاقتداء به"⁴.

¹ تفسير القرآن العظيم ج1، ص174.

² صحيح مسلم، كتاب القسامة والمحاربين، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من المحدثات والمنقولات، وقتل الرجل بالمرأة، رقم: 1672.

³ البحر المحيط، ج1، ص204.

⁴ أحكام القرآن، ج1، ص39.

المسألة الثالثة (03):

هل حكم وجوب السعي مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّبَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة الآية 157].

القول المعقب عليه:

حكم وجوب السعي بين الصفا والمروة يؤخذ من قوله ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وهذا قول جماعة من المفسرين، كابن العربي، وابن عاشور، وأبي بكر جابر الجزائري¹ وغيرهم.

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهذا ضعيف لأن شعائر الله منها واجبة ومنها مندوبة".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن أخذ حكم وجوب السعي بين الصفا والمروة مستندا لقوله سبحانه ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ لا يتأتى، لأن شعائر الله منها الواجب والمندوب، فمذهبه أن السعي سنة.³

القول الثاني: أن وجوب السعي يؤخذ من قوله: ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وهذا قول كثير من العلماء، وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "فإن الله قال: هما من شعائر الله وكل ما كان من شعائر الله فلا بد من نسك واجب بهما كسائر الشعائر من عرفة، ومزدلفة، ومنى، والبيت، فلا يجوز أن يجعل المكان شعيرة لله وعلماء له، ويكون الخلق مخيرين بين قصده والإعراض عنه، لأن الإعراض عنه مخالف لتعظيمه، وتعظيم الشعائر واجب لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [سورة الحج الآية 30]، والتقوى واجبة على الخلق، وقد أمر الله بها، ووصى بها في غير موضع، وذم من لا يتقي الله، ومن استغنى عن تقواه وتوعده، وإذا كان الطواف بهما تعظيما لهما، وتعظيمهما من تقوى القلوب، والتقوى واجبة، كان الطواف بهما واجباً، وفي ترك الوقوف بهما ترك لتعظيمهما".⁴

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن أصحاب القول الثاني، الذي استقوا حكم وجوب السعي أرجح، لورود أدلة أخرى تعضد هذا القول وتأييده، من أصرحها قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ السَّعْيَ فَاسْعَوْا».⁵

¹ ينظر: أحكام القرآن، ج 1، ص 72. التحرير والتنوير، ج 2، ص 62. أيسر التفاسير، ج 1، ص 136.

² التسهيل، ج 1، ص 90. ويقول السمين الحلي: "والذي يظهر به صحته أن يكون ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ متعلقا بقوله: ﴿اعْبُدُوا﴾ فالذي نودوا لأجله هو الأمر بالعبادة فناسب أن يتعلق بها ذلك".²

³ اختلف العلماء في حكم السعي على أقوال، والجمهور يرون أنه ركن وهو القول الذي يؤخذ به. ينظر: أيسر التفاسير، ج 1، ص 136.

⁴ مساعد الطيار، موسوعة التفسير بالمأثور، ج 3، ص 205.

⁵ الألباني، صحيح الجامع، ج 1، ص 370، رقم: 1798، وقال: صحيح.

المسألة الرابعة (04):

وجوب حكم العمرة قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة الآية 195].

القول المعقب عليه:

قال القرطبي: "في هذه الآية دليل على وجوب العمرة، لأنه تعالى أمر بإتمامها، كما أمر بإتمام الحج".¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على من أوجب العمرة بنص الآية "ولا حجة فيها لمن أوجب العمرة لأن الأمر بالإتمام لا بالابتداء".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن الأمر بوجوب إتمام العمرة في الآية لا يفهم منه تأصيل حكمها ابتداء، وهو ظاهر سياق الآية، وإليه ذهب كثير من المفسرين يقول الإمام بن العربي: "وليس في هذه الآية حجة للوجوب لأن الله سبحانه وتعالى، إنما قرنها بالحج في وجوب الإتمام لا في الابتداء، فإنه ابتداء بإيجاب الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَأَتِمُّوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة النساء الآية 76]، وابتداء بإيجاب الحج فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران الآية 97]، ولما ذكر العمرة أمر بإتمامها، لا بابتدائها، فلو حج عشر حجج، أو اعتمر عشر عمر لزمه الإتمام في جميعها، وإنما جاءت الآية لإلزام الإتمام، لا لإلزام الابتداء".³

وقال أبو السعود عند بيانه للآية: "بيان لوجوب إتمام أفعالها، عند التصدي لآدائها، وإرشاد للناس إلى تدارك ما يعترضهم من العوارض المخلة بذلك من الإحصار ونحوه، من غير تعرض لحالهما، في أنفسهما من الوجوب وعدمه، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْيَلِّ﴾ [سورة البقرة الآية 186]، فإنه بيان لوجوب مد الصيام إلى الليل، من غير تعرض لوجوب أصله، وإنما هو بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [سورة البقرة الآية 182]، كما أن وجوب الحج بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران الآية 97]، فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمر بأصله ولا مستلزما له أصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا، وادعاء أن الأمر بإتمامها أمر بإنشائها تأمين كاملين حسبما تقتضيه قراءة ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وأن الأمر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة أن ليس البيان مقصورا على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك، بل الحق أن تلك القراءة أيضا محمولة على المشهور ناطقة بوجوب إقامة أفعالهما من غير تعرض لحالهما في أنفسهما".⁴

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج 2، ص 367. والقول بالوجوب مروي عن ابن عباس وعلي، وابن عمر، وعطاء وطاووس ومجاهد، والإمام الشافعي.

² التسهيل، ج 1، ص 101.

³ أحكام القرآن، ج 1، ص 169.

⁴ إرشاد العقل السليم، ج 1، ص 206.

القول الثاني: أن في الآية دليل على وجوب العمرة لأن الله أمر بإتمامها، كما أمر بإتمام الحج، وهذا قول القرطبي، واختيار بعض الفقهاء، واستندوا إلى أدلة أخرى.

بعد النظر في أدلة كلا القولين يتبين، أن قول الإمام ابن جزى، ومن اختاره من المفسرين، له وجهة من جهة السياق، فلا يفهم من الإتمام إنشاء حكم وجوب العمرة ابتداءً، إلا أنه ما يعكس صفواً هذا القول، ثبوت وجوب العمرة ابتداءً بدلائل النصوص النبوية الصريحة، الصحيحة، وعليه فالقول الثاني الذي نص عليه القرطبي، وغيره له ما يؤيده كذلك.

المسألة الخامسة (05):

تخصيص حكم الإعتكاف بالمساجد الثلاثة في قوله عز وجل: ﴿حِجْلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّبَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَبَا عَنْكُمْ بِأَلْسِنَةٍ نَبِيٍّ وَأَنْتُمْ لَبَسْتُمْ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَفْرُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 186].

القول المعقب عليه:

قال القرطبي: "ذهب قوم إلى أن الآية، خرجت على نوع من المساجد، وهو ما بناه نبي، كالمسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، ومسجد إيلياء، وهذا القول مروى عن حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب".¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول حذيفة بن اليمان وسعيد بن المسيب: "في المساجد دليل على جواز الاعتكاف في كل مسجد، خلافاً لمن قال: لا اعتكاف إلا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، وبيت المقدس".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن سياق الإطلاق في قوله في المساجد يقتضي العموم، وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة، قال ابن عاشور: "وهو التحقيق"،³ ويؤيد هذا القول نفي المفسرين لدعوى التخصيص من ذلك قول أبي السعود عند تفسيره للآية: "وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض".⁴

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص332.

² التسهيل، ج1، ص101.

³ التحرير والتنوير ج2، ص186.

⁴ إرشاد العقل السليم، ج1، ص202.

وقال البيضاوي أيضا: "وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد".¹

وقال الرازي "واحتج الشافعي بأن قوله تعالى في المساجد عام يتناول كل المساجد".²

وقال ابن العربي: "مذهب مالك الصريح الذي لا مذهب له سواه، جواز الاعتكاف في كل مسجد لأنه سبحانه تعالى قال: ﴿وَأَنْتُمْ عَلَىٰكُمْ فِي الْمَسَاجِدِ﴾، فعمّ المساجد كلها".³

القول الثاني: خصص بعض السلف فقالوا أن الآية خرجت على نوع من المساجد وهو ما بناه نبي، ومن ثم قالوا لا يشرع الإعتكاف إلا في المساجد الثلاثة، وهذا قول حذيفة ابن اليمان، وسعيد ابن المسيب.

وبعد النظر في كلا القولين ومراجعة ما كتب المفسرين يتبين أن القول الأول أصوب، وقد رجحه كثير من المفسرين، وأما القول الثاني فيعترض عنه بأنه تخصيص للعموم، دون دليل.

المسألة السادسة (06):

ما المراد بالتسريح في قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ابْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة الآية 227].

القول المعقب عليه:

المراد بالتسريح في الآية الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وهذا القول مروي عن مجاهد وعطاء وغيرهما، وصححه القرطبي واختاره الشوكاني والإمام ابن عطية.⁴

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على قول مجاهد وعطاء: "وقيل التسريح هاهنا الطلقة الثالثة بعد الاثنتين وروي في ذلك حديث ضعيف، وهو بعيد لأن قوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾ [سورة البقرة الآية 228] هو الطلقة الثالثة وعلى ذلك يكون تكرار والطلقة الرابعة لا معنى لها".⁵

¹ أنوار التنزيل، ج 1، ص 126.

² مفاتيح الغيب، ج 5، ص 123.

³ أحكام القرآن، ج 1، ص 169.

⁴ ينظر: المحرر، ج 1، ص 306. الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 127-128. فتح القدير، ج 1، ص 273. البيضاوي، أنوار التنزيل، ج 1، ص 142.

⁵ التسهيل، ج 1، ص 111.

الدراسة:

يرى الإمام جزي أن المراد بالتسريح في الآية هو تركها حتى تنقضي العدة فتبين منه، بإحسان المتعة، وهذا القول مروى عن السدي والضحاك، واختاره الشوكاني¹ ورجحه الإمام الفخر الرازي حيث قال: وأعلم أن هذا الوجه أقرب لوجه:

- أن الفاء في قوله فإن طلقها تقتضي وقوع الطلقة متأخر عن ذلك التسريح، فلو كان المراد بالتسريح الطلقة لكان قوله: فإن طلقها طلقة رابعة؛ وثانيها: أن لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الأحوال؛ وثالثها: أن ظاهر التسريح هو الإرسال والإهمال، فحمل اللفظ على ترك المراجعة أولى من حمله على التخليق؛ ورابعها: أنه قال بعد ذكر التسريح، ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [سورة البقرة الآية 227]، والمراد به الخلع، ومعلوم أنه لا يصح الخلع بعد أن طلقها الثالثة.²

القول الثاني: أن المراد بالتسريح في الآية أن يطلقها ثالثة فيسرحها، وهذا مروى عن مجاهد وعطاء وغيرهما وقال القرطبي وهو أصح لوجه:

أولاً: عن أنس قال رجلٌ للنبي ﷺ إني أسمع الله تعالى يقول: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَأَيْنَ الثَّالِثَةُ؟ قال: فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ هِيَ الثَّالِثَةُ».³

ثانياً: إن التسريح من ألفاظ الطلاق، ألا ترى أنه قد قرئ "إن عزموا السراح".

ثالثاً: أن فعل تفعيلاً يعني أنه أحدث فعلاً مكرراً على الطلقة الثانية وليس في الترك إحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل.⁴

وبالتأمل فيما استندا إليه الفريقين من أدلة وتعليلات يتبين أن القول الأول أرجح وهو أن التسريح في الآية يراد به الطلقة الثالثة، ويشهد لوجهة هذا القول الخبر المروي عن النبي ﷺ في تفسيره للآية، حتى وإن سلمنا بضعفه، فقد عضد بوجه أخرى كاختيار بعض المحققين، أمثال الرازي، والشوكاني، ومن المتقرر من قواعد الترجيح أن الحديث الضعيف معتبر في الترجيح، إن وجد ما يعضده، وهذا ما يسمى بتعاوض وجوه الترجيح.⁵

¹ فتح القدير، ج 1، ص 200. قال وهو أظهر.

² ينظر: مفاتيح الغيب، ج 6، ص 105.

³ رواه الدارقطني، السنن، ج 5، ص 07، رقم: 3888. واختلف النقاد في حكمه فصحه ابن فطان، وقال البيهقي: ليس بشيء.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 127-128.

⁵ حسين الحري، قواعد الترجيح، ص 191.

المسألة السابعة (07):

تأول الزمخشري لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْ لِيكَ﴾ [سورة الأعراف الآية 143].

القول المعقب عليه:

قال الزمخشري متأولا لهذه الآية: "طلب موسى للرؤية بوجهين: أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيئا لمن خرج معه من بني إسرائيل، الذين طلبوا الرؤية، ﴿بَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء الآية 152]. فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا، والآخر أن معنى ﴿أَرِنِي أَنْظِرْ لِيكَ﴾ عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا".¹

التعقيب:

قال ابن جزى معقبا على ما أورده الزمخشري من تأويلات في بيان معنى الآية "وكلا الوجهين بعيد، والثاني أبعد وأضعف، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية، لم يقل أنظر إليك".²

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى جواز وقوع الرؤية عقلا في الدنيا والآخرة بصريح الكتاب والسنة، وأما المنع الوارد في الآية المتقدمة فمحمول على الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وهذا قول ابن عباس، وكثير من المفسرين كالشوكاني، وأبي مظفر السمعاني، والبغوي، والزجاج، وابن الجوزي، وهو مذهب أهل السنة³ وتأولوا الآية فقالوا هذا من باب الحذف والتقدير: لن تراني في الدنيا، أو أريني نفسك أنظر إليك، كما استندوا أصحاب هذا القول كذلك إلى ما يلي: أولا: سياق الآية يقول الرازي: "من الوجوه المستتبطة من هذه الآية الدالة على أنه تعالى جائر الرؤية، وذلك لأنه تعالى لو كان مستحيل الرؤية لقال: لا أرى، فلما قال لن تراني ولم يقل لا أرى، علمنا أن هذا يدل على أنه تعالى في ذاته جائر الرؤية".⁴ ثانيا: أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائر، والمعلق على الجائر جائر، فيلزم كون الرؤية في نفسها جائزة.

ثالثا: أن التجلي هو الرؤية.

رابعا: أن الأحاديث التي تثبت وقوع الرؤية قد بلغت درجة التواتر يقول الشوكاني: "وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواتر لا يخفى على كل من يعرف السنة المطهرة".⁵

القول الثاني: ويرى المعتزلة نفي الرؤية واستحالتها في الدنيا والآخرة، وتأولوا قوله عز وجل بأربع تأويلات وهي:

¹ ابن جزى، التسهيل، ج1، ص315.

² التسهيل، ج1، ص315.

³ ينظر: التسهيل، ج1، ص316. فتح القدير، ج2، ص345. زاد المسير، ص517. تفسير القرآن، ج1، ص212.

⁴ مفاتيح الغيب، ج14، ص242.

⁵ الشوكاني، فتح القدير، ج2، ص345.

أحدهما: قال الحسن وغيره: أن موسى عليه السلام ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله تعالى، قال ومع الجهل بهذا المعنى قد يكون المرأ عارفا بربه وبعده وتوحيده.

وثانيهما: أن موسى سأل الرؤية على لسان قومه.

وثالثها: أن موسى سأل ربه من عنده معرفة باهرة باضطرار، وأهل هذا التأويل مختلفون، فمنهم من يقول سأل ربه المعرفة الضرورية، ومنهم من يقول بل سأل إظهار الآيات الباهرة، التي عندها تنزل الخواطر والوساوس.

ورابعها: المقصود من هذا السؤال أن يذكر تعالى من الدلائل السمعية ما يدل على امتناع رؤيته، حتى يتأكد الدليل العقلي بالدليل السمعي.¹

واستدل القائلون بنفي الرؤية بعد أن اختلفوا في تأويل الآية نصرة لمذهبهم بما يلي:

أولاً: ما نقل عن أهل اللغة أن كلمة لن لتأييد.

ثانياً: أنه تعالى حكى عن موسى أنه خر صعقا، ولو كانت الرؤية جائزة فلم خر عند سؤالها صعقا.

ثالثاً: أنه عليه السلام لما أفاق قال "سبحانك"، وهذه الكلمة للتنزيه، فثبت بهذا أن نفي الرؤية تنزيه الله عن النقائص والآفات، فوجب كون الرؤية من النقائص والآفات وذلك على الله محال، فثبت أن الرؤية على الله ممتنعة.

أن موسى عليه السلام قال تبت إليك، ولولا أن طلب الرؤية ذنب لما تاب منه، ولولا أنه ذنب ينافي صحة الإسلام لما قال: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف الآية 143]²، لذا تأولوا الآية بأربع تأويلات، تقرير لمعتقدهم ذكر الرازي في تفسيره.³

وبعد نظر في كلا القولين يتبين أن التحقيق في المسألة أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار، جائزة عقلا في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلا في دار الدنيا قول موسى رب أرني أنظر إليك لأن موسى لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالى، وأما شرعا فهي جائزة وواقعة في الآخرة، كما دلت عليه الآيات المذكورة، وتواترة به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعا كما تدل عليه آية الأعراف هذه وحديث إنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا⁴، وأما التأويلين اللذان أوردهما الزمخشري وتعقبه ابن جزى فقد نقض غرضهما، وصدع بنيانهما الإمام الرازي في تفسيره حيث قال: "وأما التأويل الأول وهو أنه عليه السلام إنما سأل الرؤية لقومه لا لنفسه فهو أيضا فاسد ويدل عليه وجوه:

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج14، ص238-239.

² المرجع نفسه، ج14، ص242-243.

³ ينظر: مفاتيح الغيب، ج14، ص242-243.

⁴ الشنقيطي، أضواء البيان، ج2، ص391.

الأول: أنه لو كان الأمر كذلك لقال موسى: أَرَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ، ولقال لن يروني، فلما لم يكن كذلك بطل هذا التأويل.
الثاني: أنه لو كان هذا السؤال طلباً للمحال لمنعهم عنه كما أنهم لما قالوا إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة منعهم عنه بقوله إنكم قوم تجهلون.

الثالث: أنه كان يجب على موسى إقامة الدلائل القاطعة على أنه تعالى لا تجوز رؤيته.

الرابع: أن أولئك الأقوام الذين طلبوا الرؤية، إما أن يكونوا قد آمنوا بنبوة موسى أو ما آمنوا، فإن كان الأول كفاهم في الامتناع عن ذلك السؤال الباطل بمجرد قول موسى عليه السلام، وإن كان الثاني لم ينتفعوا بهذا الجواب لأنهم يقولون لا نسلم أن الله منع من الرؤية.

وأما التأويل الثالث فبعيد ويدل عليه وجوه:

الأول: أن على هذا التقدير يكون معنى الآية أَرِنِي أَمْرَ أَنْظُرَ إِلَى أَمْرِكَ، ثم حذف المفعول والمضاف، إلا أن سياق الآية يدل على بطلان ذلك، وهو قوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَسْ بِرَبِّينِ﴾ [سورة الأعراف الآية 143] فسوف تراني ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [سورة الأعراف الآية 143]، ولا يجوز أن يحمل جميع هذا على حذف المضاف.

الثاني: أن الله تعالى أراه من الآيات ما لا غاية بعدها كالعصا واليد البيضاء، والطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، وإضلال الجبل.

الثالث: أنه كان يتكلم مع الله بلا واسطة، ففي هذه الحالة كيف يليق به أن يقول أظهر لي آية قاهرة ظاهرة تدل على أنك موجود، ومعلوم أن هذا الكلام في غاية الفساد.

الرابع: أنه لو كان المطلوب آية تدل على وجوده، لأعطاه تلك الآية كما أعطاه سائر الآيات، ولكان لا معنى لمعنه عن ذلك فثبت ما دلّ العقل عليه.¹

وأقوى دليل ينصر مذهب المعتزلة في نفي الرؤية ما إدعاه بعضهم من أن لن تفيد التأييد قال الواحدي مفنداً لهذا الزعم: "وهذه دعوة باطلة على أهل اللغة وليس يشهد بصحته كتاب معتبر، ولا نقل صحيح".²
ويؤيد كلام الواحدي ما قاله ابن مالك*:

وَمَنْ رَأَى النَّفْسَ بِلْسَانِ مُؤْبَدٍ *** فَقَوْلُهُ أَرَدَدَ وَسَوَاهُ فَاعْضُدْ³

¹ مفاتيح الغيب، ج 14، ص 241.

² المرجع نفسه، ج 14، ص 243.

* هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي، يكنى بأبي عبد الله، أحد حفاظ اللغة وأئمة النحو، أخذ عنه البدر بن جماعة وغيره، توفي سنة 672هـ، من أشهر تصانيفه: شرح التسهيل، والألفية. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج 1، ص 130-135.

³ شرح الكافية الشافية، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، ط 1، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ج 3، ص 1515.

المسألة الثامنة (08):

تعين ليلة القدر في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [سورة القدر الآية 02].

القول المعقب عليه:

اختلف الناس في تعين ليلة القدر فقال ابن عمر إنها مخفية في رمضان كله.¹

وقال عبد الله ابن مسعود: أنها مخفية في العام كله.²

وقيل: إنها ليلة النصف من شعبان، وهذا حكاها القرطبي في المفهم.³

وقال جهلة الشيعة: رفعت كلها.⁴

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على جميع هذه الأقوال بعد أن ساقها: "وأرجح الأقوال في تعين ليلة القدر ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاثة وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، والأشهر أنها ليلة السبع والعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي أحاديث صحيحة خرجها مسلم وغيره، واختلف الناس في تعين ليلة القدر: فقيل إنها مخفية في رمضان كله، وهذا ضعيف لقوله ﷺ: «فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ وَتَرٍ»⁵، وقيل إنها مخفية في العام كله، وقيل إنها ليلة النصف من شعبان، وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [سورة القدر الآية 01]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [سورة البقرة الآية 184]، فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان، وقيل إنها رفعت بعد النبي ﷺ وهذا ضعيف".⁶

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن أشهر الأقوال في تعين ليلة القدر من قال إنها ليلة السابع والعشرين وهذا القول مروى عن علي بن أبي طالب، وعائشة، ومعاوية وأبي بن كعب، وإليه ذهب جمهور العلماء، واختاره أبو بكر الوراق والإمام النسفي⁷ واستدل له بما يلي:

1- ما أخرجه ابن أبي شيبة عن دُرٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، يَقُولُ: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ».⁸

¹ ينظر: الماوردي، النكت والعيون، ج6، ص312.

² ينظر: ابن العربي، أحكام القرآن، ج4، ص430.

³ الشوكاني، نيل الأوطار، ج8، ص491.

⁴ ابن كثير، تفسير القرآن، ج4، ص813.

⁵ صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف، وخرج النبي ﷺ صبيحة عشرين، رقم: 2036.

⁶ التسهيل، ج2، ص593-594.

⁷ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص399-400. مدارك التنزيل، ص1339. الشوكاني، نيل الأوطار، ج8، ص497.

⁸ مصنف ابن أبي شيبة، رقم (9530)، كتاب الصيام، ج2، ص326.

- 2- ما روي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من كان متحرّجاً فليتحرّجها ليلة سبع وعشرين».¹
- 3- ما رواه الترمذي عن زرّ بن حُبَيْشٍ، يَقُولُ: قُلْتُ لِأَبِي بَنِي كَعْبٍ، «إِنَّ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ» يَقُولُ: مَنْ يَقُمُ الْحَوْلَ يُصِيبَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ.²

القول الثاني: أن ما حكى من أقوال في تعيين ليلة القدر كقول ابن عمر أنها مخفية في رمضان كله، أو قول ابن مسعود أنها مخفية في السنة كلها، أو أنها ليلة النصف من شعبان، أو ما نقل عن الروافض أنها رفعت كلها، فكل هذه الآراء قد انتقدها العلماء نظراً لمخالفتها للنصوص الصريحة الصحيحة، فقول عبد الله ابن عمر الذي مفاده أنها مخفية في رمضان كله مردود بالنص والإتفاق يقول الماوردي: "اختلفوا في ليلة القدر مع اتفاقهم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها في وتر العشر وأوجد إلا ابن عمر فزعم أنها في الشهر كله".³

وأما قول ابن مسعود الذي فحواه أنها مخفية في جميع السنة فقد رده الشوكاني حيث قال "أنها ممكنة في جميع السنة، وهو مشهور عن الحنفية وحي عن جماعة من السلف، وهو مردود بكثير من أحاديث الباب المصرحة باختصاصها برمضان".⁴

وأما ما حكاه الإمام القرطبي في المفهم من أنها ليلة النصف من شعبان، فهو من الجراءة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة⁵، ومن المقرر عند العلماء: "أنه لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمر مغيبة لا دليل عليها من القرآن أو السنة".⁶

وأما ما زعمه جهلة الشيعة من أنها رفعت تشبهاً بظاهر الحديث وهو قوله ﷺ «إني خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيراً لكم».

قال الخازن: "وهذا غلط ممن قال بهذا القول لأن آخر الحديث يرد عليهم، فإنه قال ﷺ في آخره: «والتمسوها في التَّاسِعَةِ، والسَّابِعَةِ، والخَامِسَةِ»⁷، فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على أنها باقية إلى يوم القيامة، روي عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لأبي هريرة زعموا أن ليلة القدر رفعت

¹ أحمد، المسند، ج7، ص21، رقم: 4808، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

² الترمذي، الجامع، كتاب تفسير القرآن، باب "ومن سورة القدر، رقم: 3351، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

³ النكت والعيون، ج6، ص312.

⁴ نيل الأوطار، ج8، ص490.

⁵ القاسمي، محاسن التأويل، ج17، ص6220.

⁶ حسين الحري، قواعد الترجيح، ج1، ص215.

⁷ صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر، رقم: 1167.

قال كذب من قال ذلك، قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم¹، ويشهد لكلام الخازن حديث أبي ذر عند

النسائي، حيث قال فيه: قلت: «يا رسول الله أتكون مع الأنبياء فإذا ماتوا رفعت؟ قال: "بل هي باقية"»².

وبهذا يتبين بعد وضعف كل هذه الأقوال، وأما القول الأول وهو أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان فهو الأرجح عند الجمهور³، والصواب في تعيينها أنها في شهر رمضان في العشر الآخر في أوتارها، وهذا الذي جزم به أئمة التحقيق كالزمخشري، والقرطبي، وأبو حيان، والخازن والماوردي، والشوكاني، وأبي السعود⁴، وأما ما ورد من نصوص مصرحاً بتعيينها كليلة إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين وسبع وعشرين وهي مخرجة عند مسلم وغيره فتحمل على ليلة القدر في شهر رمضان مخصوص، بأن يكون قد علم ﷺ أنها في أول شهر رمضان فرض ليلة كذا فقال عليه السلام هي ليلة كذا أي في هذا الشهر رمضان مخصوص، وعلم عليه الصلاة والسلام أنها في شهر رمضان بعده ليلة كذا غير تلك الليلة التي ذكرها قبل⁵ والله أعلم.

المسألة التاسعة (09):

هل حكم وجوب النية في الوضوء يؤخذ من قوله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدين﴾ [سورة البينة الآية 05].

القول المعقب عليه:

قال أصحاب الشافعي: "دلّت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويًا، فتجب النية في الوضوء"⁶.

التعقيب:

قال الإمام ابن جزى معقبا على هذا القول: "وهو بعيد لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك"⁷.

الدراسة:

يرى الإمام ابن جزى أن المراد بالإخلاص في الآية التوحيد وترك الشرك أو ترك الرياء، وذلك أن الإخلاص مطلوب

في التوحيد وفي الأعمال، وهذا الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي، وهذا الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي.

¹ لباب التأويل، ج 4، ص 453.

² الشوكاني، نيل الأوطار، ج 8، ص 490. وقال الحاكم: هذا حيث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

³ الشوكاني، نيل الأوطار، ج 8، ص 497.

⁴ ينظر: الكشاف، ص 1215. الجامع لأحكام القرآن، ج 22، ص 399. البحر، ج 21، ص 426. لباب التأويل، ج 4، ص 449. النكت والعيون،

ج 6، ص 312. نيل الأوطار، ج 8، ص 497. إرشاد العقل السليم، ج 9، ص 182.

⁵ ينظر: الآلوسي، ج 18، ص 182.

⁶ الجامع لأحكام القرآن، ج 22، ص 412.

⁷ التسهيل، ص 597.

بينما ذهب أصحاب الشافعي، والمالكية إلى أن الآية دالت على وجوب النية في الوضوء لأنه من جملة المأمورات¹، ووجه هذا الاستدلال المستنبط من هذه الآية استبعده الإمام ابن جزري مستندا إلى السياق، ونفى صحته من قبله الإمام الجصاص حيث قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فيه أمر بإخلاص العبادة له وهو أن لا يشرك فيها غيره لأن الإخلاص ضد الشرك، وليس له تعلق في بالنية لا في وجودها، ولا في فقدانها، فلا يصح الاستدلال به في إيجاب النية لأنه متى اعتقد الإيمان فقد حصل له الإخلاص في العبادة ونفى الإشراك فيها آخر السورة².

وبعد تأمل ونظر يتبين أن من استدل من العلماء على وجوب النية في الوضوء من الآية، له وجه لأن الآية دلت على أن كل مأمور به لابد أن يكون منويا، والوضوء مأمور به في قوله تعالى: ﴿إِذَا فُتِنْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [سورة المائدة الآية 07]، فيجب أن يكون منويا، فيلزم من مجموع الآيتين وجوب كون الوضوء منويا³، ويعضد هذا أيضا أن السورة مدنية وهو الذي جزم به المحققين منهم الإمام ابن جزري نفسه، ومن المعلوم أن من ما يُمَيِّز القرآن المدني بيان الأحكام والوضوء من جملتها كما لا يخفى.

وأخيرا إنَّ بعض الجهابذه كالقرطبي، والشوكاني صرحوا بأن الآية فيها دليل على وجوب النية في جميعا العبادات، والوضوء على رأسها لأنه لا يصح عماد الدين وقوامه إلا به وفي هذا يقول الشوكاني: "وهذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النية في العبادات، لأن الإخلاص من عمل القلب"⁴.

¹ ينظر: التسهيل، ج2، ص598. الجامع لأحكام القرآن، ج22، ص412.

² أحكام القرآن، ج5، ص374.

³ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج32، ص44.

⁴ فتح القدير، ج5، ص639.

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، أما بعد:

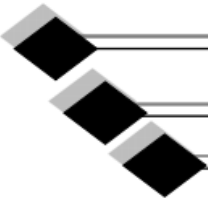
ففي نهاية دراسة تعقبات الإمام ابن جزري على من سبقه من خلال كتابه التسهيل لعلوم التنزيل نُخلص إلى النتائج التالية:

1. أنّ الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى أحد أجلّ الأعلام الذين جمعوا بين جهاد السنّام وجهاد الحجّة والبيان، وقد ذكر أهل التراجم أنه فُقد في معركة طريف، وهي من أعظم الوقائع التي احتدم فيها جيش المسلمين بجيش الكفار في بلاد الأندلس.
2. أنّ الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى بالإضافة إلى كونه فقيهاً وأصولياً انتهت إليه الإمامة في ذلك كما استفاض واشتهر، في كتب التراجم والأعلام، هو أيضاً أحد قامات علم الحديث، والتفسير، والقراءات، واللغة بمختلف علومها، ويظهر ذلك جلياً لكل من طالع كتابه الماتع "التسهيل لعلوم التنزيل".
3. تُعد التعقبات لون من ألوان النقاش العلمي الهادف الذي جرى عليه العلماء في تصانيفه، وهذا يفهم منه أنه كان واقعاً ممارساً عندهم يُقرّونه ويقرّرونه، لأن الغرض الأسمى من تطبيقاتهم لهذا الأمر في دواوينهم ليس هو اتباع عثرات السابقين، وإنما إصابة الحق والصواب.
4. أنّ الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى ساق في تفسيره كثيراً من الأقوال وتعقّب الآراء التي ظهر له فيها ضعف أو خلل أو خطأ، ومع ذلك كان متحلياً بأدب جم في نقده بعيداً عن خدش الدّوات أو رمي أصحاب تلك الأقوال بالعبارات القبيحة والمستهجنة.
5. أنّ الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى كان بعيداً عن التعصب للمذهب الفقهي الذي ينتمي إليه، ولهذا تجده يسوق مذهب المالكية ومذهب غيرهم، عند تناوله لتفسير آيات الأحكام، وأحياناً ينصر رأي المذاهب الأخرى على حساب مذهبه.
6. نظراً لسعة إطلاع الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى جاءت تعقباته متنوّعة لتشمل مسائل علم التفسير وغيرها من العلوم اللغوية والشرعية، هذا يؤكّد رسوخ قدمه وعلوّ كعبه واتقانه لشتى المعارف والفنون.
7. تعددت صيغ الإمام ابن جزري رحمه الله تعالى في التعبير عن التعقبات التي أوردتها في ثنايا تفسيره، فمنها الصريحة التي لا يُتكلف طلبها ومعرفتها كوصفه للقول بالضعف أو البعد أو البطلان أو الفساد ونحوها، ومنها ما يُفهم من سياق كلامه.

8. أن الإمام ابن جزى رحمه الله تعالى في الأغلب لا يعزو الأقوال التي تعقّبها إلى قائلها، وإنما يوردها ويسوقها بصيغة التمريض، مستعملاً لبعض المصطلحات كقيل... وما كان على هاته الشاكلة.
 9. أن الإمام ابن جزى رحمه الله تعالى قد قلّد غيره في بعض التعقبات التي أوردها في تفسيره.
 10. اعتماد الإمام ابن جزى رحمه الله تعالى في توضيح معاني القرآن على تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين واللغة، وهذا المنهج الذي خطّه من أجل طرق التفسير وأحسنها.
 11. بروز شخصية الإمام ابن جزى في تفسيره تكمن في كثرت مناقشاته في ما يسوقه من الأقوال والآراء.
 12. أن الإمام ابن جزى أصاب في أغلب المسائل التي تعقّب فيها غيره وحاد عن الجادة الحق في بعضها الآخر، وهذا يصدق على غيره من المفسرين.
- وبعد عرض الجملة من النتائج حول هذا الموضوع، أرى من المناسب في ختام رسالتي هذه أن أورد بعض المقترحات والتوصيات وتتلخص في ما يلي:
- أوصي الدارسين والباحثين بالاعتناء أكثر بدراسة تعقبات واستدراكات المفسرين التي من شأنها أن تُكسب المتمرس والباحث ملكة النقد في تمييز صحيح الأقوال من سقيمها، وبهذا يقلّ الخطأ ويكثر الصواب.
 - أوصي المشتغلين بتحقيق الكتب، إصدار نسخ منقحة لكتاب التسهيل وتيسير اقتنائها لدى القراء والمطالعين لتراث الأمة، فإن أغلب النسخ التي طُبِع بها الكتاب مع تعددها فشى فيها الخطأ والخلل.
 - وأما عن المقترحات فهناك بعض الجوانب التي تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة حول هذا التفسير ومن جملتها:
 - القواعد التفسيرية عند الإمام ابن جزى في كتابه التسهيل.
 - آيات الأحكام في تفسير الإمام ابن جزى "دراسة فقهية مقارنة".
 - قواعد الترجيح وتطبيقاتها عند الإمام ابن جزى من خلال تفسيره.
 - أثر السياق في الترجيح عند الإمام ابن جزى من خلال تفسيره.
- ولله الحمد في البدء والختام، وأسأله جل شأنه أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يزيدنا علماً، وعملاً صالحاً، ودعوة صادقة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



قائمة المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. إبراهيم بن السري، الزجاج، معاني القرآن وإعراب القرآن، المحقق: عبد الجليل شلبي، الطبعة الأولى، عالم الكتاب، بيروت، 1408هـ-1988م.
2. إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي، الديباج المذهب، المحقق: عبد الرحيم يونس، د.ط، دار التراث العربي.
3. إبراهيم بن موسى الشاطبي، الاعتصام، د.ط، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
4. إبراهيم عبد الغني الدروي، البغداديون وأخبارهم ومجالسهم، د.ط، مطبعة الرابطة، بغداد، 1377هـ-1985م.
5. أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 1425هـ.
6. أحمد التمبكتي، نيل الابتهاج، الطبعة الثانية، دار طرابلس، ليبيا، 2000م.
7. أحمد بن حنبل، المسند، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، دار الحديث، القاهرة، 1416هـ.
8. أحمد بن علي ابن حجر، تقريب التهذيب، المحقق: أبو الأشبال، د.ط، دار العاصمة، 1421هـ.
9. أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار الفحاء، دمشق، 1430هـ-2009م.
10. أحمد بن فارس القزويني، معجم مقاييس اللغة، المحقق: شهاب الدين أبو عمر، د.ط، دار الفكر، بيروت- لبنان.
11. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت.
12. أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، المحقق: خالد العلي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 1429هـ.
13. أحمد بن يوسف السمين الحلبي، الدر المصون، المحقق: أحمد محمد الخراط، د.ط، دار القلم، دمشق، د.ت.
14. أحمد شاكر، عمدة التفسير، الطبعة الثانية، دار الوفاء، المنصورة، 1426هـ.
15. أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
16. أحمد مختار العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.
17. إسماعيل بن الأحمر أبو الوليد، أعلام المغرب والأندلس، المحقق: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1396هـ-1976م.

18. أيوب بن موسى الكفوي أبو البقاء، الكليات، المحقق: عدنان بن درويش، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1419هـ.
19. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار التراث، القاهرة، د.ت.
20. بكر أبو زيد، المدخل المفصل في فقه الإمام أحمد، الطبعة الثانية، دار العاصمة، جدة، 1417هـ.

ثانيا: الكتب

21. جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المحقق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1430هـ.
22. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1432هـ-2011م.
23. جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1384هـ-1964م.
24. جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، حلب، 1387هـ-1967م.
25. جلال الدين المحلي والسيوطي، تفسير الجلالين، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا، القاهرة، 1425هـ.
26. جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1436هـ.
27. جمال الدين الزيلعي، تخريج أحاديث الكشاف، اعتنى به سلطان بن فهد الطيشي، الطبعة الأولى، 1424هـ-2003م.
28. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، المحقق: محمد النمر، وآخرون، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، 1423هـ.
29. الخليل بن أحمد أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ-2003م.
30. خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة الخامسة عشر، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2006م.
31. رضا كحالة، معجم المؤلفين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1414هـ.
32. زين الدين بن عبد الرحمان بن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، الطبعة الثانية، مكتبة الملك فهد، المملكة العربية السعودية - الرياض، 1439هـ-2018م.

33. سراج الدين عمر بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، المحقق: أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1419هـ.
34. السيد محمد، بدائع التفسير، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية، 1427هـ.
35. شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، المحقق: عبد الرحمان المعلمي، د.ط، دار ابن عباس، د.ت.
36. شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، د.ط، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ.
37. شمس الدين الذهبي، طبقات القراء، المحقق: أحمد خان، الطبعة الأولى، 1418هـ-1997م.
38. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، د.ط، دار صادر، بيروت، 1397هـ-1977م.
39. شهاب الدين أبو عمر، القاموس المنجّد، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1425هـ-2004م.
40. شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني المقرئ، أزهار الرياض في أخبار عياض، د.ط، المملكة المغربية، د.ت.
41. شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: ماهر حبوش، الطبعة الثالثة، دار الرسالة، دمشق، 1436هـ.
42. صادق سليم، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، الطبعة الثانية، دار التوحيد الرياض 1437هـ-2016م.
43. صالح آل شيخ، شرح مقدمة في أصول التفسير، الطبعة الأولى، دار المنهاج، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1432هـ.
44. ضياء الدين أحمد بن أبي العباس القرطبي، المفهم شرح صحيح مسلم، المحقق: محي الدين وآخرون، الطبعة السادسة، دار ابن كثير، دمشق، 1433هـ-2012م.
45. عادل نويهض، معجم المفسرين، الطبعة الأولى، 1403هـ، مؤسسة نويهض الثقافية، د.ت.
46. عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المحقق: عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1420هـ.
47. عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق الأرنؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، 1406هـ-1986م.
48. عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان، المحقق: عبد الفتاح أبو سنة، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، 1418هـ.
49. عبد الرحمان المغراوي، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1420هـ-2000م.

50. عبد الرحمان بن أبي حاتم، تفسير أبي حاتم، المحقق: أحمد بن عبد الله الزهراني، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية، 1439هـ.
51. عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمان، الطبعة الثانية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2015م.
52. عبد الرحمان جديع، الشفاعة عند أهل السنة الطبعة الثالثة، دار أطلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، 1430هـ-2009م.
53. عبد الرحمان علي الحجّي، التاريخ الأندلسي، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، 1402هـ-1981م.
54. عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان، المحقق: فوز أحمد زمّري، د.ط، دار الكتاب العربي، د.ت.
55. عبد الفتاح أبو غُدّة، تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي، الطبعة الاولى، دار القلم، دمشق-سوريا، 1414هـ-1993م.
56. عبد القاهر الجرجاني، معجم التعاريف، المحقق: محمد صديق المنشاوي، د.ط، دار الفضيلة، القاهرة.
57. عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني، الملل والنحل، المحقق: كسرى صالح العلي، دار الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، 1434هـ-2013م.
58. عبد الكريم بن بكر السمعاني، تفسير القرآن، المحقق: ياسر ابن إبراهيم، الطبعة الأولى، مدار الوطن، 1432هـ.
59. عبد الكريم لخضير، تحقيق الرغبة، الطبعة الثالثة، مكتبة المنهاج، الرياض-المملكة العربية السعودية، 1429هـ.
60. عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، د.ط، د.ت.
61. عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق: عبد الرحمان المرعشي، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.
62. علاء الدين الخازن، لبّاب التأويل في معاني التنزيل، المحقق: عبد السلام محمد علي شاهين، الطبعة الاولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1425هـ.
63. علي الصابوني، صفوة التفاسير، د.ط، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1421هـ-2011م.
64. علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، د.ت.
65. علي بن الحسين الأصفهاني، إعراب القرآن، المحقق: فائزة بنت عمر، د.ط، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1415هـ.
66. علي بن علاء الدين بن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، المحقق: عبد المحسن التركي والأرناؤوط، الطبعة الثانية عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ-1998م.

67. علي بن محمد أبو الحسن الواحدي، أسباب النزول، المحقق: ياسين الفحل الطبعة الأولى، دار الفرقان، القاهرة، 1436هـ.
68. علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، المحقق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
69. عماد الدين أبو الفداء بن كثير، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد مصطفى الخن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، سوريا، 1433هـ.
70. عمر بن علي الدارقطني، السنن، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، بيروت -لبنان، 1424هـ.
71. فخر الدين محمد الرازي، الشهير بالتفسير الكبير، والمسمى بمفاتيح الغيب، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت -لبنان، 1401هـ.
72. فخر الدين محمد الرازي، معجم الصحاح، المحقق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1429هـ-2008م.
73. فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة الرابعة عشر، مكتبة الملك فهد، 1426هـ-2005م.
74. مجد الدين أبو السعادات بن الأثير، النهاية في غريب الحديث، المحقق: رضوان مأمون، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1432هـ-2011م.
75. مجد الدين محمد الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المحقق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت-لبنان، 1432هـ-2011م.
76. محمد إبراهيم الحفناوي، الفتح المبين في حل رموز ومصطلحات الفقهاء والأصوليين، د.ط، د.ت.
77. محمد أبو عيسى الترمذي، الجامع المختصر من السنن، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، الرياض، 1419هـ.
78. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، الطبعة الثالثة، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 1433هـ.
79. محمد الصالح بن العثيمين، شرح لمعة الاعتقاد، المحقق: هاني الحاج، د.ط، دار الإمام مالك، د.ت.
80. محمد الصالح بن العثيمين، شرح نظم الورقات، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، الرياض، د.ت.
81. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
82. محمد بن إبراهيم البخاري، الجامع المسند الصحيح، المحقق: أبو صهيب الكرمي، د.ط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1419هـ.

83. محمد بن إبراهيم بن علي بن الوزير اليماني، الروض الباسم للذب عن سنة أبي القاسم، المحقق: علي بن محمد العمران، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد، د.ت.
84. محمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبينة لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، المحقق: عبد الله بن المحسن التركي، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، سوريا، 1433هـ.
85. محمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: عبد الله التركي، الطبعة الأولى، دار الرسالة، بيروت، 1427هـ.
86. محمد بن أحمد أبو القاسم الكلبي، الأنوار السنية، المحقق: ظافر بن حسن، د.ط، 1435هـ.
87. محمد بن أحمد أبو القاسم الكلبي، التسهيل، المحقق: علي بن حمد الصالح، الطبعة الأولى، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، 1439هـ-2018م.
88. محمد بن أحمد أبو القاسم الكلبي، التسهيل، المحقق: محمد سالم هشام، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ-1995م.
89. محمد بن أحمد أبو القاسم الكلبي، القوانين الفقهية، المحقق: محمد بن سيدي محمد مولاي، د.ط، د.ت.
90. محمد بن أحمد أبو القاسم الكلبي، تقريب الوصول، المحقق: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الثانية، 1423هـ-2003م.
91. محمد بن القاسم الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، المحقق: إبراهيم السمرائي، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار، الأردن، 1405هـ-1985م.
92. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، المحقق: عبد الله التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، القاهرة، 1422هـ.
93. محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستظرفة، الطبعة الخامسة، دار البشائر الإسلامية، 1414هـ-1993م.
94. محمد بن عبد الله بن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، المحقق: محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1390هـ.
95. محمد بن عبد الله بن الخطيب لسان الدين، أوصاف الناس في التواريخ والصلوات، المحقق: محمد كمال شبانة، د.ط، د.ت.
96. محمد بن عبد الله بن مالك، شرح الكافية الشافية، المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.

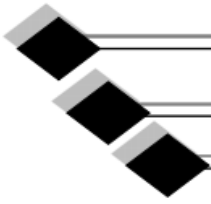
97. محمد بن علي أحمد الداوودي، طبقات المفسرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1403هـ.
98. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، المحقق: عبد الرحمان عميرة، الطبعة الأولى، دار الوفاء، مصر، 1435هـ.
99. محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، المحقق: نواف الجراح، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
100. محمد بن مكرم بن علي بن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت-لبنان، 2000م.
101. محمد بن يزيد بن ماجه، السنن، المحقق: عصام موسى هادي، الطبعة الأولى، دار الصديق، 1431هـ.
102. محمد بن يوسف بن حيان، البحر المحيط في التفسير، المحقق: محمد أنس مصطفى الخن، ط1، دار الرسالة العالمية، سوريا، 1436هـ.
103. محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، الطبعة الأولى، 1376هـ.
104. محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، د.ط، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.
105. محمد حفيان، (تعقبات ابن حجر)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، 1439هـ.
106. محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، الطبعة الثانية، المكتبة الإسكندرية، 1417هـ-1997م.
107. محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1966م.
108. محمد علي طه الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيان، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، 2015م.
109. محمد عوامة، معالم ارشادية، الطبعة الأولى، دار المنهاج، بيروت، 1434هـ-2013م.
110. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، 1412هـ-1992م.
111. محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الطبعة الثالثة، بيروت-لبنان، 1408هـ.
112. مساعد الطيار، التفسير اللغوي، الطبعة الرابعة، دار ابن الجوزي، الرياض، 1434هـ.
113. مساعد الطيار، موسوعة التفسير المأثور، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 1439هـ.
114. مسلم بن الحجاج بن مسلم، الجامع المسند الصحيح، المحقق: أبو صهيب الكرمي، د.ط، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1419هـ.
115. مصطفى إبراهيم المشيني، مدرسة التفسير في الأندلس، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م.
116. هبة الله بن حسن اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد، المحقق: أحمد بن علي، الطبعة الأولى، دار النصيحة، المدينة النورة، 1436هـ-2015م.

ثالثاً: الرسائل الجامعية والمقالات العلمية

117. أحمد السيد، (تعقبات ابن كثير على المفسرين) أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، 2010م.
118. آمنة عبد الناصر، تعقبات ابن كثير على الطبري في المسائل الحديثية، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، 2014م.
119. إيمان بنت سالم قبوس (الاستدراك الأصولي)، أطروحة دكتوراه، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ.
120. بن عيد الهلالي، الاستيعاب في بيان الأسباب، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي، السعودية، 1434هـ.
121. حسين الحربي، قواعد الترجيح، الطبعة الأولى، دار القاسم، الرياض، 1417هـ.
122. رائد بن طلال، تعقبات أبي حاتم الرازي في كتابه الجرح والتعديل، مقال نشر 2016م.
123. طارق بن أحمد بن علي الفرس، علوم القرآن عند ابن جزي وأثره في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1434هـ-2013م.
124. علي الزبيدي، ابن جزي ومنهجه في التفسير، دار العلم، دمشق، 1407هـ-1987م.
125. علي حافظ سليمان، التعقبات العلمية دلالتها وآفاقها، شبكة الألوكة، نشر بتاريخ: 25-03-1439.
126. ناصر بن سيف العزري، (تعقبات الكشميري في كتابه فيض الباري على الحافظ ابن حجر)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2008م.
127. يوسف بن علي بن حامد الورتلي، قواعد لتفسير وتطبيقاتها، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، السعودية، 1436هـ-2015م.

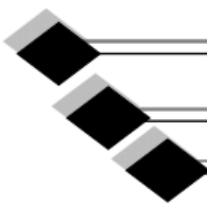


الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
 - فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
 - فهرس الأئمة
 - فهرس الأعلام
 - فهرس الأبيات الشعرية
 - فهرس الموضوعات
- 



فهرس الآيات القرآنية



الآية	رقم الآية	الصفحة	السورة
﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَالَوْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَٰطِئِثِهِمْ فَأَلَوْا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ﴾	13	94	البقرة
﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	20	210	
﴿اعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	23	19	
﴿وَكُنْتُمْ ءَٰمَوَاتًا فَأَحْيَاكُم ثُمَّ مَيِّتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾	27	153	
﴿وَلَا يُفَبِّلُ مِنْهَا شَبْعَةً﴾	47	19	
﴿يَذَّبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾	48	40	
﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	52	211	
﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	55	210	
﴿فَالَوْ اذْعٰ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾	68	96	
﴿بَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَظْمٍ كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيكُمْ ءَايٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾	72	210 267	
﴿وَمِنْهُمْ ءِمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ اِلَّا اٰمَانِئًّ﴾	77	98	
﴿وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾	87	63	
﴿بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَإِذَا فَضًىٰ اٰمَرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾	116	180	
﴿لَوْلَا يَكْلِمُنَا اللّٰهُ﴾	117	22	
﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنۢ أَصْحَابِ الْجَحِيْمِ﴾	118	69	
﴿وَاتَّخَذُوا مِنۢ مَّقَامِ اِبْرٰهِيْمَ مُصَلًّٔ﴾	124	181	
﴿بَاذْكُرُوْنِيۡ اَذْكُرْكُمْ﴾	151	65	

69	157	﴿إِنَّ الصَّعْبَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾
47	168	﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
213	174	﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾
193	177	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْفِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَمِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ إِعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
71	179	﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾
274	182	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
267 171	184	﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
266	184	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾
64 270 271	186	﴿اجْلَلْ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرِّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَبَا عَنْكُمْ بِالنِّبَاسِ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَفْرُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾
219	194	﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾

267	195	﴿قَمَسَ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذَى مِّن رَّأْسِهِ بِعِدَّةٍ مِّنْ صَيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾
274	195	﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾
22	208	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمِّ وَالْمَكِيدَةِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تُزْجَعُ الْأُمُورُ﴾
68	218	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾
71	219	﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾
63	226	﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾
272 273	227	﴿الطَّلُقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ابْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
272	228	﴿إِنْ طَلَّقَهَا﴾
88 99	241	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾
102	243	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْلِعِبُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
194	255	﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
68 198	255	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَّكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْبِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

127	258	﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾	
20	276	﴿لَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
214	1	﴿الْم﴾	آل عمران
216	3	﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾	
100	4-3	﴿مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾	
270	97	﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	
72	169	﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾	
39	187	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ آثَرُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
20	47	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾	النساء
20	47	﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾	
20	47	﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾	
134	55	﴿بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾	
270	76	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	
47	82	﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَشِيطُونَهُ مِنْهُمْ﴾	
225	86	﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾	
274	152	﴿بَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
217	04	﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾	المائدة
217	04	﴿وَالْمُنْخِفَةَ وَالْمَوْفُوذَةَ وَالْمُتَرَدِّدَةَ وَالطَّيْحَةَ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ﴾	
23	05	﴿وَاذْكُرُوا إِسْمَ اللَّهِ﴾	
218	07	﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾	
280	07	﴿إِذَا فُتِنْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾	
71	11	﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾	
220	28	﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾	
221	33	﴿مِنَ النَّادِمِينَ﴾	
221	34	﴿مِنَ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	
101	35	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنَبَّأُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	
200	36	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	
193	47	﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾	
21	66	﴿بَلْ يَدُهُ مَبْسُوطَتٌ﴾	
222	71	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّانَ وَالتَّصَابِرِ﴾	
82	95	﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ إِمَّا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾	
103	111	﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾	

107	111	﴿مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾	
223	112	﴿بَتَّبَعُ فِيهَا﴾	
86	114	﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾	
224	121	﴿هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
226	13	﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ﴾	
226	13	﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	
105	20	﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾	
105	20	﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْفُرْقَانَ﴾	
89	21	﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	
201	29	﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْبُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	
72	38	﴿إِلَّا أَتَمُّ امْتَالِكُمْ﴾	
65	54	﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾	
106	66	﴿قُلْ هُوَ الْفَاقِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ بَؤْسِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجَالِكُمْ﴾	
87	71	﴿لَهُوَ أَصْحَابُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ﴾	
202	71	﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَتَرَدُّ عَلَىٰ أَغْفَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُوَ أَصْحَابُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ إِيْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَآمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الأنعام

227	74	﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾	
231	74	﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾	
107	75	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرَ﴾	
87 108	76	﴿وَكَذَلِكَ نُرِيتُ إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	
82	83	﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾	
69	96	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾	
232	124	﴿أَكْثَرَ مُجْرِمِيهَا﴾	
109	142	﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	
233	152	﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾	
214	153	﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
230	16	﴿قَالَ بَيْمًا أَغْوَيْتَنِي﴾	الأعراف
21	53	﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾	
258	108	﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾	
87 110	112	﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾	
274	143	﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيهِ أَنْظِرْ لِيكَ﴾	
275	143	﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	
276	143	﴿أَنْظِرْ لِيكَ قَالَ لَسْ تَرِيهِ﴾	
276	143	﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾	
111	189	﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	
58	190	﴿فَلَمَّا آتِيَهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾	

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الأنفال	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَصَّتْ سُتَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾	38	204
	﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي اللَّهِ فَاِمْرَءٌ لَّيِّنٌ﴾	39	196
	﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾	61	112
	﴿وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾	61	113

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
التوبة	﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾	3	67
	﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾	5	197
	﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾	5	198
	﴿بِقَتْلِهِمْ أَيْمَةً الْكُفْرِ﴾	12	113
	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	30	231
	﴿بِأَنزَلِ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾	40	232
	﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾	40	233
	﴿بِاسْتِذْنَائِكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾	84	156
	﴿لَيْسَ عَلَى الصُّعْبَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْهَضُونَ﴾	92	115
	﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	101	65

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
18	26	﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	يونس
63	62	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	
63	63	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	
238	76	﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	
233	77	﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُونَ﴾	
234	83	﴿بِمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ﴾	
89 116	94	﴿بَسَّطِلَ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ مِّن قَبْلِكَ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
182	13	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيَةٌ﴾	هود
117	42	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾	
88	45	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ﴾	
88 117	46	﴿قَالَ يَتْلُوخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ﴾	
123	46	﴿فَلَا تَسْأَلِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	
119	70	﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
179	3	﴿وَإِنْ كُنْتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾	يوسف
235	19	﴿يَبْشُرِي﴾	
125	24	﴿وَهُم بِهَا﴾	
120	24	﴿لَوْلَا أَن رَّبًّا بُرْهَنَ رَبِّي﴾	

121	31	﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾	
183	43	﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ﴾	
184	70	﴿أَيَّتَهَا الْعِيرُ﴾	
185	81	﴿إَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيْبُكُمْ فَقُولُوا يَٰٓأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَاطِينَ﴾	
236	92	﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾	
90 122	93	﴿إِذْهَبُوا بِقَمِيصِهِ هَذَا بَآلِقُوهُ عَلَيَّ وَجْهِ أَبِي يَاتِ بَصِيرًا وَاثْنِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
54	3	﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾	الرعد
237	12	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾	
265	12	﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾	
202 203	31	﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ فُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾	
79	42	﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
123	19	﴿مِنْ وَرَآيِهِ جَهَنَّمُ وَيُسَفًى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾	إبراهيم
91 238	23	﴿بَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾	
125	50	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾	
173	52	﴿وَتَغْشَىٰ وَجُوهَهُمُ النَّارُ﴾	

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الحجر	﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾	26	126

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
النحل	﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾	41	203
	﴿لِتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	44	82
	﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾	56	239
	﴿فَلِ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾	102	63

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الإسراء	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	11	89 128
	﴿كُلُّ أَثْوَلِكِ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	36	244
	﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾	47	129

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الكهف	﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾	9	186
	﴿لَوْ إِطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾	18	187
	﴿فَبَقِيَ عَنْ أَمْرِ رَبِّي﴾	49	244
	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبْتِيهِ﴾	59	88 131
	﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِيَةٍ غَضْبًا﴾	78	124
	﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾	81	130

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
مريم	﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾	17	132

219	24	﴿وَهَزَبْتُ إِلَيْكَ بِجُذْعِ النَّخْلَةِ﴾	
-----	----	--	--

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
187 241	15	﴿فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا﴾	طه
133	122	﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
134	17	﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَواً﴾	الأنبياء
136	33	﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	
213	48	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾	
89	60	﴿يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ﴾	
105	102	﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْبَزْعُ الْكَبِيرُ﴾	
137	103	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
241	2	﴿يَوْمَ تَرُؤْنَهَا﴾	الحج
219	23	﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ﴾	
269	30	﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ﴾	
196	76	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
91	18	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِفَدْرِ بَأْسِكُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾	المؤمنون
188	52	﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾	
150	52	﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾	
129	90	﴿بِأَنبِيٍّ تُسْحَرُونَ﴾	

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
النور	﴿كَوْكَبٌ ذُرِّيُّ﴾	35	91 150
	﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾	42	242
	﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَقَاتِحَهُ﴾	59	139
	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾	61	243

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الفرقان	﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	33	40
	﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾	50	244
	﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾	70	126

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الشعراء	﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾	26	258
	﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾	58-57	139
	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يُضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْبَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْيَةٍ كَالظُّنُودِ الْعَظِيمِ﴾	63	267
	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾	193	182

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
النمل	﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾	11	245

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
القصص	﴿وَأَصْبَحَ بُؤَادٌ لِمُوسَىٰ فَرِيغًا﴾	9	140
	﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾	9	153

246	16	﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾	
247	25	﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾	
141	29	﴿فَلَمَّا فَضَيَّ مُوسَى الْأَجَلَ﴾	
142	78	﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
144	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	العنكبوت

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
239	32	﴿إِذَا قَرِيعٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾	الروم
144	40	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
87	5	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾	لقمان
145	15	﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
146	21	﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	السجدة

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
147	32	﴿فَيَطْمَعَ الْإِذَىٰ فِي فَلَيْهٍ مَّرَضٍ﴾	الأحزاب
148	33	﴿لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾	
63	49	﴿بِمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾	

102	57	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾	
-----	----	--	--

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
88 149	31	﴿وَلَا بِالذِّمَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	سبأ

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
54	32	﴿بِمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ﴾	فاطر

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
180	1	﴿يَسِّ﴾	يس
150	40	﴿وَعَايَةً لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتِهِمْ﴾	
248	51	﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْفِدِنَا هَذَا﴾	
252	51	﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
248	116	﴿وَنَصَرْتَهُمْ بَكَائُوا هُمُ الْعَالِيِينَ﴾	الصافات

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
180	1	﴿صَّ وَالْفُرْعَانِ﴾	ص
150	10	﴿جُنَدًا مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾	
47	28	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الزمر	﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾	7	151
	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعَاتِ أَنْ يَعْْبُدُوهَا وَأَتَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ﴾	17-16	189
	﴿بَوَيْلٌ لِلْفُطُوسِ فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ أَرْغَبَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	21	249

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
غافر	﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾	10	152
	﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ﴾	28	250

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
فصلت	﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَاذِبُونَ﴾	6	153
	﴿الَّذِينَ أَضَلَّلْنَا﴾	28	89
	﴿أَضَلَّلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾	28	154
	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾	29	190
	﴿الَّذِي خَلَقَهُ﴾	36	251
	﴿لَئِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّكْرِ﴾	40	252
	﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَاٍ بَعِيدٍ﴾	43	252 257
	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ فُرْقَانًا أَعْجَبِيَا﴾	43	257
	﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	43	257

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الشورى	﴿يَكَاذِبُ السَّمَوَاتِ يَتَّقَطِرْنَ مِنْ بَوْفِهِ﴾	3	253

178	49	﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾	
-----	----	--	--

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
254	2	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾	الدخان
255	53	﴿إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
155	8	﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ بِهِ وَلَا بِكُمْ﴾	الأحقاف
83 202	16	﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَوْلَدَيْهِ ائْتِ بِكُمَا أَعْتَدَنِي أَنْ اُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْفُجُورُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنِينَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا يَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
197	4	﴿وَإِذَا لَفِئَتُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضْرَبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَفْخَتْهُمْ﴾	محمد
7	8	﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	
47	25	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانِ أَمْ عَلَىٰ فُلُوبِ أَفْبَالِهَ﴾	
256	28	﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
22 103	10	﴿لِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	الفتح
156	15	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾	
157	29	﴿سَيَبَاهُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ آثَرِ السُّجُودِ﴾	
171	29	﴿تَرَبَّيَهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾	

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الحجرات	﴿إِن بَغَتْ إِحْدِيهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾	9	70

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
ق	﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾	2	256
	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾	9	172
	﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾	22	88 191

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الذاريات	﴿اخْذِينَ مَا آتَيْنَهُمْ رَبُّهُنَّ إِنَّهُنَّ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾	16	87
	﴿كَانُوا فَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾	17	159
	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	19	159
	﴿كَذَٰلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾	52	257
	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	210

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الطور	﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ آَلَحْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	21	64

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
النجم	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾	8	89
	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾	47	91
	﴿عَادَا الْأُولَىٰ﴾	49	89

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
القمر	﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾	7	179

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الرحمان	﴿وَيَنْبَغِي وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	25	21

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الواقعة	﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	1	160
	﴿وَفُرِشَ مَرْفُوعَةٌ﴾	36	161
	﴿فَلَا أَفْئِسُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾	78	258

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الحديد	﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُدً بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾	13	161
	﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾	28	259

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
المجادلة	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	21	192

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الحشر	﴿مَّا أَبَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾	7	199
	﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ﴾	16	162

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الصف	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	2	204

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
المنافقون	﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾	6	90

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
التغابن	﴿بَاتِفُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾	16	196

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الطلاق	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ	1	249
	﴿وَأُولَئِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾	4	63
	﴿وَالِئِ يَيْسَسَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾	4	63

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
التحریم	﴿ثَيَّبَتْ وَأَبْكَارًا﴾	5	90 259
	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ﴾	10	206 118
	﴿وَنَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	11	163

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
القلم	﴿قُلْ وَالْقَلَمِ﴾	1	164

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
المعارج	﴿نَعْرِجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾	4	166

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
نوح	﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾	4	260
	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾	19	90
	﴿رَبِّ إِغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾	30	166

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الجن	﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	18	167

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
القيامة	﴿وَلَا أَفْسِمُ بِالْغَيْبِ الْغَوَامِ﴾	2	168
	﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	22	19

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الإنسان	﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾	1	169 163
	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	2	169
	﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	2	90
	﴿سَلَسَلَا﴾	4	69
	﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾	6	261
	﴿عَلَىٰ حَبِيبٍ مُّسْكِنًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	8	169
	﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ دَعَائِمًا أَوْ كُفُورًا﴾	24	258

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
المرسلات	﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِبَاتًا ۖ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾	25-26	171
	﴿كَأَنَّهُ جُمِلَتِ صُفُوفُهُ﴾	33	97

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
النازعات	﴿بَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَهٌ أَن تَزَّجَّى﴾	18	154

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الانشقاق	﴿وَأَلْفَتْ مَا يَبِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾	4	170

171	16	﴿وَلَا تُفْسِمُ بِالشَّعْبِ﴾	
-----	----	------------------------------	--

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
172	1	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾	الطارق
267	6	﴿مَاءٍ دَافِيٍّ﴾	
262	7	﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾	
201	9	﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
154	14	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾	الأعلى

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
173 268	1	﴿هَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ﴾	الغاشية
174	6	﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾	
175	17	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
176	2-1	﴿وَالْبَجْرِ ۖ وَلِيَالٍ عَشْرٍ﴾	الفجر

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
177	4	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾	البلد

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
91	5	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْهَا﴾	الشمس

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الليل	﴿بَآمًا مِّنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿١﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٢﴾﴾	6-5	205

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الضحى	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿١﴾﴾	7	178

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
القدر	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾	1	277
	﴿وَمَا أَدْرِكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾	2	277
	﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾	4	264

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
البينة	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾﴾	5	279

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الزلزلة	﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿١﴾﴾	2	170

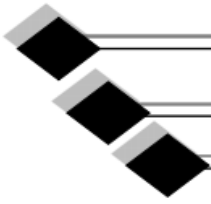
السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
القارعة	﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿١﴾﴾	3	179

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الكوثر	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾	3	67

السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
الإخلاص	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾	1	231



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



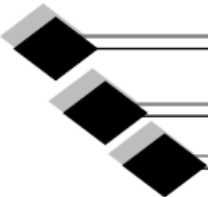
الرقم	الحديث	الصفحة
1	«اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»	47
2	«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»	47
3	«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ»	48
4	«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا»	60
5	«إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»	64
6	«إِنَّ اللَّهَ لَيَرْفَعُ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ لَيَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ»	64
7	«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَالٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَالٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»	64
8	«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَفِيهِ أَنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»	65
9	«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»	65
10	«أَتَذَرُونَ مَا الْكُوفَرُ؟ هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيَهُ اللَّهُ وَهُوَ الْحَوْضُ آتِيَتْهُ عَدَدُ النُّجُومِ»	67
11	«سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»	70
12	«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ أَوْ نَفْسِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»	70
13	«فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ»	71
14	«إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ! أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: (يَا بَنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إِنَّمَا هُوَ الشَّرْكَ»	82
15	«لَا زَيْدَنَّ عَلَى السَّبْعِينَ»	90
16	«عَبْدِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي، وَجَعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، وَعَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقِنِي، فَيَقُولُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: مَرَضَ عَبْدِي فَلَانَ، وَلَوْ عُدَّتُهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ»	102

102	«مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ، مَا تَرَدَّدْتُ فِي قَبْضِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بَدَّ لَهُ مِنْهُ، مَا تَقَرَّبَ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي الْمُؤْمِنُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتُهُ وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَبَدَأَ وَمُؤَيَّدًا، دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ وَسَلَّنِي فَأَعْطَيْتُهُ وَنَصَحَ لِي فَنَصَحْتُ لَهُ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي لَمَنْ يَرِيدُ الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ فَأَكْفُهُ عَنْهُ لَا يَدْخُلُهُ الْعَجَبُ فَيُفْسِدُهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يُصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يُصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا الصَّحَّةُ وَلَوْ أَسْقَمْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يُصْلِحُ إِيْمَانُهُ إِلَّا السَّقَمُ وَلَوْ أَصَحَّحْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، إِنِّي أَدْبَرُ عِبَادِي بَعْلَمِي بِقُلُوبِهِمْ إِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ»	17
103	«تَزْفُرُ جَهَنَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ زَفْرَةً، فَلَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا وَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَبِّ نَفْسِي نَفْسِي»	18
104	«خَوَّفَنِي جِبْرِيلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى أَبْكَانِي فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ أَلَمْ يُغْفَرْ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ لِي يَا مُحَمَّدُ لَتَشْهَدَنَّ مِنْ هَؤُلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَا يُنْسِيكَ الْمَغْفِرَةُ»	19
109	«ليس في المالِ حقٌّ سوى الزكاة»	20
113	«هم الجن»	21
126	«يُخَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءٍ غَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ»	22
126	«تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، فَيَسْطُهَا وَيَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاطِيِّ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا، ثُمَّ يَرْجُرُ اللَّهُ الْخَلْقَ رَجْرَةً، فَإِذَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمُبْدَلَةِ»	23
134	«﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ قال: عذاب القبر»	24
142	«سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى خَيْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلُهُ، فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: قَضَى أَكْثَرُهُمَا وَأَطْيَبُهُمَا؛ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَّ»	25
148	«أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»	26
165	«إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ خَلَقَ "النُّونَ" وَهِيَ: الدَّوَاةُ. وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾، ثُمَّ قَالَ أَكْتُبْ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»	27
165	«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ النُّونَ وَهِيَ الدَّوَاةُ»	28
170	«استوصوا بالنساءِ خيرًا فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ»	29
174	«الضريع شوك في النار»	30

182	«قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أَسَارَى بَدْرِ»	31
189	«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...»	32
193	«لَا يُقْتَلُ حَرْبٌ بَعْدَ»	33
196	«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»	34
203	«اَكْتُبْ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالُوا: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا صَاحِبَ الْيَمَامَةِ -يَعْنُونَ مُسَيْلِمَةَ الْكُذَّابَ- اكْتُبْ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ: "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ"»	35
268	«أَنَّ جَارِيَةً وَجَدَ رَأْسَهَا مَرْضُوضًا بَيْنَ حَجْرَيْنِ، فَقِيلَ مِنْ فَعَلَ هَذَا بِكَ: فُلَانٌ، فُلَانٌ؟ حَتَّى ذَكَرَ يَهُودِيٌّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَأَخَذَ الْيَهُودِيُّ فَاَعْتَرَفَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرَضَّ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجْرَيْنِ»	36
269	«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ السَّعْيَ فَاسْعَوْا»	37
273	«"الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ" فَأَيْنَ الثَّالِثَةُ؟ قَالَ: فَإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ هِيَ الثَّالِثَةُ»	38
277	«فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ كُلِّ وَتَرٍ»	39
278	«لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ»	40
278	«مَنْ كَانَ مَتَحَرِّبَهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ»	41
278	«إِنَّ أَخَاكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ»	42
278	«إِنِّي خَرَجْتُ لِأَخْبِرْكُمْ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ فَتَلَا حِي فُلَانٌ وَفُلَانٌ فَرَفَعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ»	43
278	«وَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ»	44
279	«يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَكُونُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ إِذَا مَاتُوا رَفَعَتْ؟ قَالَ: "بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ"»	45



فهرس الآثار



الرقم	الأثر	الصفحة
1	"أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟"	47
2	"عَلَيْكُمْ بِدِيَوَانِ الْعَرَبِ فَإِنَّ بِهِ مَعْرِفَةَ كَلَامِ رَبِّكُمْ"	68
3	"ما زنت امرأة نبي قط"	118
4	«سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِعَجُوزٍ نَصْرَانِيَّةٍ: أَسْلِمِي أَيُّهَا الْعَجُوزُ تَسْلِمِي، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ. قَالَتْ: أَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ وَالْمَوْتُ إِلَيَّ قَرِيبٌ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَتَلَا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾»	195
5	«أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ بَدْرٍ خَرَجَ مُحَارِبًا، فَأَخَافَ السَّبِيلَ، وَسَفَكَ الدَّمَ، وَأَخَذَ الْأَمْوَالَ، ثُمَّ جَاءَ تَائِبًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ، فَقَبِلَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوْبَتَهُ، وَجَعَلَ لَهُ أَمَانًا مَنْشُورًا عَلَى مَا كَانَ أَصَابَ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ»	200
6	«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عُذْرِي»	202

فہرس الأعلام

الرقم	العَلَم	الصفحة
1	الخازن	105
2	ابن الجوزي	115
3	ابن العربي	102
4	ابن القيم	19
5	ابن الوزير	84
6	ابن جريج	99
7	ابن حجر	17
8	ابن خلدون	4
9	ابن دقيق العيد	71
10	ابن عاشور	41
11	ابن عرفة	41
12	ابن عز الحنفي	19
13	ابن فارس	39
14	ابن قتيبة	130
15	ابن كيسان	177
16	ابن مالك	276
17	ابن منظور	42
18	أبو السعود	232
19	أبو حاتم الرازي	264
20	أبو عمر ابن العلاء	252
21	أبو عبيدة	44
22	أبي ذئيب	219
23	الأخفش	181

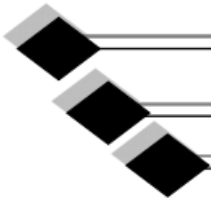
217	إسماعيل القاضي	24
251	أشيم	25
97	الأعشى	26
95	الآلوسي	27
45	البغوي	28
105	البيضاوي	29
215	الجاربردي	30
81	الجرجاني	31
258	جرير	32
39	الجوهري	33
66	الحاكم	34
34	الحضرمي	35
52	خالد السبت	36
57	الخطابي	37
39	الخليل	38
203	داود ابن أبي هند	39
181	الرازي	40
40	الراغب	41
101	الربيع بن أنس	42
78	الزبيدي	43
104	الزجاج	44
57	الزرقاني	45
40	الزركشي	46
60	الزيلعي	47

53	سليمان الجمل	48
95	السمعاني	49
112	السهيلى	50
48	الشاطبي	51
47	الشعبي	52
66	العراقي	53
165	العكبري	54
54	علي الصابوني	55
120	الفراء	56
39	الفيروز آبادي	57
192	القاسمي	58
17	القاضي عياض	59
43	القرطبي	60
124	قطرب	61
41	الكافيجي	62
81	الكفوي	63
124	ليبد	64
44	الماتوريدي	65
184	الماوردي	66
42	محمد حسين الذهبي	67
119	المرادي	68
213	معمربن المثنى	69
133	مكي القيسي	70
181	المهدوي	71

99	النسفي	72
187	النقاش	73
17	النووي	74
71	الواحدي	75
21	البراك	76
41	أبو حيان	77
43	ابن تيمية	78
97	السمين حلي	79
99	زيد بن أسلم	80
117	الثعلبي	81



فهرس الأبيات الشعريّة



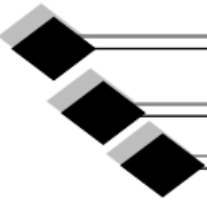
الرقم	البيت الشعري	الصفحة
1	مما يُرهدني في أرض أندلسي *** أسماء معتمد فيها ومعتضد ألقاب مملكة في غير موضعها *** كالهَرَّ يحكي انتفاخا صورة الأسد	04
2	أنا النبي لا كذب *** أنا ابن عبد المطلب	16
3	قصدي المؤمل في جهري وإسراري *** ومطلبى من إلهى الواحد الباري شهادة في سبيل الله خالصة *** تمحوا ذنوبي وتجنني من النار إن المعاصى رجس لا يطهرها *** إلا الصوارم من أيمان كفار	25
4	لكل بني الدنيا مراد ومقصود *** وإن مرادي صيحة وفراغ لأنلغ في علم الشريعة مبلغا *** يكون به لي الجنان بلاغ وفي مثل هذا فلينافس أولو الهوى *** وحسبي من الدنيا العزور بلاغ فما الفوز إلا في نعيم مؤبد *** به العيش رغد والشراب يساغ	34
5	أزوم امتداح المصطفى فيزدني *** قصوري عن إدراك تلك المناقب ولو أن كل العالمين تألفوا *** على مدحه لم يبلغوا بغض واجب فأمسكت عنه هيبة وتأدبا *** وخوفا وإعظاما لأزفع جانب ورب سكوت كان فيه بلاغة *** ورب كلام فيه عتب لعاتب	34 35
6	يا رب إن ذنوبي اليوم قد كثرت *** فما أطيق لها حصرًا ولا عددا وليس لي بعداب النار من قبل *** ولا أطيق لها صبرا ولا جلدا فانظر إلهي إلى ضعفي ومسكنتي *** ولا تذيبني حر الجحيم غدا	35

35	وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو فَيْسُلِي حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ *** غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا *** مُحَافَظَةً عَلَى عِزِّي وَدِينِي	7
66	وَعُدَّ مَا فَسَّرَهُ الصَّحَابِي رَفَعًا فَمَحْمُولًا عَلَى الْأَسْبَابِ ***	8
68	وَسَنَانُ أَقْصَدُهُ النِّعَاسُ فَرْنَقْتُ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ ***	9
78	تَأْوِينِي هَمٌّ مَعَ اللَّيْلِ مَنْصَبِ وَجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا لَا أَكْذِبُ *** تَتَابَعْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ لِي رِيَّةَ وَلَمْ يَكْ عَمَّا خَبَرُوا مَتَعَّقِبِ ***	10
79	فَلَنْ يَجِدَ الْأَقْوَامُ فِينَا مَسَبَّةَ إِذَا اسْتَدْبَرْتُ أَيَّامَنَا بِالتَّعَقُّبِ ***	11
97	تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَا ذُهَا كَالزَّيْبِ ***	12
125	وَإِنِّي لَأَتِي الْعَرَسَ عِنْدَ طَهْوَرِهَا وَأَهْجَرُهَا يَوْمًا إِذَا تَكَ ضَاحِكَا ***	13
125	وَضَحَكَ الْأَرَانِبُ فَوْقَ الصِّفَا كَمَثَلِ دَمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا ***	14
122	يَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا يَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِجْبَارًا ***	15
124	وَمِنْ وَرَائِكَ يَوْمٌ أَنْتَ بِالْعُلَى لَا حَاضِرٌ مُعْجِزٌ عَنْهُ وَلَا بَادِي ***	16
124	أَلَيْسَ وَرَائِي، إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُخْنِي عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ ***	17
125	فَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذِينَ عَهْدَتْهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْرِفُ ***	18
127	تَرْبِكَ سُنَّةٌ وَجْهِهِ غَيْرَ مَقْرَفَةٍ مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ ***	19
127	أَغْرَكَ كَأَنَّ الْبَدْرَ مَسْنَةً وَجْهَهُ جَلَا الْغَيْمَ عَنْهُ ضَوْءُهُ فَتَبَدَّدَا ***	20
129	أَرَانَا مَوْضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبِ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ ***	21
129	فَإِنْ تَسْأَلِينَا كَيْفَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ ***	22
135	أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّي كَبِرْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنُ اللَّهُوْ أَمْشَالِي ***	23
172	إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمِ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَّابًا ***	24

25	رَعَى الشُّبْرُقَ الرَّيَّانَ حَتَّى إِذَا ذَوَى	***	وَعَادَ ضَرْبًا بَانَ مِنْهُ النَّحَائِصُ	174
26	وَحُسْنٌ فِي هَزَمِ الضَّرْبِ وَكُلُّهَا	***	حَدَبَاءُ دَامِيَّةُ الْيَدَيْنِ حَرُودُ	174
27	وَلِي ابْنُ عَمٍّ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَبَدٍ	***	لَطَلَّ مُحْتَجِزًا بِالْبَلِّ يَرْمِينِي	177
28	يَا عَيْنَ هَالَا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ	***	قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَبَدٍ	177
29	وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشَتِيهِ	***	وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنَاً	213
30	أَلَا حَبْدًا هَنَدُو أَرْضَ بِهَا هَنَدُ	***	وَهَنَدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ	213
31	شَرِينٌ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ	***	مَتَى لُجَجٌ خُضِرَ لَهُنَّ نَسِيجُ	219
32	وَيُضْجِي فِتْنَتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا	***	نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفْصُلِ	244
33	تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضَها	***	أَوْ يَعْزِلِقَ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا	250
34	إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا الْأَحْدَاثُ دَبَّرَهَا	***	دُونَ الشُّيُوخِ تَرَى فِي بَعْضِهَا خَلَا	251
35	قَدْ يَدْرُكُ الْمَتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ	***	وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ	251
36	أَتَعَلَّبَتِ الْفَوَارِسُ أَوْ رِيَاحًا	***	عَدَلَتْ بِهِمْ طُهْيَّةٌ وَالْخِشَابَا	258
37	فَإِنْ تَلُكُ لَيْلِي إِسْتَوْدَعْتَنِي أَمَانَةً	***	فَلَا وَأَبِي لَيْلِي إِذَا لَا أَخُوْنُهَا	259
38	شَرِينٌ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ	***	مَتَى لُجَجٌ خُضِرَ لَهُنَّ نَسِيجُ	262
39	وَمَنْ رَأَى النِّفْيَ بِلْنِ مَوْبِدَا	***	فَقَوْلُهُ أَرْدَدَ وَسَوَاهِ فَاغْضَا	276



فهرس الموضوعات



الموضوع	الصفحة
الإهداء.....	-
شكر وتقدير.....	-
مقدمة.....	أ
أولاً: إشكالية الدراسة.....	أ
ثانياً: أهداف الدراسة.....	ب
ثالثاً: أهمية الدراسة.....	ب
رابعاً: أسباب اختيار الموضوع.....	ب
خامساً: الدراسات السابقة.....	ج
سادساً: صعوبات الدراسة.....	د
سابعاً: منهج الدراسة.....	د
ثامناً: خطة البحث.....	و-ز

الفصل الأول: الإمام ابن جُزي ومنهجه في التفسير والتعقبات

تمهيد.....	2
المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن جُزي لغرناطي.....	3
المطلب الأول: عصر الإمام ابن جُزي الغرناطي.....	3
المطلب الثاني: الحياة الذاتية للإمام ابن جُزي الغرناطي.....	16
المطلب الثالث: الحياة العلمية للإمام ابن جُزي الغرناطي.....	25
المبحث الثاني: التعريف بتفسير الإمام ابن جُزي الغرناطي.....	38
المطلب الأول: مفهوم التفسير ونشأته في الأندلس.....	38
المطلب الثاني: نبذة مختصرة عن تفسير ابن جُزي.....	50
المبحث الثالث: مفهوم التعقبات وصيغها عند الإمام ابن جُزي الغرناطي.....	78
المطلب الأول: مفهوم التعقبات ونشأتها.....	78
المطلب الثاني: صيغ التعقبات عند ابن جُزي ومنهجه في ذلك.....	86

الفصل الثاني: التعقبات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن

93	تمهيد.....
94	المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالتفسير.....
94	المطلب الأول: التعقبات المتعلقة بمعاني ألفاظ القرآن.....
94	المسألة الأولى (01): المراد بالشياطين.....
96	المسألة الثانية (02): هل وصف الصفرة يحمل على اللون المعروف.....
98	المسألة الثالثة (03): من القوم المعنيون.....
99	المسألة الرابعة (04): معنى ألوف.....
100	المسألة الخامسة (05): المراد بالفرقان.....
101	المسألة السادسة (06): معنى يحاربون الله.....
103	المسألة السابعة (07): معنى قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾.....
105	المسألة الثامنة (08): معنى بلغ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ بَلَغْ﴾.....
106	المسألة التاسعة (09): معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾....
107	المسألة العاشرة (10): هل آزر اسم صنم.....
108	المسألة الحادي عشر (11): معنى ملكوت السموات والأرض.....
109	المسألة الثاني عشر (12): معنى الحق في قوله تعالى: ﴿وَأَتَوْا حَقَّهُ يَوْمَ حِصَادِهِ﴾.....
110	المسألة الثالث عشر (13): عدد السحرة في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾.....
111	المسألة الرابع عشر (14): معنى نفس واحدة في قوله تعالى: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.....
112	المسألة الخامس عشر (15): من المعنيون في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.....
113	المسألة السادس عشر (16): المراد بأئمة الكفر في قوله تعالى: ﴿بَقِيلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾.....
115	المسألة السابع عشر (17): معنى الضعفاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾.....
116	المسألة الثامن عشر (18): من المسؤول منه في قوله: ﴿بَسْئِلِ الَّذِينَ يَفْرَعُونَ الْكِتَابِ﴾.....
117	المسألة التاسع عشر (19): هل المراد بالبُنوة الصلبية.....
119	المسألة العشرون (20): المراد بالضحك في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ بَضْحَكْتُمْ﴾.....

- 120 المسألة الواحد والعشرون (21): معنى الهم في قوله: ﴿وَهُم بِهَا﴾
- 121 المسألة الثاني والعشرون (22): معنى أكبره في قوله تعالى: ﴿بَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾
- 122 المسألة الثالث والعشرون (23): تعيين القميص في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِهِ هَذَا﴾
- 123 المسألة الرابع والعشرون (24): معنى وراءه في قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾
- 125 المسألة الخامس والعشرون (25): معنى التبديل في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ﴾
- 126 المسألة السادس والعشرون (26): معنى مسنون في قوله تعالى: ﴿مِنْ حَمَلٍ مُّسْنُونٍ﴾
- 128 المسألة السابع والعشرون (27): المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾
- 129 المسألة الثامن والعشرون (28): معنى مسحور في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُّسْحُورًا﴾
- 130 المسألة التاسع والعشرون (29): ما اسم الغلامين وأبيهما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾
- 131 المسألة الثلاثون (30): ما المراد بموسى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَبِيئِهِ﴾
- 132 المسألة الواحد والثلاثون (31): معنى تقياً في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾
- 133 المسألة الثاني والثلاثون (32): بيان معنى ومكان المعيشة الضنكة
- 134 المسألة الثالث والثلاثون (33): معنى اللهو في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا﴾
- 136 المسألة الرابع والثلاثون (34): صفة الفلك في قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾
- 137 المسألة الخامس والثلاثون (35): المراد بالسجل في قوله تعالى: ﴿...كَطَيِّ السَّجَلِ لِلْكِتَابِ﴾
- 138 المسألة السادس والثلاثون (36): هل لفظ الكوكب ينصرف لمعين
- 139 المسألة السابع والثلاثون (37): المعنى في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَّبَاتِحَهُ﴾
- 139 المسألة الثامن والثلاثون (38): المراد بالعيون في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾
- 140 المسألة التاسع والثلاثون (39): معنى فارغا في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى بُرْعًا﴾
- 141 المسألة الأربعون (40): معنى قضى الأجل في قوله تعالى: ﴿بَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ﴾
- 142 المسألة الواحد والأربعون (41): المراد بالعلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي﴾
- 144 المسألة الثاني والأربعون (42): معنى الجهاد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا﴾
- 144 المسألة الثالث والأربعون (43): معنى البر والبحر في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
- 145 المسألة الرابع والأربعون (44): المراد بالصخرة في قوله تعالى: ﴿فَتَكُ فِي صَخْرَةٍ﴾

- 146 المسألة الخامس والأربعون (45): معنى العذاب الأدنى في قوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيْقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾
- 147 المسألة السادس والأربعون (46): المراد بالمرض في قوله تعالى: ﴿بَيْظَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾...
- 148 المسألة السابع والأربعون (47): من المراد بأهل البيت في قوله سبحانه: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾
- 149 المسألة الثامن والأربعون (48): معنى الذي بين يديه في قوله تعالى: ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾....
- 150 المسألة التاسع والأربعون (49): معنى الذرية في قوله تعالى: ﴿وَعَايَةَ لَهُمْ وَأَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾...
- 150 المسألة الخمسون (50): الإشارة بممالك في قوله تعالى: ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾...
- 151 المسألة الواحد والخمسون (51): معنى الإنزال في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾.....
- 152 المسألة الثانية والخمسون (52): معنى الإماتتان في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَرْنَا اثْنَتَيْنِ﴾...
- 153 المسألة الثالث والخمسون (53): معنى الزكاة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.....
- 154 المسألة الرابع والخمسون (54): معنى ﴿الَّذِينَ أَصْلَلْنَا﴾.....
- 155 المسألة الخامس والخمسون (55): معنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم.....
- 156 المسألة السادس والخمسون (56): المراد بهذا الكلام الذي أرادوا أن يدلوه.....
- 157 المسألة السابع والخمسون (57): معنى السيمة في قوله تعالى: ﴿سَيَبَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنَ آثَرِ السُّجُودِ﴾
- 158 المسألة الثامن والخمسون (58): هل يتصف جميع المطر بالبركة.....
- 159 المسألة التاسع والخمسون (59): المراد بالاستغفار في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ الْبَلِّ مَا يَهْجَعُونَ﴾...
- 159 المسألة الستون (60): معنى الحق في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.....
- 160 المسألة الواحد والستون (61): معنى الواقعة في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَفَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.....
- 161 المسألة الثانية والستون (62): المراد بالفرش في قوله تعالى: ﴿وَقُرَيْشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾.....
- 161 المسألة الثالثة والستون (63): المراد بالسور في قوله تعالى: ﴿بَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾.....
- 162 المسألة الرابعة والستون (64): المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ﴾.....
- 163 المسألة الخامسة والستون (65): معنى عمله في قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾.....
- 164 المسألة السادسة والستون (66): المراد بـ "نون" في قوله تعالى: ﴿نَّ وَالْفَلَمِ﴾.....
- 166 المسألة السابعة والستون (67): المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾...
- 166 المسألة الثامنة والستون (68): المراد بالبيت في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَتِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾..

- 167 المسألة التاسعة والستون (69): معنى المساجد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾.....
- 168 المسألة السبعون (70): معنى "النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِمُ بِالْغَيْبِ الْوَاوَمَةَ﴾.....
- 169 المسألة الواحد والسبعون (71): المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾.....
- 169 المسألة الثانية والسبعون (72): معنى الأسير في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حَبِيبٍ مُسْكِينٍ وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾...
- 170 المسألة الثالثة والسبعون (73): معنى أَلَقْتُ في قوله تعالى: ﴿وَأَلَقْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.....
- 171 المسألة الرابعة والسبعون (74): معنى "الشَّقَقِ" في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُفْسِمُ بِالشَّعْبِ﴾.....
- 172 المسألة الخامسة والسبعون (75): معنى السماء في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِ﴾.....
- 173 المسألة السادسة والسبعون (76): معنى الغاشية في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾..
- 174 المسألة السابعة والسبعون (77): معنى الضريع في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾....
- 175 المسألة الثامنة والسبعون (78): المراد بالإبل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾
- 176 المسألة التاسعة والسبعون (79): المراد بالفجر في قوله تعالى: ﴿وَالْبَجْرِ ۖ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۖ﴾...
- 177 المسألة الثمانون (80): معنى كبد في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.....
- 178 المسألة الواحد والثمانون (81): معنى ضالا في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾.....
- 179 المسألة الثانية والثمانون (82): المراد بالفراش في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾
- 180 **المطلب الثاني:** التعقبات المتعلقة بتوجيه الخطاب ومن غني به، وأسباب النزول.....
- 180 المسألة الأولى (01): هل الخطاب موجها لمن كان موجودا.....
- 181 المسألة الثانية (02): لمن موجه الأمر على قراءة الكسر.....
- 182 المسألة الثالثة (03): هل الآية في شأن قوم نوح لقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِفْتِرِيَةٌ﴾.....
- 183 المسألة الرابعة (04): ما إسم الملك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ﴾.....
- 184 المسألة الخامسة (05): هل حافظ السقاية نادى بأمر يوسف.....
- 185 المسألة السادسة (06): هل الأمر بالرجوع من قول يوسف في قوله سبحانه: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ﴾...
- 186 المسألة السابعة (07): مكان أصحاب الكهف.....
- 187 المسألة الثامنة (08): لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾.....
- 188 المسألة التاسعة (09): لمن موجه الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾...

- 189 المسألة العاشرة (10): سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَغْبُدُوهَا...﴾....
- 190 المسألة الحادي عشر (11): المعنيون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَوْا...﴾....
- 191 للمسألة الثاني عشر (12): لمن الخطاب في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بِكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾
- 192 للمسألة الثالث عشر (13): سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ...﴾....
- 193 المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بعلوم القرآن.....
- 193 المطلب الأول: التعقبات المتعلقة بالنسخ.....
- 193 المسألة الأولى (01): الإحكام والنسخ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْفِصَاصُ...﴾
- 194 المسألة الثانية (02): الإحكام والنسخ في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾.....
- 196 المسألة الثالثة (03): النسخ والإحكام في قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.....
- 197 المسألة الرابعة (04): الإحكام والنسخ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَفِئَتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِصَرْبِ الرِّفَابِ...﴾
- 199 المسألة الخامسة (05): النسخ في قوله تعالى: ﴿مَا أَبَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾....
- 200 المطلب الثاني: التعقبات المتعلقة بأسباب النزول والإسرائيليات.....
- 200 المسألة الأولى (01): سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾....
- 201 المسألة الثانية (02): هل الإخبار يتناول المنافقين وأهل الكتاب.....
- 202 المسألة الثالثة (03): سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَلْأَنذَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...﴾
- 202 المسألة الرابعة (04): سبب نزول قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ...﴾.....
- 203 المسألة الخامسة (05): سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾....
- 204 المسألة السادسة (06): سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ...﴾
- 205 المسألة السابعة (07): سبب نزول قوله تعالى: ﴿بِمَا مَنَ آعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ﴾
- 206 المسألة الثامنة (08): اسم امرأة نوح ولوط في قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾....

الفصل الثالث: التعقبات المتعلقة بالعلوم اللغوية والشرعية

- 206 تمهيد.....
- 210 المبحث الأول: التعقبات المتعلقة بالعلوم اللغوية.....
- 210 المسألة الأولى (01): بما تعلق لعل؟ في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

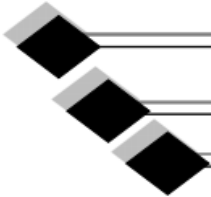
- المسألة الثانية (02): هل الفرقان وصف للتوراة أم اسم للقرآن..... 211
- المسألة الثالثة (03): معنى ما في قوله تعالى: ﴿بِمَا أَصْبَرْتُمْ عَلَى الْبَارِ﴾..... 212
- المسألة الرابعة (04): ما العلة في فتح الميم على قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ﴾..... 214
- المسألة الخامسة (05): هل التوراة والإنجيل اسمان أعجميان في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾..... 216
- المسألة السادسة (06): ما نوع الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾..... 217
- المسألة السابعة (07): مدلول الباء في قوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾..... 218
- المسألة الثامنة (08): العامل في أربعين من قوله عز وجل: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾..... 220
- المسألة التاسعة (09): التعلق في قوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾..... 221
- المسألة العاشرة (10): هل "إن" بمعنى "نعم"..... 222
- المسألة الحادي عشر (11): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَتَنْفِخُ فِيهَا﴾..... 223
- المسألة الثاني عشر (12): توجيه قراءة النصب في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾..... 224
- المسألة الثالث عشر (13): معنى "إلى" في قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ...﴾..... 225
- المسألة الرابع عشر (14): معنى "ليجمعنكم" في قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ...﴾..... 226
- المسألة الخامس عشر (15): إعراب قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾..... 226
- المسألة السادس عشر (16): إعراب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾..... 227
- المسألة السابع عشر (17): إعراب قوله تعالى: ﴿أَكْثَرُ مُجْرِمِيهَا﴾..... 228
- المسألة الثامن عشر (18): إعراب "أن" في قوله تعالى: ﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾..... 229
- المسألة التاسع عشر (19): معنى "ما" في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْنِي﴾..... 230
- المسألة العشرون (20): العلة في ترك تنوين "عَزِيزٌ" على غير قراءة السبعة..... 231
- المسألة الواحد والعشرون (21): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ...﴾..... 232
- المسألة الثاني والعشرون (22): إعراب "أَسْحَرُ هَذَا"..... 233
- المسألة الثالث والعشرون (23): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿بِمَا عَامَسَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِّن قَوْمِهِ﴾..... 234
- المسألة الرابع والعشرون (24): توجيه السدي لقراءة أهل الكوفة في قوله تعالى: ﴿يَبْشُرِي﴾..... 235
- المسألة الخامس والعشرون (25): تعلق اليوم في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَحْزِنَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يُعْمِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾..... 236

- 237 المسألة السادسة والعشرون (26): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾
- 238 المسألة السابعة والعشرون (27): مدلول "من" في قوله تعالى: ﴿بَهْلَ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾
- 239 المسألة الثامن والعشرون (28): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾
- 240 المسألة التاسع والعشرون (29): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولٌ﴾
- 241 المسألة الثلاثون (30): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿بَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾
- 241 المسألة الواحد والثلاثون (31): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾
- 242 المسألة الثاني والثلاثون (32): مدلول من في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾
- 243 المسألة الثالث والثلاثون (33): معنى "عن" في قوله تعالى: ﴿بَلِيحَذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾
- 244 المسألة الرابع والثلاثون (34): على من يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾
- 245 المسألة الخامس والثلاثون (35): الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾
- 246 المسألة السادس والثلاثون (36): معنى الباء في قوله تعالى: ﴿فَالرَّبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾
- 247 المسألة السابع والثلاثون (37): تعلق المحرور في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾
- 248 المسألة الثامن والثلاثون (38): إعراب "هذا" في قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْفِدِنَا هَذَا﴾
- 248 المسألة التاسع والثلاثون (39): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿وَوَصَرْتُهُمْ بَكَائُوا هُمْ الْغُلَّيِّينَ﴾
- 249 المسألة الأربعون (40): معنى "من" في قوله تعالى: ﴿بَوَيْلٌ لِلْفُتَيْسَةِ فَلَوَبَّهْمِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾
- 250 المسألة الواحد والأربعون (41): معنى "بعض" في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾
- 251 المسألة الثاني والأربعون (42): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَهُ﴾
- 252 المسألة الثالث والأربعون (43): هل خبر "إن" محذوف في قوله تعالى: ﴿لِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾
- 253 المسألة الرابع والأربعون (44): عَوْدُ الضمير في قوله: ﴿يَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَتَّبِعُونَ مِنْ بَوْفِهِ﴾
- 254 المسألة الخامس والأربعون (45): جواب القسم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾
- 255 المسألة السادس والأربعون (46): معنى "إلا" في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةُ الْوَلَيُّ﴾
- 256 المسألة السابع والأربعون (47): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾
- 256 المسألة الثامن والأربعون (48): عَوْدُ الضمير في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾
- 257 المسألة التاسع والأربعون (49): دلالة "أو" في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى..... إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾

258	المسألة الخمسون (50): معنى "لا" في قوله تعالى: ﴿فَلَا أَفْسِمُ بِمَوْفِعِ الْجُومِ﴾.....
259	المسألة الواحد والخمسون (51): معنى "الواو" في قوله تعالى: ﴿ثَبَّتَتْ وَأَبْكَارًا﴾.....
260	المسألة الثانية والخمسون (52): معنى "من" في قوله تعالى: ﴿يَغْيِرُ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.....
261	المسألة الثالث والخمسون (53): معنى "الباء" في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.....
262	المسألة الرابع والخمسون (54): مرجع الضمير "في" قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.....
263	المسألة الخامس والخمسون (55): معنى ﴿هَلْ﴾ في قوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَيْكَ حَدِيثُ الْعَشِيَّةِ﴾.....
264	المسألة السادس والخمسون (56): معنى "من" في قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَكِ...يَأْذُنُ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.....
266	المبحث الثاني: التعقبات المتعلقة بالعلوم الشرعية.....
266	المسألة الأولى (01): هل في الآية محذوف: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ...خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.....
267	المسألة الثانية (02): الحكم المستنبط من قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِغَضَبٍ...لَعَلَّكُمْ تَعْفَلُونَ﴾.....
269	المسألة الثالثة (03): هل حكم وجوب السعي مستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّبَا وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.....
270	المسألة الرابعة (04): وجوب حكم العمرة قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.....
271	المسألة الخامسة (05): تخصيص حكم الإعتكاف بالمساجد الثلاثة.....
272	المسألة السادسة (06): ما المراد بالتسريح في قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَيْنٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ...﴾.....
274	المسألة السابعة (07): تأويل الزمخشري لقوله تعالى: ﴿فَالرَّبُّ أَرِنِي أَنظِرْ إِلَيْكَ﴾.....
277	المسألة الثامنة (08): تعين ليلة القدر في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.....
279	المسألة التاسعة (09): هل حكم وجوب النية في الوضوء يؤخذ من قوله ﷺ: ﴿وَمَا أَمْرُؤَ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ...﴾.....
281	الخاتمة.....
284	قائمة المصادر والمراجع.....
294	فهرس الآيات القرآنية.....
318	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....
322	فهرس الآثار.....
324	فهرس الأعلام.....
329	فهرس الأبيات الشعرية.....
341-333	فهرس الموضوعات.....
-	ملخص الرسالة.....



مُلخَص الرّسالة



مُلخَص الرِّسَالَة بالعربية:

تُعد هذه الدراسة الموسومة بـ: **تعقبات ابن جُزي الغرناطي على المفسرين من خلال كتابه "التسهيل في علوم التنزيل" - عرضاً ودراسة -** من بواكير الدراسات التي عُنت بإبراز الجانب النقدي التفسيري لإمام أهل الأندلس في زمانه المتوفى بالواقعة الشهيرة بمعركة طريف سنة 741هـ.

كما أن محورها الأساس هو تتبع واستقراء المسائل التي تعقب فيها الإمام غيره من أرباب وأعلام فحول علم التفسير، ثم جمعها في مصنف مفرد مستقل يسهل للباحثين الرجوع إليه والاستفادة منه، وأما عن الغاية القصوى، والهدف الأسمى من وراء هذه الدراسة هو الوقوف على مدى إصابة الإمام في تعقباته لأقوال غيره، ولا يتسنى ذلك إلا بدراستها في ضوء القواعد المعتبرة للوصول إلى خلاصة القول فيها.

وقصدا لتحقيق تلك الأهداف المنشودة المذكورة آنفاً، ونظر لطبيعة الموضوع المتناول اقتضى منا تقسيمه إلى مقدمة، وثلاث فصول، وخاتمة اشتملت على أهم النتائج، وأبرز التوصيات فأما المقدمة فحتوت على المحاور التالية: الإشكالية، والأهداف، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، والصعوبات، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

وأما الفصل الأول فانطوى تحته ثلاث مباحث، فالأول تطرقنا فيه لبيان عصر الإمام ابن جزي، وذكر أهم جوانب سيرته الذاتية، والعلمية، بدأ باسم والنشأة، والمولد، وانتهاء بالوفاة والآثار العلمية.

والثاني: عرفنا فيه بكتاب التسهيل لعلوم التنزيل حيث قمنا بإعداد نبذة حوله، وذلك بتوثيق نسبة الكتاب، وبيان منهج مؤلفه، وذكر أهم مميزاته، وأشهر المصادر المعتمدة في تحريره، كما ذكرنا أيضاً بعض ما الملاحظات والمآخذ عليه. والأخير: تناولنا فيه مفهوم التعقب، ونشأته وفوائده، كما عرجنا فيه على منهج الإمام ابن جزي في التعقب، وأبرز الصيغ التي عبر بها عنه.

وأما الفصل الثاني فيمثل هو والفصل الأخير الجانب التطبيقي للدراسة، وقد احتوى على مبحثان، خصصنا الأول منه لدراسة التعقبات المتعلقة بالتفسير وعلومه، بينما تناولنا في الثاني: دراسة التعقبات المتعلقة بعلوم القرآن، وقد جاءت متنوعة لتشمل أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغيرهما.

وأما الفصل الأخير: فقد خصصناه لدراسة التعقبات المتعلقة بالمسائل اللغوية والشرعية، وقد اشتمل على مبحثان، وانصب الكلام في المبحث الأول على دراسة التعقبات المتعلقة بالمسائل اللغوية، بينما انصب القول في المبحث الثاني على دراسة التعقبات المتعلقة بالعلوم الشرعية، وقد كان لمسائل الفقه النصيب الأوفر من ذلك، ولا غرابة فإن ابن جزي كما لا يخفى إمام الفقه وأستاذه ومحرمه المسائل والتصانيف البديعة والمفيدة في حياته، ومن تأمل كتابه القوانين الفقهية تجلّى له ذلك.

ملخص الرسالة

وأما الخاتمة فتوصلنا فيها إلى النتائج التالية وهي كالآتي:

- ✓ أن الإمام ابن جزري إمام موسوعي متبحر متقن لعلوم شتى كاللغة والتفسير، والأصول، والقراءات، وأما علم الفقه فلا يختلف اثنان أنه من أعيانه وأئمتته، بل حزم بعض من ترجم له أنه شارف على درجة الاجتهاد فيه.
 - ✓ أن الإمام ابن جزري قد تنوعت صيغ تعقباته لتشمل الصريحة كوصف القول بالبعد، أو الخطأ أو الفساد، أو البطلان، وغير الصريحة كوصف القول بأن فيه فك لنظم ونحو ذلك.
 - ✓ أن الإمام ابن جزري من خلال تعقبه لأقوال غيره، كان متحل بأدب النقد العلمي الرصين، البعيد عن اللّمز والرمي للذوات والأشخاص بالعبارات والألفاظ القبيحة والمستهجنة.
 - ✓ أن الإمام ابن جزري قد وفق للصواب في أغلب المسائل التي تعقب فيها غيره.
 - ✓ أن الإمام ابن جزري قد حاكى وقلد بعض الأئمة في تعقباته التي أوردها في ثنايا تفسيره، ومن أبرز أولئك الإمام الرازي، وابن عطية، وابن العربي رحمة الله على الجميع.
- وأخيرا لا يفوتني أن أذيل هذا الملخص بذكر جملة من التوصيات بدّا لي أنها جوانب مُعَقَّلَةٌ تحتاج إلى بحث ودراسة وهي كالآتي:

- ◀ أثر السياق في الترجيح عند الإمام ابن جزري من خلال كتابه التسهيل.
 - ◀ القواعد التفسيرية عند الإمام ابن جزري من خلال كتابه التسهيل.
 - ◀ قواعد الترجيح وتطبيقاته عند الإمام ابن جزري من خلال كتابه التسهيل -مرجع الضمير أنموذجا-
- والحمد لله في البدأ والختام، وصلى الله وسلم على سيد وَلَدِ عدنان وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، وأسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل صالحا ولوجه خالصا، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما إنه ولي ذلك والقادر عليه، آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخص الرسالة بالإنجليزية:

This study, tagged with: **Ibn Juzy Al-Gharnati's tracks on the exegetes through his book "Al-Tassil fi Uloom Al-Tanzil" - a presentation and study** - is considered one of the early studies that aimed to highlight the critical and explanatory aspect of the imam of the people of Andalusia in his time who died in the famous incident of the Battle of Tarif in the year 741 AH.

Its main focus is to follow and extrapolate the issues in which the imam followed other lords and scholars about the science of interpretation, and then collected them in a single independent work that is easy for researchers to refer to and benefit from. In his follow-up to the sayings of others, and this is only possible by studying them in the light of the considered rules to reach a conclusion about them.

In order to achieve those aforementioned desired goals, and given the nature of the subject matter, we had to divide it into an introduction, three chapters, and a conclusion that included the most important results and the most prominent recommendations.

As for the introduction, it contained the following topics: the problem, objectives, reasons for choosing the topic, previous studies, difficulties, study method, and research plan.

As for the first chapter, three sections were covered under it. In the first, we discussed the era of Imam Ibn Juzay, and mentioned the most important aspects of his biography and science, starting with his name, his upbringing, his birth, and ending with his death and scientific effects.

The second: We knew in it the book "Al-Tashil for the Science of Downloading" where we prepared a brief about it, by documenting the percentage of the book, explaining the method of its author, and mentioning its most important features, and the most famous sources approved in its editing, as we also mentioned some of the observations and objections to it.

And the last: we discussed in it the concept of tracing, its origins and its benefits, as we referred to the approach of Imam Ibn Juzy in tracing, and the most prominent formulas by which he expressed it.

As for the second chapter, it and the last chapter represent the practical aspect of the study, and it contained two sections, the first of which we devoted to studying the traces related to interpretation and its sciences, while in the second we dealt with the study of the traces related to the sciences of the Qur'an.

As for the last chapter: we have devoted it to the study of the traces related to linguistic and legal issues, and it included two sections. That, and it is not surprising that Ibn Juzay as the imam of jurisprudence, professor and editor of the

issues and classifications wonderful and useful in his life, is not hidden, and whoever contemplates his book jurisprudence laws became clear to him.

As for the conclusion, we reached the following conclusions:

- ✓ That Imam Ibn Juzay is a well-versed encyclopedic imam who is well-versed in various sciences such as language, interpretation, principles, and readings, and as for the science of jurisprudence, no two disagree that he is one of his notables and imams.
- ✓ That Imam Ibn Juzay has varied formulas of his tactics to include the explicit, such as describing the saying with distance, error, corruption, or invalidity, and not explicit, such as describing the statement that there is a decoding of systems and so on.
- ✓ That Imam Ibn Juzay, by following the sayings of others, was imbued with the literature of sober scientific criticism, far from blaming and slandering subjects and persons with ugly and reprehensible phrases and words.
- ✓ That Imam Ibn Juzay was correct in most of the issues in which he followed others.
- ✓ That Imam Ibn Juzay imitated and imitated some of the imams in his commentaries that he mentioned in the folds of his interpretation, and among the most prominent of those are Imam Al-Razi, Ibn Attia, and Ibn Al-Arabi, may God have mercy on everyone.

Finally, I do not fail to append this summary by mentioning a number of recommendations that seemed to me to be overlooked aspects that need research and study, and they are as follows:

- The impact of context on the weighting of Imam Ibn Juzay through his book Al-Tas'eel.
- The Exegetical Rules of Imam Ibn Juzay through his book Al-Tas'eel.
- The rules of weighting and its applications according to Imam Ibn Juzay through his book Al-Tas'eel - reference of the conscience as a model -

Praise be to God at the beginning and at the end, and may God's prayers and peace be upon the master of the son of Adnan, his family, his companions and those who follow them in goodness. God, Lord of the worlds.

جملہ